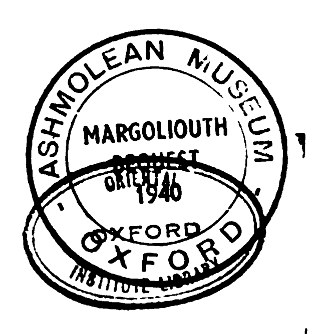
طبع هذا الكتاب على ذمة المعتمد على ربه الأعظم حضرة الشيخ محمد صالح
ابن المرحوم الشيخ محمد أكرم المكى بلدا الحنفى مذهبا الماتريدى عقيدة
الختنى طريقة غفر الله له ولوالديه وأحسن اليهما واليه



(فهرسة قلائد العقيان)

صحيفة

الوزير

صحيفة

صحيفة

قلائد العقيان للفتح بن خاقان رحمه الله تعالى

م

هذا ما كتبه لمصنف هذا الكتاب معاصره الاستاذ أبو محمد عبد الله ابن محمد ابن السيد البطليوسي

تأملت فسح الله لسيدي ووليي في أمد بقائه كتابه الذي شرع في انشائه فرأيته كتابا سينجد ويغور ويبلغ حيث لا تبلغ البدور وتبين به الذرى والمناسم وتغتدى له غرر في أوجه ومناسم فقد أسجد الله الكلام لكلامك وجعل النيرات طوع أقلامك فأنت تهدى بنجومها وتردى برجومها فالنثرة من نثرك والشعرى من شعرك والبلغاء لك معترفون وبين يديك متصرفون وليس يباريك مبار ولا يجاريك الى الغاية مجار الاوقف حسيرا وسبقت ودعى أخيرا وتقدمت لاعدمت شفوفا ولا برح مكانك بالآمال محفوفا بعزة الله

(وهذا مختصر ترجمة المصنف المذكورة في وفيات الاعيان لابن خلكان)

أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي الاصل له عدة تصانيف منها قلائد العقيان جمع فيه من شعراء الغرب طائفة كثيرة وتكلم على ترجمة كل واحد منهم بأعذب عبارة وله أيضا كتاب مطمح الانفس ثلاث نسخ كبير ووسيط وصغير وهو كتاب كثير الفوائد وكلامه في هذه الكتب يدل على فضله وغزارة مادته توفي قتيلا سنة خمس وثلاثين وقيل تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة مراكش في الفندق يقال ان الذي أشار بقتله أمير المسلمين أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين أخو أبي اسحق ابراهيم الذي ألف له أبو نصر كتاب قلائد العقيان وقد ذكره في خطبة الكتاب اه



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى راض لنا البيان حتى انقاد فى أعنتنا وشاد مثواه فى أجنتنا وذلل لنا من الفصاحة ما تصعب فلكناه وأوضح لنا من مشكلاتها ما تشعب فسلكناه فصار لنا الكلام عبدا يجيب اذا ناديناه وسهما يصيب الغرض اذا رميناه وصلى الله على سيدنا محمد الذى بعثه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا *(وبعد)* فان الادب أجمل ما اتحفته الهمة وعرفته هذه الامة فانه مطلق اللسان من عقال ومنطق الانسان بصواب المقال وله من النثر والنظم نجمان صارت القلوب لهما فلكا والخواطر مسلكا ومازالت صدور الملوك لهما محلا ولباتهم بهما تحلى ومجتمعاتهم ميدان مجالهما ومكان رويتهما وارتجالهما ترشف فيها ثغورهما ويقتطف لديها نورهما وكان الندى يسقيهما فيثمران بالابداع ويسفران عن محاسن كالصبح عند الانصداع ثم تقلص ذلك البرد الضافى وتكدر ورد الامل الصافى وزهد فى اقتناء المعارف وعريت الهمم عن تلك المطارف ورمت المحاسن أغراض المطالب فما أصابت

وهمت

وهمت البدائع فلم يوقع لها الرغائب حين صابت وكلت الخواطر وأقشعت سحائبها المواطر فأصبح الادب قد دجت مطالعه وخوى طالعه ولما رأيت عنانه في يد الامتهان وميدانه قد عطل من الرهان وبواتره قد صدئت في أغمادها وشعله قد قذيت برمادها تداركت منه الذماء الباقي وتلافيت له نفسا قد بلغت التراقي وانتخبت منه لمعا كالسيوف المرهفة والشفوف المفوفة قد ثقفت تثقيف القداح وأبرزت كالناهد الرداح وانتقيت من توليده المخترع وتجديده المبتدع لمحا يهزلها الزمان عطفه انتشاء وتروق كالنجوم طلعت عشاء وضممتها الى صوان يحفظها وديوان يديها للعيون فتلحظها ليعلم أن بالاوان اقتنانا جرت له العواتق بنانا وبيانا فأبقت منه أثر الاعيانا ورجالا لم تفسح لابداعهم مجالا فتلفعت محاسنهم بنقابها وتوارت كالاراقم في أنقابها فأظهرت ماخفى من فخارهم ودلت على مراتبهم في المعارف واقدارهم واستثبت في انتقاء من أثبت وانتخبت ماجلبت وشنفت ماصنفت حتى أتى وكأن البدر في لبته ونسيم المسك من هبته تجنح اليه الافكار جنوح الطير الى الاوكار وتكلف به الخواطر كلف المعطش بالنسيم العاطر ولم يزل شخص الادب وهو متوار وزنده غير وار وجده عاثر ومنهجه داثر الى أن أراد الله اعتلاء اسمه واحياء رسمه وانارة أفقه واعادة رونقه فبعث من الامير الاجل أبي اسحق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين ملكا عليا غدا للبة المجد حليا وهمى على الامة وسميا ووليا ألبس الدنيا جمالا وجدد لاهلها آمالا ناهيك به من ملك عالى ناظم لاشتات المعالى أصبح الدين منبسطا في نواحيه مغتبطا بمناحيه واليم فرقا من جوده مفترقا في أغواره ونجوده والباس مزدهيا بمضائه مكتفيا باقتضائه والحزم مستبصرا بمنازعه مقتصرا على أجازعه يحمى الحقيقة ويرمى الى أغراض النعمان بن الشقيقة لو جاوره كليب ماطرق حماه أو استجار به أحد من الدهر لحماه أو كان بجفر الهباءة ما انتضى قيس سيفه ولا اقتضى وطرا من حمل وحذيفة أو كان بوادى الاخرم لطاف به ربيعة وأحرم أو استنجده الكندى ماكسى الملاءة أو كان حاضر بسطام ماتوسد على الالاءة تهابه النفوس اذا رمقته أبصارها وتلجأ اليه الرياح اذا أرهقها اعصارها لو دعا الاسد الورد لاجاب أو أومأ الى الليل البهيم لانجاب أو قعدت بين يديه الاطواد

لتحرك سكونها أو عصته الطير ما أو تها وكونها مع عفاف كف حتى عن الطيف وحكى المحرمين بالخيف وندى خرق العوائد وأورق عوده في يد الرائد وسجايا تنجلى بها الظلماء كأن مزاجها عسل وماء ولما أنارت به تلك الآفاق وعادبه كساد الفضل الى النفاق رأيت أن أخدم مجلسه العالى بزف الكتاب اليه وأشرف محاسنه بمثوله بين يديه فوسمته باسمه وكسوته نور وسمه وجلبت العلق الى مميزه وأجريت الجواد في ميدان محرزه وأطلعت شمس النبل في أفقها وأتيت ببضاعة الفضل الى منفقها والله ولى التوفيق فيما قصدت والكافى من الخطاء فى الذى سردت فعليه كان معولى وبه حسن تأولى لا اله الا هو رب العرش العظيم

القسم الاول فى محاسن الرؤساء وابنائهم ودرج انموذجات من مستعذب انبائهم

(المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن عباد)

ملك قمع العدا وجمع الباس والندى وطلع على الدنيا بدر هدى لم يتعطل يوما كفه ولا بنانه آونة يراعه وآونة سنانه وكانت أيامه مواسم وثغور بره بواسم ولياليه كلها دررا وللزمان أحجالا وغررا لم يغفلها من سمات عوارف ولم يضحها من ظل ايناس وارف ولا عطلها من مأثرة بقى أثرها باديا ولقى معتفيه منها الى الفضل هاديا وكانت حضرته مطمحا للهمم ومسرحا لآمال الامم وموقفا لكل كمى ومقذفا للذى أنف حمى لم تخل من وفد ولم يصح جوها من انسجام رفد فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكماة ومشاهير الحماة اعداد يغص بهم الفضا وأنجاد يزهابهم النفوذ والمضا وطلع فى سمائه كل نجم منقد وكل ذى فهم منتقد فأصبحت حضرته ميدانا لرهان الاذهان وغاية لرى هدف البيان ومضمارا لاحراز خصل فى كل معنى وفصل فلم يرتسم فى زمامه الا بطل نجد ولم يتسق فى نظامه الا ذكاء ومجد فأصبح عصره أجل عصر وغدا مصرا أكمل مصر تسفح فيه ديم الكرم ويفصح فيه لسانا سيف وقلم ويفضح الرضا فى وصفه أيام ذى سلم وكان قومه وبنوه لتلك الحلبة زينا ولتلك الجملة عينا

ان

ان ركبوا خلت الارض فلكا يحمل نجوما وان وهبوا رأيت الغمام سجوما وان أقدموا أحجم عنترة العبسى وان نحروا أقصر غرابة الاوسى ثم انحرفت الايام فالوت باشراقه واذوت يانع ايراقه فلم يدفع الرمح ولا الحسام ولم تنفع تلك المنن الجسام فتملك بعد الملك وحط من فلكه الى الفلك فأصبح خائضا تحدوه الرياح وناهضا يزجيه البكا والنياح قد ضجت عليه أياديه وارتجت جوانب ناديه وأضحت منازله قد بان عنها الانس والحبور وألوت ببهجتها الصبا والدبور فبكت العيون عليه دما وعاد موجود الحياة عدما وصار أحرار الدهر فيه خدما فسحقا للدنيا ما رعت حقوقه ولا أبقت شروقه فكم أحياها البنيها وأبداها رائقة لجتليها وهى الايام لاتق من تجنبها ولاتبقى على مواليها ادثرت آثار جلق وأخمدت نار الحلق وذللت عزة عاد بن شداد وهدت القصر ذا الشرفات من سنداد ونعت بؤس النعمان وأ كنت غدرها له فى طلب الامان وقد أثبت من نظمه العذب الجنى الرائق السنا الفائق اللفظ والمعنى ماتمتزج بالنفوس والقلوب ويتأرج به مسرى الصبا والجنوب وذكرت أثناءه من مآثره المخترعة ومفاخره ومشاهده المستبدعة ومحاضره ما يهون الدنيا وزخرفها ويلين تقلبها وتصرفها (أخبرنى ذو الوزارتين) أبو بكر بن القصيرة أنه كان بغرفة القصر المكرم مقيما الرسوم المعتمد وحدوده ومنشئا لمخاطباته وعهوده فى اليوم الذى خرج فيه ابن عمار الى شلب معه مفتقدا لاعمالها مسددا أغراض عمالها اذ طلع اليه الوزير الاجل أبو بكر بن زيدون منشرح المحيا متضح العليا يتهلل بشرا ويتخيل أنه المسك نشرا وقال لما خرج ابن عمار الى شلب ثار للمعتمد هيامه القديم وكلفه وتجدد له معلقه بها وما ألفه فانه عمرها فى ظل صباه وفرع بها هضاب السرور وربابه وبرد عمره قشيب وشبابه غض لم يرعه مشيب أيام ولاه المعتضد بالله أمرها وأدارت عليه الغرارة خمرها فقال مرتجلا وابن عمار بالانحياز له معجلا (طويل)

ألا حى أوطانى بشلب أبا بكر * وسلهن هل عهد الوصال كما أدرى

وسلم على قصر الشراجيب عن فتى * له أبدا شوق الى ذلك القصر

منازل آساد وبيض نواعم * فناهيك من غيل وناهيك من خدر

وكم ليلة قد بت أنعم جنحها * بمخصبة الارداف مجدبة الخصر

سنداد اسم نهر ومنه قول أسود بن يعفر * أهل الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذى الشرفات من سنداد * اه قاله الجوهرى

وبيض وسمر فاعلات بمهجتى * فعال الصفاح البيض والاسل السمر
وليل بسد النهر لهوا قطعته * بذات سوار مثل منعطف البدر
نضت بردها عن غصن بان منعم * نضير كما انشق الكمام عن الزهر

(وأخبرنى ذخر الدولة بن المعتضد) أنه دخل عليه فى ليلة قد ثنى السرور منامها وامتطى الحبور غاربها وسنامها وراع الانس فؤادها وستر بياض الامانى سوادها وغازل نسيم الروض زوارها وعوادها ونور السرج قد قلص اذيالها ومحا من لجين الارض نبالها والمجلس مكتس بالمعال وصوت المثانى والمثالث عال والبدر قد كمل والنصف بضوئه القصر واشتمل وتزين بسناه وتجمل فقال (كامل)

ولقد شربت الراح يسطع نورها * والليل قد مد الظلام رداء
حتى تبدى البدر فى جوزائه * ملكا تناهى بهجة وبهاء
لما أراد تنزها فى غربه * جعل المظلة فوقها الجوزاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه * لألاؤها فاستكمل الألاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله * رفعت ثرياها عليه لواء
وحكيته فى الارض بين مواكب * وكواعب جمعت سنا وسناء
ان نشرت تلك الدروع حنادسا * ملأت لنا هذى الكؤس ضياء
واذا تغنت هذه فى مزهر * لم تأل تلك على التريك غناء

(وأخبرنى أبو بكر بن عيسى الدانى) المعروف بابن اللبانة أنه استدعاه ليلة الى مجلس قد كساه الروض وشيه وامتثل الدهر أمره فيه ونهيه فسقاه الساقى وحياه وسفر له الانس عن مونق محياه فقام للمعتمد مادحا وعلى دوحة تلك النعماء صادحا فاستجاد قوله وأفاض عليه طوله فصدر وقد امتلأت يداه وغمره جوده ونداه فلما حل بمنزله وافاه رسوله بقطيع وكاس من بلار وقد أترع بصرف العقار ومعهما (كامل)

جاءتك ليلا فى ثياب نهار * من نورها وغلالة البلار
كالمشترى قد لف من مريخه * اذ لفه فى الماء جذوة نار
لطف الجمود لذا وذا فتألفا * لم يلق ضد ضده بنفار
يتحير الراؤن فى نعتيهما * أصفاء ماء أم صفاء درارى

(وأخبرني ابن اقبال الدولة بن مجاهد) أنه كان عنده في يوم قد نشر من غيمه رداءند وأسكب من قطره ماء ورد وأبدى من برقه لسان نار وأظهر من قوس قزحه حنايا آس حفت بنرجس وجلنار والروض قد نفث رياه وبث الشكر لسقياه فكتب الى الطبيب أبي محمد المصري (خفيف)

أيها الصاحب الذي فارقت عيـ * ـني ونفسي منه السنا والسناء
نحن في المجلس الذي يهب الرا * حة والسمع والغنى والغناء
نتعاطى التي تسمى من اللذة والرقة الهوى والهواء
فأته تلف راحة ومحيا * قد أعد الك الحيا والحياء

فوافاه وألفى مجلسه قد ألبست أباريقه أجيادها وأقامت به خيل السرور طرادها وأعطته الاماني انطباعها وانقيادها وأهدت الدنيا ليومه مواسمها وأعيادها وخلعت عليه الشمس شعاعها ونشرت فيه الحدائق أيناعها فأديرت الراح وتعوطيت الاقداح وخامر النفوس الابتهاج والارتياح وأظهر المعتمد من ايناسه ما استرق به نفوس جلاسه ثم دعا بكبير فشربه كالشمس غربت في ثبير وعندما تناولها قام المصري ينشد أبياتا تمثلها (بسيط)

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا * بشاذ مهر ودع غمدان لليمن
فأنت أولى بتاج الملك تلبسه * من هوذة بن علي وابن ذي يزن

فطرب حتى زحف من مجلسه وأسرف في تأنسه وأمر فخلعت عليه ثياب لا تصلح الا للخلفاء وأدناه حتى أجلسه مجلس الاكفاء وأمر له بدنانير عددا وملأ بالمواهب منه يدا وكان مجلس ذي الوزارتين أبي الوليد بن زيدون منحطا عن مجلسه في القعود لانفاذ أوامر أبيه المعتضد فكتب اليه (رمل)

أيها المنحط عني مجلسا * وله في النفس أعلى مجلس
بفؤادي لك حب يقتضي * أن ترى تحمل فوق الارؤس

فكتب اليه ابن زيدون مراجعا (رمل)

أسقيط الطل فوق النرجس * أم نسيم الروض تحت الحندس
أم قريض جاءني من ملك * ما لك بالبر رق الانفس
يا جمال الموكب الغادي اذا * سار فيه يا بهاء المجلس
شرفت بكر المعالي خطبة * بك فانعم بسرور المعرس

وارتشف معسول ثغر أشنب * مجتنيه من مجاج ألعس
واغتبق بالسعد فى دست المنى * بصبح الصنع دهاق الاكؤس
فاعتراض الدهر فيما شئته * مرتق فى صدره لم يهجس

(وله فى غلام) رآه يوم العروبة من ثنيات الوغى طالعا ولطلا الابطال قارعا وفى الدماء والغا ولمستبشع كؤس المنايا سائغا وهو ظبى قد فارق كناسه وعاد أسدا اصارت القنا أخياسه ومتكاثف العجاج قد مزقه اشراقه وقلوب الدارعين قد شكتها أحداقه (كامل)

أبصرت طرفك بين مشتجر القنا * فبدا لطرفى أنه فلك
أوليس وجهك فوقه قمرا * يجلى بنير نوره الحلك

وله فيه (متقارب)

ولما اقتحمت الوغا دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحا * عليها سحاب من العنبر

(وتوجه اليه الوزير أبو الاصبغ بن أرقم) رسولا عن المعتصم ومعه الوزير أبو عبيد البكرى والقاضى أبو بكر ابن صاحب الاحباس فلما دنا من حضرته واقترب وبات منها على قرب معتقدا حلولها بجر غده أو ضحاه معتمدا مشاهدة فطر ذلك اليوم أو أضحاه بادر بالاعلام وكتب اليه على عادة الاعلام شعرا منه (بسيط)

ياملكا عظمته العرب والعجم * وواحدا وهو فى أثوابه أمم
انا وردنا والاقطار مظلمة * والبدر يرجى اذا ما التفت الظلم

فكتب اليه رحمه الله (بسيط)

أهلا بكم صحبتكم نحوى الديم * ان كان لم يتبجح لى بكم حلم
حثوا المطى ولوليلا بجهله * فلن تضلوا ومن بشرى لكم علم
لانتم القوم ان خطوا بجد قلم * وان يقولوا يصب فصل الخطاب فم
لاعى ان رقوا كتبا ولاحصر * اذ ينتدون ولا جور اذا حكموا
أقدم أبا الاصبغ المودود تلق فتى * هش المودة لا يزرى به سأم
هذا فؤادى قد طار السرور به * ان كنت تنقلك الوخادة الرسم
سأكتم الليل ما ألقاه من بعد * وأسأل الصبح عنكم حين يبتسم

(وأخبرنى ذخر الدولة) أنه استدعاه فى ليلة قد ألبسها البدر رداءه وأوقد فيها

اضواءه

الخزانة العامة ٦٤٠ ج

أضواءه وهو على البحيرة الكبرى والنجوم قد انعكست فيها بأضالها زهرا وقابلتها المجرة فسالت فيها نهرا وقد أرجت نوافح الند وماست معاطف الرند وحسد النسيم الروض فوشى بأسراره وأفشى أحاديث آسه وعراره ومشى مختالا بين لبات النور وأزراره وهو وجم ودمعه منسجم وزفراتها تترجم عن غرام وتجمجم عن تعذر مرام فلما نظر اليه استدناه وقربه وشكا اليه من الهجران ما استغربه وأنشد (متقارب)

أيا نفس لا تجزعى واصبرى * والا فان الهوى متلف
حبيب جفاك وقلب عصاك * ولاح لحاك ولا ينصف
شجون منعن الجفون الكرى * وعوضنها أدمعا تنزف .

فانصرف ولم يعلمه بقصته ولا كشف له عن غصته (وأخبرنى) أنه دخل عليه فى دار المزينة والزهر يحسد اشراق مجلسه والدر يحكى الساقى تأنسه وقد رددت الطير شدوها وجددت طربها وشجوها والغصون قد التحفت بسندسها والازهار تحيى بطيب تنفسها والنسيم يلم بها فتضعه بين أجفانها وتودعه أحاديث أذارها ونيسانها وبين يديه فتى من فتيانه يثنى تثنى القضيب ويحمل الكأس فى راحة أبهى من الكف الخضيب وقد توشح وكأن الثريا وشاحه وأنار فكان الصبح من محياه كان التضاحه فكلما ناوله الكأس خامره سوره وتخيل أن الشمس تهديه نوره فقال المعتمد (منسرح)

لله ساق مهفهف غنج * قام ليسقى فجاء بالعجب
أهدى لنا من لطيف حكمته * فى جامد الماء ذائب الذهب

ولما وصل لورقة استدعى ذا الوزارتين القائد أبا الحسن بن اليسع ليلته تلك فى وقت لم يخف فيه زائر من مراقب ولم يبد فيه غير نجم ثاقب فوصل وما للأمن الى فؤاده من وصول وهو يتخيل ان الجو صوارم ونصول بعد ان وصى بما خلف وودع من تخلف فلما مثل بين يديه أنسه وأزال توجسه وقال خرجت من اشبيلية وفى النفس غرام طويته بين ضلوعى وكففت فيه غرب دموعى بفتاة هى الشمس أو كالشمس أخالها ولا يحول قلبها ولا خلخالها وقد قلت فى يوم وداعها عند تفطر كبدى وانصداعها (طويل)

ولما التقينا للوداع غدية * وقد خفقت فى ساحة القصر رايات

بكينا دما حتى كأن عيوننا * بجرى الدموع الحمر منها جراحات

وقد زارتني هذه الليلة في مضجعي وأبرأتني من توجعي ومكنتني من رضابها وفتنتني بدلالها وخضابها فقلت (طويل)

أباح لطيفي طيفها الخد والنهدا * فعض به تفاحة واجتنى وردا
ولو قدرت زارت على حال يقظة * ولكن حجاب البين ما بيننا مدّا
أما وجدت عنا الشجون معرجا * ولا وجدت منا خطوب النوى بدّا
سقى الله صوب القطر أمّ عبيدة * كما قد سقت قلبي على حره بردا
هي الظبي جيدا والغزالة مقلة * وروض الربا عرفا وغصن النقا قدّا

فكرر استجادته وأكثر استعادته فأمر له بخمسمائة دينار وولاه لورقة من حينه (وأخبرني الوزير الفقيه أبو الحسن بن سراج) أنه حضر مع الوزراء والكتاب بالزهراء في يوم غفل عنه الدهر فلم يرمقه بطرف ولم يطرقه بصرف أرخت به المسرات مهدها وأبرزت له الاماني خدها وأرشفت فيه لماها وأباحت للزائرين حماها ومازالوا ينتقلون من قصر الى قصر ويبتذلون الغصون بجني وهصر ويتوقلون في تلك الغرفات ويتعاطون الكؤس بين تلك الشرفات حتى استقروا بالروض من بعد ما قضوا من تلك الآثار أوطارا وأوقروا بالاعتبار قطارا فحلوا منه في درانيك ربيع مفوّفة بالازهار مطرّزة بالجداول والانهار والغصون تختال في أدواحها وتنثني في أكف أرواحها وآثار الديار قد أشرفت عليهم كثكالى ينحن على خرابها وانقراض أطرابها والوهي بمشيدها لاعب وعلى كل جدار غراب ناعب وقد محت الحوادث ضياءها وقلصت ظلالها وأفياءها وطالما أشرقت بالخلائف وابتهجت وفاحت من شذاهم وأرجت أيام نزلوا خلالها وتفيؤا ظلالها وعمروا حدائقها وجناتها ونبهوا الآمال من سناتها وراعوا الليوث في آجامها وأخجلوا الغيوث عند انسجامها فأضحت ولها بالتداعي تلفع واعتجار ولم يبق من آثارها الانؤى وأحجار وقد هوت قبابها وهرم شبابها وقد يلين الحديد ويبلى على طيه الجديد فبينماهم يتعاطونها صغارا وكبارا ويديرونها انسا واعتبارا اذا برسول المعتمد قد وافاهم برقعة فيها (خفيف)

حسد القصر فيكم الزهراء * ولعمري وعمركم ما أساء

قد طلعتم بها شموسا صباحا * فاطلعوا عندنا بدورا مساء

فساروا الى قصر البستان بباب العطارين فألفوا مجلسا قد حار فيه الوصف واحتشد به اللهو والقصف وتوقدت نجوم مدامه وتأودت قدود خدامه وأربى على الخورنق والسدير وأبدى صفحة البدر من أزرار المدير فأقاموا ليلتهم ماطرقهم نوم ولا عراهم عن طيب اللذات سوم وكانت قرطبة منتهى أمله وكان رومُ أمرها أشهى عمله ومازال يخطبها بمداخلة أهلها ومواصلة واليها اذ لم يكن فى منازلها قائد ولم يكن لها الا حيل ومكائد لاستمساكهم بدعوة خلفائها وأنفتهم من طموس رسم الخلافة وعفائها وحين اتفق له تملكها وأطلعه فلكها وحصل فى قطب دارتها ووصل الى تدبير رياستها وادارتها قال (بسيط)

من للملوك بشأو الاصيد البطل * هيهات جاءتكم مهدية الدول

خطبت قرطبة الحسناء اذ منعت * من جاء يخطبها بالبيض والاسل

وكم غدت عاطلا حتى عرضت لها * فاصبحت فى سرى الحلى والحلل

عرس الملوك لنا فى قصرها عرس * كل الملوك به فى مأتم الوجل

فراقبوا عن قريب لا أبا لكم * هجوم ليث بدرع البأس مشتمل

ولما انتظمت فى سلكه واتسمت بملكه أعطى ابنه الظافر زمامها وولاه نقضها وابرامها فأفاض فيها نداه وزاد على أمده ومداه وجلها بكثرة حبائه واشتغل باعبائها عن فنائه ولم يزل فيها آمرا وناهيا غافلا عن المكر ساهيا حسن ظن بأهلها اعتقده واغترارا بهم ماوراه ولا انتقده وهيهات كم من ملك كفنوه فى دمائه ودفنوه بندمائه وكم من عرش ثلوه وعزيز أذلوه الى ان ثار فيها ابن عكاشة ليلا وجرّ اليها حربا وويلا فبرز الظافر منفردا من كماته عاريا عن حماته وسيفه فى يمينه وهاديه فى الظلماء نور جبينه فانه كان غلاما كما بلله الشباب باندائه وألحفه الحسن بردائه فدافعهم أكثر ليله وقد منع منه تلاحق رجله وخيله حتى أمكنتهم منه عثرة لم يقل لها لعا ولا استقل منها ولا سعى فترك ملتحفا بالظلماء معفرا فى وسط الحماء تحرسه الكواكب بعد المواكب ويستره الحندس بعد السندس فمرّ بمصرعه سحرا أحد أئمة الجامع المغلسين وقد ذهب ما كان عليه ومضى وهو أعرى من الحسام المنتضى فخلع رداءه عن منكبيه ونضاه وستره به

سترا أقنع الجد وأرضاه وأصبح لا يعلم رب تلك الصنيعة ولا يعرف فتشكر له يده الرفيعة فكان المعتمد اذا تذكر صرعته وسعر الجوى لوعته رفع بالعويل نداءه وأنشد ولم أدر من ألقى عليه رداءه * ولما كان من الغد حز رأسه ورفع على سن رمح وهو يشرق كنار على علم ويرشق نفس كل ناظر بألم فلما رمقته الابصار وتحققته الحماة والانصار رموا أسلحتهم وسووا للفرار أجنحتهم فمنهم من اختار فراره وجلاه ومنهم من أتت به الى حينه رجلاه وشغل المعتمد عن رثائه بطلب ثاره ونصب الحبائل لوقوع ابن عكاشة وعثاره وعدل عن تأبينه الى البحث عن مفرقه وجبينه فلم تحفظ له فيه قافية ولا كلمة للوعته شافية الا اشارته اليه فى تأبين أخويه المأمون والراضى المقتولين فى أول النائرة والفتنة الثائرة التى ينتهى بنا القول الى سرد خبرها ونص عبرها فانه قال (طويل)

يقولون صبرا لا سبيل الى الصبر * سأبكى وأبكى ما تطاول من عمرى
نرى زهرها فى مأتم كل ليلة * يخمشن لهفا وسطه صفحة البدر
ينحن على نجمين أثكلن ذا وذا * ويا صبر ما للقلب فى الصبر من عذر
مدى الدهر فليبك الغمام مصابه * بصنويه يعذر فى البكاء مدى الدهر
بعين سحاب واكف قطر دمعها * على كل قبر حل فيه أخو القطر
وبرق ذكى النار حتى كأنما * يسعر مما فى فؤادى من الجمر
هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه * يزيد فهل بعد الكواكب من صبر
أفتح لقد فتحت لى باب رحمة * كما بيزيد الله قد زاد فى أجرى
هوى بكما المقدار عنى ولم أمت * وأدعى وفيا قد نكصت الى الغدر
توليتما والسن بعد صغيرة * ولم تلبث الايام ان صغرت قدرى
فلو عدتما لاخترتما العود فى الثرى * اذا أنتما أبصرتمانى فى الاسر
يعيد على سمعى الحديد نشيده * ثقيلا فتبكى العين بالحس والنقر
معى الاخوات الهالكات عليكما * وأمكما الثكلى المضرمة الصدر
فتبكى بدمع ليس للقطر مثله * ويزجرها التقوى فتصغى الى الزجر
أبا خالد أورثتنى البث خالدا * أبا النصر مذ ودعت ودعنى نصرى
وقبلكما ما أودع القلب حسرة * تجدد طول الدهر ثكل أبى عمرو

وكان المعتصم بن صمادح قد اختص بأمير المسلمين رحمه الله أيام جوازه البحر الى

حماية الاندلس حين فغر العدو عليها فما وأسال دموع أهلها دما وملأ نفوسهم رعبا وأخذ كل سفينة غصبا ففل الله به غربه وحكم فيه طعنه وضربه فما سعدت نجومه ولا قعدت عن شياطينه رجومه في يوم عروبة لم يكن فيه جمع الا في المدى ولم تركع فيه الا رؤس العدا ولم يطل فيه الاذابل وحسام ولم يصل فيه الا بطل مقدام وهو يوم شفى الاسلام بعدما أشفى واقتص من أيام الروم واستوفى وكان للمعتمد رحمه الله فيه ظهور وغناء مشهور جلا مشكلات عجاجه وجلا الروم عن غيطانه ونجاجه بعد مالقى حره وسقى أمره وكلم العدو يده وثلم عدده وتخاذل فيه رؤساء الاندلس فلم يعمل لهم فيه سنان ولم يكحل جفونهم من قتامه عنان والمعتمد يلقى أسنتهم بلباته وتثنى الذوابل ولا ينثنى من عناته وفى ذلك يقول ابن عبادة (وافر)

وقالوا كفه جرحت فقلنا * أعاديه تواقعها الجراح
وما أثر الجراحة ما رأيتم * فتوحتها المناصل والرماح
ولكن فاض سيل البأس منها * ففيها فى مجاريه انسياح
وقد صحت وسحت بالامانى * وفاض الجود منها والسماح
رأى منه أبو يعقوب فيها * عقابا لا يهاض له جناح
فقال له لك القدح المعلى * اذا ضربت بمشهدك القداح

وفى ذلك يقول عبد الجليل ويشير الى أمير المسلمين وحسن بلائه وما أظهر المعتمد من اخلاصه وولائه وأول القصيدة (وافر)

أظن خطوبها قالت سلام * فلم يعبس لها منك ابتسام

ومنها

فثار الى الطعان حليف صدق * تثور به الحفيظة والذمام
نماه فى حمير وغسان نجم * وتلك وشائج فيها التحام
تهجن اسيله نهجا فوافى * وفى آذيه الطامى عرام
فهيل به كثيب الكفر هيلا * وكل رقيقة منها ركام
وأصبح فوق ظهر الارض أرضا * كأن وهادها منهم اكام
عديد لايشار فيه حساب * ولا يحوى جماعته زمام
تألفت الوحوش عليه شتى * فما نقص الشراب ولا الطعام

فان يهجو اللعين فلا كثير * ولكن مثل ما تهجو اللئام
فيا ادفنش يا مغرور هلا * تجنبت المشيخة يا غلام
ستسألك النساء ولا الرجال * فحدث ما وراءك يا عصام
وراقبها بأرضك طالعات * كما تهدى صواعقها الغمام
أقمت لذا الوغى سوقا فخذها * مناجزة وعوتن ما تسام
فان شئت اللجين فثم سام * وان شئت النضار فثم حام
جلالك فوق ما يعطيك وهم * وفعلك فوق ما يسع الكلام
وأنت النعمة البيضاء فاسلم * لنا وليطرد فيك التمام

ومازال ابن صمادح يتصنع اليه بكل معنى يغرب ويفسد ما بينه وبين المعتمد ويخرب ويورش بينهما ويضرب فلما أعلم بقبيح سعيه وعلم حقيقة بغيه كتب اليه (كامل)

يامن تعرض لى بريد مساءتى * لاتعرضن فقد نصحت لمندم
من غره منى خلائق سهلة * فالسم تحت لبان مس الارقم

ومن منازعه الشريفة ومقاطعه المنيفة وشيمه الملكية وهممه الفلكية أن ابن زيدون الذى كان وزيرا بيه الذى أظهر صولته ودبر دولته وأدجى ضحاها وأدار بالمكاره رحاها وأغراه بأعدائه وزين له الايقاع بعماله ووزرائه فغدا شجا فى صدورهم ونكدا فى سرورهم فلما هيل التراب على المعتضد وأفضى أمره الى المعتمد ثاروا الى طلب ابن زيدون وجاشوا وبروا فى البغى له وراشوا وأغروه بنكبته وأروه الرشاد فى هدم رتبته وأرادوه بالذى أرادهم وكادوه كما كادهم فرموا الى المعتمد برقعة فيها (كامل)

يا أيها الملك العلى الاعظم * اقطع وريدى كل باغ ينئم
واحسم بسيفك داء كل منافق * يبدى الجميل وضد ذلك يكتم
لاتحقرن من الكلام قليله * ان الكلام لمسيوف تكلم
والملك يحمى ملكه عن لفظة * تسرى فتجلى عن دواه تعظم
فضلا عن الكلم الذى قد أصبحت * غوغاؤنا جهرا به تتكلم
فالله يعلم ان كل مؤمل * مثلى على حذر وخوف منهم
فالدمع من أجفاننا متهلل * والنار فى أحشائنا تتضرم

ولقد علمت ولن يبصرك الهدى * فلانت أهدى فى الامور وأعلم
ان الملوك تخاف من أبنائها * فتحل من مهجاتهم مايحرم
ولذاك قيل الملك أعقم لم يزل * فيه الولى بشبر حرباتضرم
فاحسم دواعى كل شر دونه * فالداء يسرى ان غدا الايحسم
كم سقط زند قد نما حتى غدا * بركان نار كل شئ يحطم
وكذلك السيل الجحاف فانما * أولاه طل ثم وبل يسجم
والمال يخرج أهله عن حدهم * فافهم فانك بالبواطن أفهم
واذكر صنيع أبيك أول مرة * فى كل منهم فانك تعلم
لم يبق منهم من توقع شره * فصفت له الدنيا ولذ المطعم
فعلى م تنكل عن صنيع مثله * ولانت أمضى فى الخطوب وأشهم
وجنانك الثبت الذى لاينثنى * وحسامك العضب الذى لايكهم
والحال أوسع والعوالى جمة * والجد أشمخ والصريمة ضيغم
لاتتركن للناس موضع تهمة * واحزم فمثلك فى العظائم يحزم
قد قال شاعر كندة فيما مضى * بيتا على مر الليالى يعلم
لايسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم
فاجعله قدوتك التى تعتادها * فى كل من يبغى وراًيك أحكم
واسلم على الايام انك زينها * وجمالها والدهر دونك مأتم
لازلت بالنصر العزيز مهنأ * والدين عن محمود سعيك يبسم
وغدت على الاعداء منك رزية * لاتستقل بها وخطب صيلم
ووقيت مكروه الحوادث واغتدت * طير السعود بأيككم تترنم

فلما قرأها المعتمد عف عما أرادوه وكف ألسنة الذين كادوه بمراجعة حلت من بغيهم ما انعقد وزأرت عليهم زئير الليث على النقد دلت على تحققه بالرياسة وتسنمه لذرى النفاسة وتقليده لأئمة العدل المعرضين عن الوشاة الرافضين للبغاة العارفين بمعانى السعايات وأسبابها النابذين لاصحابها وأربابها فأجمل حلى الملوك التصام عن سماع القدح فى ولى والتعاظم عن الوضع لعلى والهجر لمن بغى والزجر لمن نعب بمكروه أو رغا والمراجعة (كامل)

كذبت مناكم صرحوا أو جمجموا * الدين أمتن والسجية أكرم

خنتم ورمتم أن أخون وربما * حاولتم أن يستخف يلملم
وأردتم تضييق صدر لم يضق * والسمر فى ثغر النحور تحطم
وزحفتم بمحالكم لمجرب * مازال يثبت للمحال فيهزم
أنى رجوتم غدر من جربتم * منه الوفاء وظلم من لا يظلم
أماذ لكم لا البغى يثمر غرسه * عندى ولا مبنى الصنيعة يهدم
كفوا والا فارقبوا لى بطشة * يلقى السفيه بمثلها فيحلم

فلما بلغ ابن زيدون ما راجعهم به وتحقق حسن مذهبه وعلم أن مخيلتهم قد أخفقت وسعايتهم ما نفقت وسهامهم تهزعت ومكائدهم تبددت وتوزعت قال يمدحه ويعرض بهم (كامل)

الدهر ان أسأل فصيح أعجم * يعطى اعتبارى ما جهلت فأعلم
واذا الفتى قدر الحوادث قدرها * ساوى لديه الشهد منها العلقم
واذا انظرت فلا اغترار يتقضى * كنه المآل ولا توق يعصم
كم قاعد يحظى تعجل حظه * من جاهد يصل الدؤوب فيحرم
وأرى المساعى كالسيوف تبادرت * شأو المضاء فمنثن ومصمم
ولكم تسامى بالرفيع نصابه * خطرا فناصبه الوضيع الالأم
وأشد فاجئة الدواهى محسن * يسعى فيعطفه الجريمة مجرم
تلقى الحسود أصم عن جرس الرقى * ولقد يصيخ الى الرقاة الارقم
قل للبغاة المنبضين قسيهم * سترون من تصميه تلك الاسهم
أسررتم فرأى نجى غيوبكم * شيحان ملوم عليها ملهم
وعبأتم للفسق ظفر سعاية * لم يعدكم اذ رقة وهو مقلم
ونبذتم التقوى وراء ظهوركم * فغدا نقيضكم التقى المسلم
ما كان حلم محمد ليصيله * عن عهده دغل الضمير مذمم
ملك تطلع للنواظر غرة * زهراء زين بها الزمان الادهم
يغشى النواظر من جهير روائه * خلق يرى ملء الصدور رمطهم
وسنا جبين يستبين شعاعه * يغنى عن القمرين من يتوسم
خلق تود الشمس لو صيغت له * تاجا ترصع جانبيه الانجم
فضحت محاسنه الرياض بكا الحيا * وهمى عليها فاغتدت تتبسم

فالغدر يبعد والتواضع يدنى * والبشر يشمس والندى يتغيم
جذلان فى يوم الوغا متطلق * وجها اليها و الردى متجهم
بأس كما صال الهزبر ازاءه * جود كما جاش الخضم الخضرم
نفسى فداؤك ايها الملك الذى * كل الملوك له العلاء يسلم
سدت الجميع فليس منهم منكر * ان صرت فذهم الذى لا يتأم
لا غرو أن المجد فى حكم الحجى * من أن يضاف اليك صنو أعقم
ما ان يرى كنصالك الزهر التى * منها على زهر الكواكب ميسم
المحتد الزاكى السرى والسودد السامى الذوائب والفخار الاعظم
والحلم يرسخ هضبه والعلم يز * خر بحره ولظى الذكا تتضرم
دع ذكر صخر وابن صخر بعده * أنت الحليم و غيرك المتحلم
لك عفوشهم لا يضيع حزامة * ولئن بطشت فبطش من لا يظلم
ان الكمال شرحت معنى لفظه * ولكان وهو المشكل المستبهم
الله قد أرضاه منك تحرج * ثقف وعقد فى التقى مستحكم
لما اعتمدت عليه كان بنصره * دأبا مؤيدك الذى لا يسلم
فتى أؤدى فرض أنعمك التى * وبلت كما يبل السحاب المسجم
اعطيتنى متن السماك برتبة * علياء منكب عزها لا يزحم
وتركت حسادى عليك وكلهم * شاكى حشى يدوى وأنف يرغم
نصح العدا فى زعمهم فوقتهم * والغش فى بعض النصائح مدغم
وثناهم ثبت قناة اناته * خلقا يصلب متنها اذ يهجم
وزهاهم نظم الهراء فكفهم * نظم عقود السحر منه تنظم
اشرعت منه الى الغواة أسنة * نفذت وقد ينبو الطرير اللهذم
فرق عوت فزأرت زأرة زاجر * راع الكليب بها السبتنى الضيغم
ياليت شعرى هل يعود سفيههم * ام قد جاء النجم ذاك الاكتم
لى منك فليذب الحسود تلظيا * لطف المكانة والمحل الاكرم
وشفوف حظ ليس يفتأ يجتلى * غض الشباب وكل غض يهرم
لم تلف صاغيتى لديك مضاعة * كلا ولا حق اصطناعى الاقدم
بل أوسعت حفظا وصدق رعاية * ذمم موثقة العرى لا تفصم

فليفخر قرن الارض شكر منجد * منى تناقله المحافل متهم
عطر هو المسك السطيع بطيب في * شم العقول اريجه المتنسم
فاذا غصون المكرمات تهدلت * كان الهديل ثناءها المترنم
الفخر تغر عن حياضك باسم * والمجد برد من وفائك معلم
فاسلم مدى الدنيا فانت جمالها * وتسوغ النعمى فانك منعم

ولما ثل عرش الخلافة وخوى نجمها ووهى ركن الامامة وطمس رسمها وصار الملك دعوى وعادت العافية بلوى استنسر البغاث وصحت الاضغاث واستأسد الظبي في كناسه وثار كل أحد في ناسه وخلت المنابر من رقاتها وفقدت الجمع مقيمي أوقاتها وكان باديس بن حبوس بغرناطة عاثيا في فريقه عادلا عن سنن العدل وطريقه يجترئ على الله غير مراقب ويجرى الى ماشاء غير ملتفت للعواقب قد حجب سنانه لسانه وسبقت اساءته احسانه ناهيك من رجل لم يبت من ذنب على ندم ولا شرب الماء الا من قليب دم أحزم من كاد ومكر وأجرم من راح وابتكر ومازال متقدا في مناحيه مفتقدا النواحيه لا يرام بريث ولا عجل ولا يبيت لجار الا على وجل الى ان وكل أمره الى أحد اليهود واستكفاه وجرى في ميدان لهوه حتى استوفاه وامره اضيع من مصباح الصباح وهمه في غبوق واصطباح وبلاده مراد للفاتك وستره في يد الهاتك فسقط الخبر على المعتضد بالله ملقح الحرب ومنتج الطعن والضرب الذى صاد الطير تحت أجنحة العقبان وأخذ الفريسة من فم الثعبان فسدد الى مالقة سهمه وسنانه وردّ اليها طرفه وبنانه وصمم اليها تصميم سابور الى الحضر وعزم عليها عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم على النضر ووجه اليها جيشه المتزاحم الافواج المتلاطم الامواج وعليه سيفه المستل وحتفه المحتل ابنه المعتمد سهام الاعادى وحمام الاسد العادى فلما أطل عليها اعطته صفقتها وأمطته صهوتها الا قصبتها فانها امتنعت بطائفة من السودان المغاربة لم يرضوا اسفاحها ولا أمضوا انكاحها وفى أثناء امتناعهم وخلال مجادلتهم ودفاعهم طيروا الى باديس من ذلك خبرا أصحاه من نشوته وحماه على صبوته فأخرج من حينه كتيبته التى كانت ترمى بالزبد ولا تنثنى عن القنا القصد وعليها ابن النباية قائد جنده وموري زنده وقد كان اشار على المعتمد برابره بتنفيس الممتنعين ولووه عن

مساورتهم

مساورتهم وثنوه عن مراوحتهم ومباكرتهم ومنعوه من نزالهم وأطمعوه في استنزالهم واغماضه كان ذلك أبقى على الاقارب واتقى على أولئك المغارب فعدل عن انتهاز فرصتهم وابراء غصتهم الى الاستراحة من تعبه والاناخة على لهوه ولعبه وتفرق أصحابه في ارتياد القنيات وطراد اللذات فما أمسى الا وقد غشيه ليلها وسال عليه سيلها وأصحابه بين صريع رحيق ومنادى من مكان سحيق فخاب سعيه وبال رأيه ونجا برأس طمرة ولجام وأوى الى أحد المعاقل أعرى من الحسام فحقد المعتضد عليه تنفيسه لاهل القصبة واصاخته الى تلك العصبة وضربه بالعصى ونكاه نكيل القصى فكتب اليه (بسيط مخلع)

مولاى أشكو اليك داء * أصبح قلبي به جريحا
سخطك قد زادني سقاما * فابعث الى الرضا مسيحا

فعفا عنه وصفح وعبق له عرف رضاه ونفح وقد كان قبل كتب اليه حين أمره بالمقام بالموضع الذي نحا اليه مسجونا يسليه ويعرض له بالبر ويستعطفه مما حصل فيه (بسيط)

سكن فؤادك لا تذهب به الفكر * ماذا يعيد عليك البث والحذر
فان يكن قدر قد عاق عن وطر * فلا مرد لما يأتي به القدر
وان تكن خيبة في الدهر واحدة * فكم غزوت ومن أشياعك الظفر
يا فارسا تحذر الابطال صولته * صن حد عبدك فهو الصارم الذكر
قد أخلقتني صروف أنت تعلمها * وغال مورد آمالي بها كدر
فالنفس جازعة والعين دامعة * والصوت منخفض والطرف منكسر
قد حلت لونا وما بالجسم من سقم * وشبت رأسا ولم يبلغني الكبر
لم يأت عبدك ذنبا يستحق به * عتبا وها هو قد ناداك يعتذر
ما الذنب الا على قوم ذوى دغل * وفى لهم عدلك المألوف اذ غدروا
قوم نصيحتهم غش وحبهم * بغض ونفعهم ان صرفوا ضرر
يميز البغض في الالفاظ ان نطقوا * ويعرف الحقد في الالحاظ ان نظروا

ولما بدت الفتنة وسال سيلها وانسحب على بهجة الهدنة ذيلها نازل المرابطون قرطبة وفيها ابنه المأمون وكان أشهر ملوك أوانه خبرا وأيمنهم طيرا ما اشتغل

بمعاطاة المدامة ولا توغل للعصيان شعب ندامة فأقاموا عليها شهورا وأرخوا من محاصرتها والتضييق عليها ستورا يساورونها مساورة الاراقم ويباكرونها بدا من الحصار فاقم والمأمون قد أوجس فى نفسه خيفة وتوقع منهم داهية مطيفة فنقل ماله وأهله الى المدور بعد أن حصنه وملأه بالعدد وشحنه وأقام بقصر قرطبة مضطربا ولا ول نبأة مصيخا ومرتقبا الى أن صبحوها يوما العدة كانت بينهم وبين أهلها فى تسنم أسوارها وتقحم انجادها وأغوارها فوقفوا هاربين وتشوفوا راهبين وأهلها يدعون بشعارهم ويتبعون أهواء مردتهم ودعارهم وكلهم يبدى تلوّمه واحجامه ويعتقده ولا يرى اقتحامه الى ان استسهلوا استصعابه وتوغلوا شعابه وصمموا الى القصر وقد علموا قعود الجماعة عن الحماية له والنصر فلما أحس بهم المأمون خرج بعد قليل وحد قليل وقد رتبت له بطريقه رصائد ونصبت له فيها مصايد علق فيها زمامه ورشق اليه منها حمامه فانقضوا عليه انقضاض الجارح وانصبوا اليه انصباب الطير الى المسارح فلم يكن له فيها ابن يعرج ولا وجد للخلاص بابا يفرج فقطع رأسه وحيز وخيض به النهر وأجيز ولما استقر بالمحلة رفع على سن رمح وطيف به فى جوانبها وأخيف به قلب محاربها وبقى جسده على الارض مطروحا كأنه لم يكن للملك روحا ولا اختال فى عراصه فحكى غصنا مروحا وذلك بتقدير العليم ثم انتقلوا الى رندة احد معاقل الاندلس الممتنعة وقواعدها السامية المرتفعة تطارد منها على بعد ملتقاها ودنوّ النجوم من ذراها عيون لانصبابها دوىّ كالرعد القاصف والرياح العواصف ثم تسكون واديا يلتوى بجوانبها التواء الشجاع ويزيدها فى التوعر والامتناع وقد تجونت نواحيها وأقطارها وتكونت فيها لباناتها وأوطارها لا يتعذر لها مطلب ولا يتصور فيها عدوّ الا علقه ناب أو مخلب فاناخوا منها على بعد وأقاموا من الرجاء بها على غير وعد وفيها ابنه الراضى لم يحفل باناختهم بازائه ولا عدها من أرزائه لامتناعه عن منازلتهم وارتفاعه عن مطاولتهم الى أن انقضى فى أمر اشبيلية ما انقضى وافضى أمر ابيه الى ما افضى فحمل على مخاطبة ولده لينزل عن صياصيه ويمكنهم من نواصيه فنزل برّا بأبيه وابقاء على أرماق ذويه بعد ان عاقدهم مستوثقا وأخذ عليهم عهدا من الله وموثقا فلما وصل اليهم وحصل فى أيديهم مالوا به عن الحصن

وجزعوه

وجرّعوه الردى واقطعوه الثرى حين أودى وفى ذلك يقول المعتمد رثيهما وقد رأى قرية باكية بشجنها نائحة بفننها على سكنها وأمامها وكر فيه طائران يرددان نغما ويغرّدان ترحة وترنما (طويل)

بكت أن رأت الفين ضمهما وكر * مساء وقد أخنى على الفها الدهر
وناحت فباحت واستراحت بسرها * وما نطقت حرفا يبوح به سر
فمالى لا أبكى أم القلب صخرة * وكم صخرة فى الارض يجرى بها نهر
بكت واحدا لم يشجها غير فقده * وأبكى لألاف عديدهم كثر
بنى صغيرا وخليل موافق * يمزق ذا قفر ويغرق ذا بحر
ونجمان زين للزمان احتواهما * بقرطبة النكداء أو رندة القبر
غدرت اذا ان ضن جفنى بقطرة * وان لؤمت نفسى فصاحبها الصبر
فقل للنجوم الزهر تبكيهما معى * لمثلهما فلتحزن الانجم الزهر

ولما تم فى الملك أمده وأراد الله أن تخترم مدده وتنقرض أيامه وتتقوض عن عراص الملك خيامه نازلته جيوش أمير المسلمين ومحلاته وظاهرته فساطيطه ومظلاته بعدما انثرت حصونه وقلاعه وسعرت بالنكاية جوارحه وأضلاعه وأخذت عليه الفروج والمضايق وثنت اليه الموانع والعوائق وطرقته طوارقها بلاضرار وأمطرته كل ديمة مدرار وهو ساه بروض ونسيم لاه براح ومحيا وسيم زاه بفتاة تنادمه ناه عن هدم أنس هو هادمه لا يصيخ الى نبأة سمعه ولا ينيخ الا على لهو يفرّق جموعه جمعه قد ولى المدامة ملامه وثنى الى ركنها طوافه واستلامه وتلك الجيوش تجوش خلاله وتقلص ظلاله وحين اشتد حصاره وعجزت عن المدافعة أنصاره ودلس عليه ولاته وكثرت ادواؤه وعلاته فتح باب الفرج وقد لفح شواظ الهرج فدخلت عليه من المرابطين زمرة واشتعلت لهم من التغلب جمرة تأجج اضطرامها وسهل بها ايقاد البقية واضرامها وعند ماسقط الخبر عليه خرج حاسرا من مفاضته جامحا كالمهر قبل رياضته فلحق أوائلهم عند الباب المذكور وقد انتشروا فى جنباته وظهروا على البلد من أكثر جهاته وسيفه فى يده يتلمظ الطلا والهام ويعد بانفراج ذلك الابهام فرماه أحد الداخلين برمح تخطاه وجاوز مطاه فبادره بضربة أذهبت نفسه وأغربت شمسه ولقى ثانيا فضربه وقصمه وخاض حشى ذلك الداء فحسمه فأجلوا عنه

وولوا فرارا منه فأمر بالباب فسد وبني منه ما هدّ ثم انصرف وقد اراح نفسه وشفاها وأبعد الله عنه الملامة ونفاها وفي ذلك يقول عندما خلع واودع من المكروه ما أودع (كامل مجزوء)

ان يسلب القوم العدا * ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه * لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم * أن لا تحصنني الدروع
وبرزت ليس سوى القميص * على الحشى شيء دفوع
أجلي تأخر لم يكن * بهواي ذلي والخضوع
ما سرت قط الى القتا * ل وكان من أملي الرجوع
شيم الأولى أنا منهم * والاصل تتبعه الفروع

ومازالت عقارب تلك الداخلة تدب وريحها العاصفة تهب وضلوعها تحنق وتحقد وتضمر الغدر وتعقد حتى دخل البلد من واديه وبدت من المكروه بواديه وكرّ عليه الدهر بعوائده وعواديه وهو مستمسك بعرى لذاته منغمس فيها بذاته ملقى بين جواريه مغترّ بودائع ملكه وعواريه التي استرجعت منه في يومه ونبهه فواتها من نومه ولما انتشر الداخلون في البلد واوهنوا القوى والجلد خرج والموت يتسعر في ألحاظه ويتصدّر من ألفاظه وحسامه يعد بمضائه ويتوقد عند انقضائه فلقيهم في رحبة القصر وقد ضاق بهم فضاؤها وتضعضعت من رحبتهم أعضاؤها فحمل فيهم حملة صيرتهم فرقا وملأتهم فرقا ومازال يوالي عليهم الكر حتى أوردهم النهر ومابهم جواد وأودعهم حشاه كأنهم له فؤاد ثم انصرف وقد أيقن بانتهاب ماله وذهاب ملكه وارتحاله وعاد الى قصره واستمسك به يومه وليلته مانعا لحوزته دافعا للذل عن عزته وقد عزم على أفظع أمر وقال بيدي لا بيد عمرو ثم صرفه تقاه عما كان نواه فنزل من القصر بالقسر الى قبة الاسر فقيد للحين وحان له يوم شر ما ظنّ أنه يحين ولما قيدت قدماه وبعدت عنه رقة الكبل ورحماه قال يخاطبه (طويل)

اليك فلو كانت قيودك أشعرت * تصرّم منها كل كف ومعصم
مخافة من كل الرجال بسيبه * ومن سيفه في جنة أو جهنم

ولما آلمه عضه ولازمه كسره ورضه وأوهاه ثقله وأعياه نقله قال (متقارب)

تبدلت

تبدلت من عز ظل البنود * بذل الحديد وثقل القيود
وكان حديدى سنانا ذليقا * وعضبا رقيقا صقيل الحدود
فقد صار ذاك وذا أدهما * يعض بساقى عض الاسود

ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجوارى المنشآت وضمتهم جوانحها كأنهم أموات بعد ما ضاق عنهم القصر وراق منهم العصر والناس قد حشروا بضفتى الوادى وبكوا بدموع كالغوادى فساروا والنوح يحدوهم والبوح باللوعة لا يعدوهم وفى ذلك يقول ابن اللبانة (بسيط)

تبكى السماء بمزن رائح غاد * على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التى هدت قواعدها * وكانت الارض منهم ذات أوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * أساود لهمو فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تخدمها * فاليوم لا عاكف فيها ولا باد
يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ * فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه * خف القطين وجف الزرع بالوادى
وأنت يا فارس الخيل التى جعلت * تختال فى عدد منهم واعداد
ألق السلاح وخل المشرفى فقد * أصبحت فى لهوات الضيغم العادى
لما دنا الوقت لم تخلف له عدة * وكل شىء لميقات وميعاد
ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا * وقد خلت قبل حمص أرض بغداد
حموا حريمهم حتى اذا غلبوا * سيقوا على نسق فى حبل مقتاد
وانزلوا فى متون الشهب واحتملوا * فويق دهم لتلك الخيل انداد
وعيث فى كل طوق من دروعهم * فصيغ منهن اغلال لاجياد
نسيت الاغداة النهر كونهم * فى المنشآت كأموات بالحاد
والناس قد ملؤا العبرين واعتبروا * من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حط القناع فلم تستر مخدرة * ومزقت أوجه تمزيق أبراد
حان الوداع فضجت كل صارخة * وصارخ من مفداة ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها * كأنها ابل يحدو بها الحادى
كم سال فى الماء من دمع وكم حملت * تلك القطائع من قطعات أكباد

ولما نقل من بلاده وأعرى من طارفه وتلاده وحمل فى السفين وأحل فى العدوة

محل الدفين تندبه منابره واعواده ولايدنو منه زواره ولاعواده بقى آسفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد المذانب عبراته لايخلو بمؤانس ولايرى الاعربنا بدلامن تلك المكانس ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ولم يروجه مسرة مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور بهجتها فراقته وتخيل استيحاش أوطانه واجهاش قصره الى قطانه واظلام جوه من أقماره وخلوه من حراسه وسماره فقال (بسيط)

بكى المبارك فى اثر ابن عباد * بكى على اثر غزلان وآساد
بكت ثرياه لاغمت كواكبها * بمثل نوء الثريا الرائح الغادى
بكى الوحيد بكى الزاهى وقبته * والنهر والتاج كل ذله باد
ماء السماء على أبنائه درر * يالجة البحر دومى ذات أزباد

وفى ذلك يقول ابن اللبانة (بسيط)

استودع الله أرضا عندما وضحت * بشائر الصبح فيها بدلت حلكا
كان المؤيد بستانا بساحتها * يجنى النعيم وفى عليائها فلكا
فى أمره لملوك الدهر معتبر * فليس يغتر ذو ملك بما ملكا
نبكيه من جبل خرت قواعده * فكل من كان فى بطحائه هلكا
ماسد موضعه للرزق سد به * طوبى لمن كان يدرى أية سلكا

وكان الحصن الزاهر من أجمل المواضع لديه وأبهاها وأحبها اليه وأشهاها لاطلاله على النهر واشرافه على القصر وجماله فى العيون واشتماله بالشجر والزيتون وكان له به من الطرب والعيش المزرى بحلاوة الضرب مالم يكن بحلب لبنى حمدان ولالسيف بن ذى يزن فى رأس غمدان وكان كثيرا مايدير به راحه ويجعل فيه انشراحه فلما امتد اليه الزمان بعدوانه وسد عليه أبواب سلوانه لم يحن الااليه ولم يتمن الاالحلول لديه فقال (طويل)

غريب بارض المغربين أسير * سيبكى عليه منبر وسرير
وتندبه البيض الصوارم والقنا * وينهل دمع بينهن غزير
مضى زمن والملك مستأنس به * وأصبح منه اليوم وهو نفور
برأى من الدهر المضلل فاسد * متى صلحت للصالحين دهور
أذل بنى ماء السماء زمانهم * وذل بنى ماء السماء كبير

فياليت

فياليت شعرى هل أبيتن ليلة * أمامى وخلفى روضة وغدير
بمنبتة الزيتون مورثة العلا * يغنى حمام أو تدن طيور
بزاهرها السامى الذرى جاده الحيا * تشير الثريا نحونا ونشير
ويلحظنا الزاهى وسعد سعوده * غيورين والصب المحب غيور
تراه عسيرا أو يسيرا مناله * ألا كل ما شاء الاله يسير

وأول عيد أخذه باغمات وهو سارح وما غير الشجون له مسارح ولازى الاحالة الحول واستحالة المأمول فدخل عليه من بنيه من يسلم عليه ويهنيه وفيهم بناته وعليهن أطمار كأنها كسوف وهن أقمار يبكين عند التسايل ويبدين الخشوع بعد التخايل والضياع قد غير صورهن وحير نظرهن واقدامهن حافية وآثار نعيمهن عافية فقال (بسيط)

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فساءك العيد فى اغمات ماسورا
ترى بناتك فى الاطمار جائعة * يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة * أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن فى الطين والاقدام حافية * كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
لا خد الا تشكى الجدب ظاهره * وليس الامع الانفاس ممطورا
أفطرت فى العيد لاعادت اساءته * فكان فطرك للاكباد تفطيرا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك فى ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مغرورا

وأقام بالعدوة برهة لا يروع له سرب وان لم يكن آمنا ولا يثور له كرب وان كان فى ضلوعه كامنا الى أن أثار أحد بنيه باركش معقلا كان مجاور الاشبيلية مجاورة الانامل للراح ظاهرا على بسائط وبطاح لا يمكن معه عيش ولا يتمكن من منازلته جيش فغدا بالمكاره على أهلها وراح وضيق عليهم المتسع من جهاتها والبراح فسار نحوه الامير ابن أبى بكر رحمة الله عليه قبل أن يرتد طرف استقامته اليه فوجده وشره قد تشمر وضره قد تنمر وجره متسعر وأمره متوعر فنزل عدوته وحل للعزم حبوته وتدارك داءه قبل اعضاله ونازله وما أعد آلات نضاله وانحشرت اليه الجيوش من كل قطر وأفرغ فى مسالكه كل قطر فبقى محصور الا يشذ له الاسهم ولا ينفذ عنه الانفس أو وهم وامتسك

شهورا حتى غرضه أحد الرماة فرماه بسهم أصماه فهوى فى مطلعه وخر قتيلا فى موضعه فدفن الى جانب سريره وأمن عاقبة تغييره وبقى أهله ممتنعين مع طائفة من وزرائه حتى اشتد عليهم الحصر وارتد عنهم النصر وعمهم الجوع وأغب أجفانهم الهجوع فنزلت منهم طائفة متهافتة ورقت بأنفاس خافتة فتبعهم من بقى ورغب فى التنعم من شقى فوصلوا الى قبضة الملك وحصلوا فى غصة الممات فرسمهم الحيف وتقسمهم السيف ولما زأر الشبل خيفت ثورة الاسد ولم يرج صلاح الكل والبعض قد فسد فاعتقل المعتمد خلال تلك الحال وأثناءها وأحل ساحة الخطوب وفناءها وحين أركبوه أساودا وأورثوه حزنا بات له معاودا قال (كامل)

غندك اغمائية الالحان * ثقلت على الارواح والابدان
قد كان كالثعبان رمحك فى الوغى * فغدا عليك القيد كالثعبان
متعددا بحميك كل تعدد * متعطفا لا رحمة للعانى
قلبى الى الرحمن يشكو بثه * ما خاب من يشكو الى الرحمن
يا سائلا عن شأنه ومكانه * ما كان أغنى شأنه عن شانى
هاتيك قينته وذلك قصره * من بعد أى مقاصر وقيان

ولما فقد من يجالسه وبعد عنه من كان يؤانسه وتمادى كربه ولم تسالمه حربه قال (طويل)

تؤمل للنفس الشجية فرحة * وتأبى الخطوب السود الا تماديا
لياليك فى زاهيك أصفى صحبتها * كما صحبت قبل الملوك اللياليا
نعيم وبؤس ذا لذلك ناسخ * وبعدهما نسخ المنايا الامانيا

ولما امتدت فى الثقاف مدته واشتدت عليه قسوة الكبل وشدته وأقلقته همومه وأطبقته غمومه وتوالت عليه الشجون وطالت لياليه الجون قال (بسيط)

أنباء أسرك قد طبقن آفاقا * بل قد عممن جهات الارض اقلاقا
سارت من الغرب لا تطوى لها قدم * حتى أتت شرقها تنعاك اشراقا
فأحرق الفجع أكبادا وأفئدة * وأغرق الدمع آماقا واحداقا
قد ضاق صدر المعالى اذ نعيت لها * وقيل ان عليك القيد قد ضاقا

انى

انى غلبت وكنت الدهر ذا غلب * للغالبين وللسباق سباقا
قلت الخطوب أذلتنى طوارقها * وكان عزمى للاعداء طراقا
متى رأيت صروف الدهر تاركة * اذا انبرت لذوى الاخطار أرماقا

(وقال لى من أثق به) لما ثار ابنه حيث ثار وأثار من حقد امير المسلمين عليه ما أثار جزع جزعا مفرطا وعلم أنه قد صار فى انشوطة الشر متورطا وجعل يتشكى من فعله ويتظلم ويتوجع منه ويتألم ويقول عرض بى للمحن ورضى لى أن أمتحن وو الله ما أبكى الا انكشاف من أخلفه بعدى ويحيفه بعدى ثم أطرق ورفع رأسه وقد تهللت أسرته وظللته مسرته ورأيته قد استجمع وتشوف الى السماء وتطلع فعلمت أنه قد رجا عودة الى سلطانه وأوبة الى أوطانه فما كان الا مقدار ما تنداح دائرة أو تلتفت مقلة حائرة حتى قال (متقارب)

كذا يهلك السيف فى جفنه * اذا هز كف طويل الحنين
كذا يعطش الرمح لم أعتقله * ولم تروه من نجيع يمين
كذا يمنع الطرف علك الشكيم * مرتقبا غرة فى كمين
كأن الفوارس فيها ليوث * تراعى فرائسها فى عرين
ألا شرف يرحم المشرفى * مما به من سمات الوتين
الا كرم ينعش السمهرى * ويشفيه من كل داء دفين
الا حنة لابن محنية * شديد الحنين ضعيف الانين
يؤمل من صدرها ضمة * تبوؤه صدر كف معين

وكانت طائفة من أهل فاس قد عاثوا فيها وفسقوا وانتظموا فى سلك الطغيان واتسقوا ومنعوا جفون أهلها السنات وأخذوا البنين من حجور أمهاتهم والبنات وتلقبوا بالامارة وأركبوا السوآ نفوسهم الامارة حتى كادت تقفر على أيديهم وتدثر رسومها بافراط تعديهم الى أن تدارك أمير المسلمين رحمه الله أمرهم واطفأ جمرهم وأوجعهم ضربا وأقطعهم ماشاء حزنا وكربا وسجنهم باغمات وضمتهم جوانح الملمات والمعتمد اذ ذاك معتقل هنالك وكان فيهم طائفة شعرية مذنبة أو بريئة فرغبوا الى سجانهم أن يستريحوا الى المعتمد من أشجانهم فخلى ما بينهم وبينه وغمض لهم فى ذلك عينه فكان المعتمد رحمه الله يتسلى بمجالستهم ويجد أثر مؤانستهم ويستريح اليهم بجواه ويبوح لهم بسره

ونجواه الى أن شفع فيهم وانطلقوا من وثاقهم وانفرج لهم مبهم أغلاقهم وبقي المعتمد في مجلسه يشتكي من ضيق الكبل ويبكي بدمع كالوبل فدخلوا عليه مودعين ومن بثه متوجعين فقال (طويل)

أما لانسكاب الدمع في الخد راحة * لقد آن أن يفنى ويفنى به الخد
هبوا دعوة يا آل فاس لمبتل * بما منه قد عافاكم الصمد الفرد
تخلصتم من سجن أغمات والتوت * على قيود لم يحن فكها بعد
من الدهم أما خلقها فأساود * تلوى وأما الايد والبطش فالاسد
فهنئتم النعمى ودامت لكلكم * سعادته ان كان قد خانني سعد
خرجتم جماعات وخلفت واحدا * ولله في أمري وأمركم الحمد

ومر عليه في موضع اعتقاله سرب قطا لم يعلق لها جناح ولا تعلق بها من الايام جناح ولا عاقها عن أفراخها الاشراك ولا اعوزها البشام ولا الاراك وهي تمرح في الجو وتسرح في مواقع النو فتنكد مما هو فيه من الوثاق وما دون أحبته من الرقباء والاغلاق وما يقاسيه من كبله ويعانيه من وجده وخبله وفكر في بناته وافتقارهن الى نعيم عهدنه وحبور حضرنه وشهدنه فقال (طويل)

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بي * سوارح لا سجن يعوق ولا كبل
ولم تك والله المعيد حسادة * ولكن حنينا ان شكلي لها شكل
فاسرح فلا شملي صديع ولا الحشى * وجيع ولا عيناي يبكيهما ثكل
وماذاك مما يعتريه وانما * وصفت الذي في جبلة الخلق من قبل
هنيئا لها ان لم يفرق جميعها * ولا ذاق منها البعد عن أهله أهل
وان لم تبت مثلي تطير قلوبها * اذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل
لنفسي الى لقيا الحمام تشوف * سواي يحب العيش في ساقه كبل
الا عصم الله القطا في فراخها * فان فراخي خانها الماء والظل

وفي هذه الحال زاره الاديب أبو بكر بن اللبانة المتقدم الذكر وهو أحد شعراء دولته المرتضعين درها المتضعين درها وكان المعتمد رحمه الله يعزه بالشفوف والاحسان ويجوزه في فرسان هذا الشان فلما رآه وحلقات الكبل قد عضت بساقيه عض الاسود والتوت عليه التواء الاساود السود وهو لا يطيق اعمال قدم ولا يريق دمعا الا ممزوجا بدم بعدما عهده فوق منبر وسرير ووسط جنة وحرير

تخفق عليه الالوية وتشرق منه الاندية وتكف الامطار من راحته وتشرف الاقدار بحلول ساحته ويرتاع الدهر من أوامره ونواهيه ويقصر النسر أن يقاربه أو يضاهيه ندبه بكل مقال يلهب الاكباد ويثير فيها لوعة الحرث بن عباد أبدع من أناشيد معبد وأصدع للكبد من مراثى اربد أو بكاء ذى الرمة بالمربد سلك فيها للاختفاء طريقا لاحبا وغدا فيها لذيول الوفاء ساحبا فمن ذلك قوله (بسيط)

لكل شئ من الاشياء ميقات * وللمنى من مناياهن غايات
والدهر فى صبغة الحرباء منغمس * ألوان حلته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج فى يده * وربما نخرت بالبيدق الشاة
انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها السفلى قد كتمت * سريرة العالم العلوى أغمات
طوت مظلتها لا بل مذلتها * من لم تزل فوقه للعز رايات
من كان بين الندى والبأس أنصله * هندية وعطاياه هنيدات
رماه من حيث لم تستره سابغة * دهر مصيباته نبل مصيبات
وكان ملء عيان العين تبصره * وللأمانى فى مرآه مرآت
انكرت الا التوا آت القيود به * وكيف تنكر فى الروضات حيات
غلطت بين همايين عقدن له * وبينها فاذا الانواع اشتات
وقلت هن ذؤابات فكم عكست * من رأسه نحو رجليه الذؤابات
حسبتها من قناه أو أعنته * اذ ابها لثقاف المجد آلات
دروه ليثا فخافوا منه عادية * عذرتهم فلعدو الليث عادات
منه المهابات فى الارواح آخذة * وان تكن أخذت منه المهابات
لو كان يفرج عنه بعض آونة * قامت بدعوته حتى الجمادات
بحر محيط عهدناه يجىء له * كنقطة الدارة السبع المحيطات
وبدر سبع وسبع تستمد به السبع الا قاليم والسبع السموات
به وان كان أخفاه السرار سنا * قبل الصباح به تجلى الدجنات
لهفى على آل عباد فانهم * أهلة مالها فى الافق هالات
تمسكت بعرى اللذات ذاتهم * يا بئس ما جنيت للذات لذات

راح الحيا وغدا منهم بمنزلة * كانت لنا بكر فيها وروحات
أرض كان علي أقطارها سرجا * قد أوقدتهن في الاذهان أنبات
وفوق شاطئ واديها رياض ربا * قد ظللتها من الانشام دوحات
كأن واديها سلك بلبتها * وغاية الحسن أسلاك ولبات
نهر شربت بعبريه على صور * كانت لها في قبل الراح سورات
وكنت أورق في ايكاته ورقا * تهوى ولي من قريض الشعر أصوات
وكم جريت بشطي طعنتيه الى * محاسن للهوى فيهن وقفات
وربما كنت أسمو للخليج به * وفي الخليج لاهل الراح راحات
وبالغروسات لاجفت منابتها * من النعيم غروسات جنيات
معاهد ليت أني قبل فرقتها * قدمت والنار كوها اليتهم ماتوا
لجئت منها باخوان ذوي ثقة * والارض فيها من الاخوان آفات
وآفيت في آخر الصحراء طائفة * لغاتهم في كتاب الله لغات
رغد من العيش مالي أرتقبه ولي * عند ابن أغلب أكناف بسيطات
ان لم يكن عنده كوني فلا سعة * للرزق عندي ولا للانس ساعات
هو المراد ولكن دونه خلج * رخاوة عندها بيض معلات
وان تكن رجس من فوق مذهبه * فليس تغرب في وجهي الملمات
هنالك اوي من النعمي الى كنف * فيه ظلال وأمواه وجنات
بين الحصار وبين المرتضى عمر * ذاك الحصار من المحذور منجاة
هل يذكر المسجد المعمور شرجبه * أو العهود على الذكرى قديمات
عندي رسالات شوق عنده فعسى * مع الرياح توافيه رسالات

ولم تزل كبده تتوقد بالزفرات وخلده يتردد بين النكبات والعثرات ونفسه تتقسم بالاشجان والحسرات الى أن شفته منيته وجاءته بها أمنيته فدفن بأغمات وأريح من تلك الازمات وعطلت المآثر من حلاها وأفردت المفاخر من علاها ورفعت مكارم الاخلاق وكسدت نفائس الاعلاق وصار أمره عبرة في عصره وصاب أبدا عبرة في مصره وبعد ايام وافاه أبو بكر بن عبد الصمد شاعره المتصل به المتوصل الى المنى بسببه فلما كان يوم العيد وانتشر الناس ضحا وظهر كل متوار وضحا قام على قبره عند انفصالهم من مصلاهم واختيالهم بزينتهم وحلاهم

وحلاهم وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه وخرّ على تربه ولثمه (كامل)

ملك الملوك أسامع فأنادى * أم قد عدتك عن السماع عواد
لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت فى الاعياد
أقبلت فى هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد
قد كنت أحسب أن تبدد أدمعى * نيران حزن أضرمت بفؤادى
فاذا بدمعى كلما أجريته * زادت على حرارة الاكباد
فالعين فى التسكاب والتهتان والاحشاء فى الاحراق والايقاد
يا أيها القمر المنير أهكذا * يمحى ضياء النير الوقاد
أفقدت عينى مذ فقدت انارة * لجابها فى ظلمة وسواد
ما كان ظنى قبل موتك أن أرى * قبرا يضم شوامخ الاطواد
الهضبة الشماء تحت ضريحه * والبحر ذو التيار والازباد
عهدى بملك وهو طلق ضاحك * متهلل الصفحات للقصاد
والمال ذو شمل مذاد والندى * يهمى وشمل الملك غير مذاد
أيام تخفق حولك الرايات فو * ق كتائب الرؤساء والاجناد
والامر أمرك والزمان مبشر * بممالك قد اذعنت وبلاد
والخيل تمرح والفوارس تنحنى * بين الصوارم والقنا المياد

وهى قصيدة أطال انشادها وبنى بها اللواعج وشادها فانحشر الناس اليه وأحفلوا وبكوا البكائه وأعولوا وأقاموا أكثر نهارهم مطيفين به طواف الحجيج مديمين البكاء والعجيج ثم انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم وأقرحوا ماقيهم ببعض شجونهم وهذه نهاية كل عيش وغاية كل ملك وجيش والايام لا تدع حيا ولا تألو كل نشر طيا تطرق رزاياها كل سمع وتفرق مناياها كل جمع وتصمى كل ذى أمر ونهى وترى كل مشيد بوهى ومن قبله طوت النعمان بن الشقيقة ولوت مجازها فى تلك الحقيقة

(ابنه الراضى بالله أبو خالد يزيد بن محمد رحمه الله)

ملك تفرع من دوحة سناء أصلها ثابت وفرعها فى السماء وتحدر من سلالة أكابر وورثاه أسرة ومنابر وتصرف اثناء شبيبته بين دراسة معارف وافاضة عوارف وكلف بالعلم حتى صار ملهج لسانه وروضة أجفانه لا يسترخ منه الا الى متن سائل

الغرة ميمون الاسرة يسابق به الرياح ويحاسن بغرته البدر الملياح عريق في السناء عتيق الاقتناء سريع الوخد والارقال من آل أعوج أو ولد العقال الى أن ولاه أبوه الجزيرة الخضراء وضم اليها رندة الغراء فانتقل من متن الجواد الى ذروة الاعواد وأقلع عن الدراسة الى تدبير الرياسة ومازال يدبرها بجوده ونهاه ويوردالآمل فيها مناه حتى غدت عراقا وامتلأت اشراقا الى أن اتفق في الجزيرة ما اتفق وخاب فيها الرجاء وأخفق فاستحالت بهجتها وسالت عليها من الحوادث لجتها فانتقل الى رندة معقل أشب ومنزل للسماك منتسب وأقام فيها رهين حصار ومهين حماة وأنصار ولقيت ريحه كل اعصار حتى رمته سهام الخطوب عن قسيها وأمكنت منه يدى مسيها فحواه رمسه وطواه عن غده أمسه حسبما بسطنا القول فيه فيما مر من أخبار أبيه (وكان المعتمد) رحمه الله تعالى كثيرا ما يرميه بملامه ويصميه بسهامه وربما استلطفه بمقال أفصح من دمع المحزون وأملح من روض الحزون فانه كان ينظم من بدائع القول لآلى وعقودا تسل من النفوس سخائم وحقودا وقد أثبت من كلامه في بث آلامه واستجادة عذله وملامه ما تستبدعه وتحله النفس وتودعه فمن ذلك ما قاله وقد أنهض جماعة من اخوته وأقعده وأدناهم وأبعده (وافر)

اعيذك أن يكون بنا خمول * ويطلع غيرنا ولنا افول
حنانك ان يكن جرمى قبيحا * فان الصفح عن جرمى جميل
ألست بفرعك الزاكى وماذا * يرجى الفرع خانته الاصول

(وأخبرنى المعتد بالله) ان المعتمد أباه وجهه الى شلب واليا وكانت ملعب شبابه ومألف أحبابه التى عمر نجودها غلاما وتذكر عهودها أحلاما فقال يخاطب ابن عمار وقد توجه اليها (طويل)

الا حى أوطانى بشلب أبا بكر * وسلهن هل عهد الوصال كما أدرى
وسلم على قصر الشراجيب عن فتى * له أبدا شوق الى ذلك القصر

وقصر الشراجيب هذا متناه فى البهاء والاشراف مباه لزوراء العراق ركضت فيه جياد راحاته وأومضت بروق أمانيه فى ساحاته وجرى الدهر مطيعا بين بكوره وروحاته أيام لم تحل عنه تمائمه ولا خلت من أزاهر الشباب كمائمه وكان يعتدها مجنى آماله ومنتهى أعماله يميل الى بهجة جنباتها وطيب نفحاتها وهباتها

والتفاف

والتفاف حمائلها وتقلدها بنهرها مكان حمائلها وفيها يقول ابن اللبانة (طويل)

أما ءسلم المعتمد بالله أنني * بحضرته في جنة شقها نهر
وما هو نهر أعشب النبت حوله * ولكنه سيف حمائله خضر

ولما صدر عنها وقد حسنت آثاره في تدبيرها وانسدلت رعايته على صغيرها وكبيرها نزل المعتمد عليه مشرفا لاوبته ومعرفا بسمو قدره لديه ورتبته وأقام يومه عنده مستريحا وجرى في ميدان الانس بطلا مشيحا وكان واجدا على الراضي فجلت الحميا أفقه ومحت غيظه عليه وحنقه وصورته له عين حنوه وذكرته بعده فجنح الى دنوه وبينما استدعى ووافى مالت بالمعتمد نشوته وأغفى فألفاه صريعا في منتداه طريحا في منتهى مداه فأقام تجاهه يرتقب انتباهه وفي أثناء ذلك صنع شعرا أتقنه وجوده فلما استيقظ أنشده (متقارب)

ألآن تعود حياة الامل * ويدنو شفاء فؤاد معل
ويورق للعز غصن ذوى * ويطلع للسعد نجم أفل
فقد وعدتني سحاب الرضا * بوابلها حين جادت بطل
أيا ملكا أمره نافذ * فمن شاء عز ومن شاء ذل
دعوت فطار بقلبي السرور * اليك وان كان منك الوجل
كما يستطير لحب الوغى * اليها وفيها الظبا والاسل
ولا غرو أن كان منك اغتفار * وان كان منا جميعا زلل
فمثلك وهو الذى لم يزل * يعود بحلم على من جهل

ومرت عليه هوادج وقباب فيها حبائب كن له وأحباب ألفهن أيام خلانه من دولة وجال معهن في ميدان المنى أعظم جولة ثم انتزعوا منه بعده وأودعوا الهوادج من بعده ووجهوا هدايا الى العدوة وألموا بها المام قريش بدار الندوة فقال (بسيط)

مروا بنا أصلا من غير ميعاد * فأوقدوا نار شوقي أى ايقاد
وذكروني أياما لهوت بهم * فيها ففازوا بابشاري وانجادى
لا غرو أن زاد في وجدى مرورهم * فرؤية الماء تذكى غلة الصادى

ولما وصل المعتمد لورقة أعلم أن العدو قد جيش اليها واحتشد ونهد نحوها وقصد

لمتركها خاوية على عروشها طاوية الجوانح على وحوشها فتعرض له المعتمد دون بغيته وطلع له من ثنيته وأمر الراضى بالخروج اليه فى عسكر جرده لمحاربته وأعده لمصادمته ومضاربته فأظهر التمارض والتشكى وأكثر التقاعس والتلكى فرارا من المصادرة واحجاما عن المساورة وجزعا من منازلة الاقران ومقابلة ذوابل المران ومقاساة الطعان وملاقاة أبطال كالرعان ورأى أن المطالعة أربح من المقارعة ومعاناة العلوم أربح من مداواة الكلوم فقد كان عاكفا على تلاوة ديوان عارفا باجادة صدر وعنوان فعلم المعتمد ما نواه وتحقق ما لواه فأعرض عنه ونفض يده منه ووجه المعتد مع ذلك الجيش الذى لم تنشر بنوده ولم تنصر جنوده فعندما لقوا العدو لاذوا بالفرار وعادوا باعطاء الغرة بدلا من الغرار وتفرقوا فى تلك الاماريت وفرقوا من تخطف أولئك العفاريت فحيف العدو من بقى مع المعتد واهتضمه وخضم ما فى العسكر وقضمه وغدت مضاربه مجتزع واليه ومجرى مذاكيه وآب أخسر من بائع السدانة ومضيع الامانة فانطبقت سماء المعتمد على أرضه وشغلته عن اقامة نوافله وفرضه فكتب اليه الراضى (بسيط)

لا يكرثنك خطب الحادث الجارى * فما عليك بذاك الخطب من عار
ماذا على ضيغم أمضى عزيمته * أن خانه حد أنياب وأظفار
لئن أتوك فمن جبن ومن خور * قد ينهض العير نحو الضيغم الضارى
عليك للناس أن تبقى لنصرتهم * وما عليك لهم اسعاف أقدار
لو يعلم الناس ما فى أن تدوم لهم * بكوا لانك من ثوب الصبا عار
ولو أطاقوا انتقاصا من حياتهم * لم يتحفوك بشىء غير أعمار

فحجب عنه وجه رضاه ولم يستمله بذلك ولا أرضاه وتمادى على اعراضه وقعد عن اظهاره وانهاضه حتى بسطته سوانح السلو وعطفته عليه جوانح الحنو فكتب اليه بهزل غلب فيه كل منزع جزل وهو (كامل مجزو)

ألملك فى طى الدفا * تر فتخل عن قود العساكر
طف بالسرير مسلما * وارجع لتوديع المنابر
وازحف الى جيش المعا * رف تقهر الحبر المقامر
واطعن بأطراف اليرا * ع نصرت فى ثغر المحابر

واضرب

واضرب بسكين الدوا * ة مكان ماضي الحدباتر
أولست رسطاليس ان * ذكر الفلاسفة الاكابر
وكذاك ان ذكر الخليـ * ـل فأنت نحوي وشاعر
وأبو حنيفة ساقط * بالرأى حين تكون حاضر
من هرمس من سيبويـ * ـه من ابن فورك اذ تناظر
هذى المكارم قد حويـ * ـت فكن لمن حاباك شاكر
واقعد فانك طاعم * كاس وقل هل من مفاخر
فحجبت وجه رضاى عنـ * ـك وكنت قد تلقاه سافر
أولست تذكر وقت لو * رقة وقلبك ثم طائر
لا يستقر مكانه * وأبوك كالضرغام خادر
هلا اقتديت بفعله * وأطعته اذ ذاك آمر
قد كان أبصر بالعوا * قب والموارد والمصادر

فكتب اليه الراضي مراجعا عنها بقطعة مطولة منها (كامل مجزو)

مولاى قد أصبحت كافر * بجميع ما تحوى الدفاتر
وفللت سكين الدوا * ة وظلت للاقلام كاسر
وعلمت أن الملك ما * بين الاسنة والبواتر
والجد والعلياء في * ضرب العساكر بالعساكر
لا ضرب أقوال بأقـ * ـوال ضعيفات مكاسر
قد كنت أحسب من سفا * هة أنها أصل المفاخر
فاذا بها فرع لها * والجهل للانسان غادر
لا يدرك الشرف الفتى * الا بعسال وباتر
وهجرت من سميتهم * وجحدت أنهم أكابر
مولاى ان تسخر فلا * عار بنا ان كنت ساخر
ضحك الموالى بالعبيـ * ـد اذا تؤمل غير ضائر
لو كنت تهوى ميتتى * لوجدتنى للعيش هاجر
ان كان بى فضل فمنـ * ـك وهل لذاك النور ساتر
أو كان بى نقص ففى * غيرى أن الفضل غامر

ذكرت عبدك ساعة * يبقى لها ما عاش ذاكر
بالبنيه قد غيبته * عندها احدى المقابر
أتريد مني أن أكو * ن كمن غدا في الدهر نادر
هيهات ذلك مطمع * يعيي الاوائل والاواخر
لا تنس يا مولاي قو * لة ضارع لا قول فاخر
ضبط الجزيرة عندما * نزلت بعقوتها العساكر
أيام ظلت بها فريدا * ليس غير الله ناصر
اذ كان يغشي ناظري * لمع الاسنة والبواتر
ويصم أسماعي بها * قرع الحجارة بالحوافر
وهي الخضيض سهولة * لكن بها نبت مخاطر
هبني أسأت كما أسا * ت أما لهذا العتب آخر
هب زلتي لبنوتي * واغفر فان الله غافر

فقربه وأدناه وصفح عما كان جناه ولم تزل الحال آخذة في البوار ومعتلة اعتلال حب الفرزدق للنوار حتى مضوا الفرطبة وقضوا بين الصوارم والرماح الخطية حسبما سردناه وعلى ما أوردناه واذا أراد الله انفاذ أمر سبق في علمه فلا مرد لامره ولا معقب لحكمه لا اله الا هو كمل خبر الراضي والحمد لله كثيرا

(المتوكل على الله أبو محمد عمر بن المظفر رحمه الله وعفا عنه)

ملك جند الكتائب والجنود وعقد الالوية والبنود وأمر الايام فائتمرت وطافت بكعبته الآمال واعتمرت الى لسن وفصاحة ورحب جناب للوافد وساحة ونظم يزري بالدر النظيم ونثر تسري رقته سرى النسيم وأيام كانها من حسنها جمع وليال كان فيها على الانس حضور ومجتمع راقت اشراقا وتبلجا وسالت مكارمه أنهارا وخلجا الى ان عادت الايام عليه بعهود العدوان ودبت اليه دبيبها لصاحب الايوان وانبرت اليه انبراءها لابن زهير وراء عمان فأرغمت فيه للمجد معطسا ورماه سهم الحادثات فقرطسا فدجت أيامه المشرقة وذوت غصونه المورقة ونقل هو وابناه الى حيث أمر لهم الدهر جناه فأمضى عليهم حد الحسام حكمه وأنفذ فيهم جور الايام ظلمه بحيث لم تعطف عليهم الاجوانح

الليل

الليل ولم تقف لديهم الاوارح الويل ولم يجب استغاثتهم الاعواء الذئاب أو صدى تسعر فيه نار الاكتئاب فرويت الارض من دمائهم وتعطلت المنابر من أسمائهم وعاد صبح ملكهم عاتما وأقامت النجوم عليهم مآتما فخروا على الثرى بدورا وسعروا بالجوى صدورا وغدوا صرعى تسفى عليهم الشمال وتنتفى منهم الآمال مجدلين على وجه الارض معفرين الى يوم النشور والعرض قد توسدوا التراب بدلا من الارائك وتضرجوا بالدماء بعد التضمخ بالمسك الصائك وغدا مصرعهم من نجيعهم أحمر كانهم ما أعملوا أبيض ولا أسمر وزث الجلباب غير أنس الجناب لا يطرقه الا سبع أو ذيب ولا يرمقه الا تخيل للقلوب مذيب وصارت فى لحومهم للسباع ولائم وعلى دمائهم من النسور حوائم وطالما وردوا للمنى مناهل ووجدوا الديار بها أواهل وركبوا الجياد وجنبوها وشهدوا الاعياد فزينوها ورقت أوامرهم بطون المهارق وتحكمت بواترهم فى الطلى والمفارق وطوقت مواهبهم الاعناق وأغضت مهابتهم الجفون والاحداق فزقوا وما حضرهم أنيس ولا أذهب ايحاشهم تأنيس وباتوا لم يطلب لهم بثار ولا انتظم شملهم بعد الانتثار أخبرنى أحد قاتليه أنه رغب فى تقديم ولديه بين يديه ليحتسبهما عند ربه ويكتسبهما حسنة تمحو بعض ذنبه وكانا كوكبى رياسته ووارثى نفاسته فتقدما للحمام وطلعا من ثنيته بدرى تمام وبدا منهما من الجلد فى ذلك الموطن الانكد ما حير قاتلهما وستر عنه مقاتلهما ثم أمر عليهما غراره وساق الردى الى تمامهما سراره وقام المتوكل عند صرعتهما محتبلا من لوعتهما ليصلى وقد أفرط فى ملامه وتشطط فى كلامه واختلط افتتاحه بسلامه فبادروه باسنتهم فى الصلاة وناهشوه مناهشة الطير لقتيل الفلاة حتى خر للسجود واستلقى لغير هجود وهى الايام هذه شيمها تسئ وان همت بالاحسان ديمها أقفرت شعب ودان وعفرت ملك غمدان وأطفرت الحمام بعبد المدان وفرقت عن مكنس رامة ظباءه ورمت ببسطام بن قيس فخر على الالاءة ومزقت ابنى بدر بجفر الهباءة وقد رثاهم الوزير أبو محمد بن عبدون عظيم ملكهم ونظيم سلكهم بقصيدة اشتملت على كل ملك قتل وأشارت الى من غدر منهم وختل تسكبرها المسامع ويعتبر بها السامع وهى (بسيط)

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

أنهاك أنهاك لا آلوك معذرة * عن نومة بين ناب الليث والظفر
فالدهر حرب وان أبدا مسالمة * والبيض والسمر مثل البيض والسمر
ولا هوادة بين الرأس تأخذه * يد الضراب و بين الصارم الذكر
فلا يغرنك من دنياك نومتها * فما صناعة عينيها سوى السهر
ما لليالى أقال الله عثرتنا * من الليالى وخانتها يد الغير
فى كل حين لها فى كل جارحة * منا جراح وان زاغت عن البصر
تسر بالشئ لكن كى تغر به * كالايم ثار الى الجانى من الزهر
كم دولة وليت بالنصر خدمتها * لم تبق منها وسل ذكراك من خبر
هوت بدارا وفلت غرب قاتله * وكان عضبا على الاملاك ذا أثر
واسترجعت من بنى ساسان ما وهبت * ولم تدع لبنى يونان من أثر
وأتبعت أختها طسما وعاد على * عاد وجرهم منها ناقض المرر
وما أقالت ذوى الهيئات من يمن * ولا أجارت ذوى الغايات من مضر
ومزقت سبأ فى كل قاصية * فما التقى رائح منهم بمبتكر
وأنفذت فى كليب حكمها ورمت * مهلهلا بين سمع الارض والبصر
ولم ترد على الضليل صحته * ولا ثنت أسدا عن ربها حجر
ودوخت آل ذبيان واخوتهم * عبسا وعضت بنى بدر على النهر
وألحقت بعدى بالعراق على * يد ابنه أحمر العينين والشعر
وبلغت يزد جرد الصين واختزلت * عنه سوى الفرس جمع الترك والخزر
ومزقت جعفرا بالبيض واختلست * من غيله حمزة الظلام للجزر
وأشرفت بخبيب فوق فارعة * وألصقت طلحة الفياض بالعفر
ولم ترد مواضى رستم وقنا * ذى حاجب عنه سعدا فى ابنة الغير
وخضبت شيب عثمان دما وخطت * الى الزبير ولم تستحى من عمر
وأجزرت سيف أشقاها أبا حسن * وأمكنت من حسين راحتى شمر
وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر
ومارعت لابى اليقظان صحبته * ولم تزوده الا الضيح فى الغمر
وفى ابن هند وفى ابن المصطفى حسن * أتت بمعضلة الالباب والفكر
فبعضنا قائل ما اغتاله أحد * وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر

وعمت

وحممت بالردى فودى أبى أنس * ولم ترد الردى عنه قنا زفر
وأردت ابن زياد بالحسين فلم * يبؤ بشسع له قد طاح أو ظفر
وأنزلت مصعبا من رأس شاهقة * كانت بها مهجة المختار فى وزر
ولم تراقب مكان ابن الزبير ولا * رعت عياذته بالبيت والحجر
ولم تدع لابى الزبان قاضبه * ليس اللطيم لها عمرو بمنتصر
وأظفرت بالوليد بن اليزيد ولم * تبق الخلافة بين الكاس والوتر
حبابه حب رمان ألم بها * وأحمر قطرته نفحة القطر
ولم تعد قضب السفاح نائية * عن رأس مروان أو أشياعه الفجر
وأسبلت دمعة الروح الامين على * دم يبح لآل المصطفى هدر
وأشرقت جعفرا والفضل ينظره * والشيخ يحيى بريق الصارم الذكر
وأخفرت فى الامين العهد وانتدبت * لجعفر بابنه والاعبد الغدر
وروعت كل مأمون ومؤتمن * وأسلمت كل منصور ومنتصر
وأعثرت آل عباس لعالهم * بذيل زباء من بيض ومن سمر
وأوثقت فى عراها كل معتمد * وأشرقت بقذاها كل مقتدر
ولا وفت بعهود المستعين ولا * بما تأكد للمعتز من مرر
بنى المظفر والايام مابرحت * مراحلا والورى منها على سفر
سحقا ليومكم يوما ولا حملت * بمثله ليلة فى مقبل العمر
من للاسرة أو من للاعنة أو * من للاسنة يهديها الى الثغر
من لليراعة أو من للبراعة أو * من للسماحة أو للنفع والضرر
أو دفع كارثة أو ردع آزفة * أو قمع حادثة تعيى على القدر
من للظبى وعوالى الخط قد عقدت * أطراف ألسنها بالعى والحصر
وطوقت بالثنايا السود بيضهم * أعجب بذاك وما منها سوى ذكر
ويح السماح وويح البأس لو سلما * وحسرة الدين والدنيا على عمر
سقت ثرى الفضل والعباس هامية * تعزى اليهم سماحا لا الى المطر
ثلاثة ما رأى السعدان مثلهم * فضلا ولو عززا بالشمس والقمر
ثلاثة ما ارتقى النسران حيث رقوا * وكل ما طار من نسر ولم يطر
ومر من كل شئ فيه أطيبه * حتى التمتع بالآصال والبكر

من الجلال الذى عمت مهابته * قلوبنا وعيون الانجم الزهر
أين الاباء الذى أرسوا قواعده * على دعائم من عزومن ظفر
أين الوفاء الذى أصفوا شرائعه * فلم يرد أحد منهم على كدر
كانوا رواسى أرض الله منذ نأوا * عنها استطارت بمن فيها ولم تقر
كانوا مصابيحها فمذ خبوا غبرت * هذى الخليقة يالله فى سدر
كانوا شجا الدهر فاستهوتهم خدع * منه باحلام عاد فى خطا الخضر
من لى ومن بهم ان أطنبت محن * ولم يكن وردها يفضى الى صدر
من لى ومن بهم ان أظلمت نوب * ولم يكن ليلها يفضى الى سحر
من لى ومن بهم ان عطلت سنن * وأخفتت ألسن الآثار والسير
ويله من طلوب الثار مدركه * لو كان دينا على الايام ذى عسر
على الفضائل الا الصبر بعدهم * سلام مرتقب للاجر منتظر
يرجو عسى وله فى أختها طمع * والدهر ذو عقب شتى وذو غير
قرطت آذان من فيها بفاضحة * على الحسان حصى الياقوت والدرر

(وأخبرنى الوزير أبو بكر بن القبطرنة) أنه كان مسامر المتوكل اذ وافاه خبر بخروج أحد أهل يابرة فارا من ابنه العباس ولحاقه بالمعتمد على الله فبينما هو يردد الوعيد ويبدى فى ذلك ويعيد اذا بكتاب العباس قد وافاه يقسم أنه ما أخرجه ولا نفاه ولا حمله على ذلك الا البطر وانه كان له فى ذلك أرب ووطر وكانت حاجة فى نفس يعقوب قضاها وارادة أنفذها وأمضاها فوقع له على رقعة قبولى لتنصلك من ذنوبك موجب لجرائك عليها وعودتك اليها واتصل بى ما كان من خروج فلان عنك ولم تتثبت فى أمره ولا تحققت صحيح خبره حين فر عن أهله ووطنه والعجلة من النقصان وليس يحمد قبل النضج بحران وهو الذى أوجبه اعجابك بأمرك وانفرادك برأيك ومتى لم ترجع الى ما وعدت به من نفسك وصدرت به من كتبك فأنا والله أريح نفسى من شغبك وان تكن الاخرى فهو الحظ الاوفى فاختر لنفسك أى الامرين ترى ان شاء الله تعالى وبلغه أنه ذكر فى مجلس المنصور يحيى أخاه بسوء فكتب اليه (طويل)

فما بالهم لا أنعم الله بالهم * ينيطون بى ذما وقد علموا فضلى
يسيئون فى القول جهلا وضلة * وانى لأرجو أن يسوءهم فعلى

لئن كان حقا ما أذاعوا فلامشت * الى غاية العلياء من بعدها رجلى
ولم ألق أضيافى بوجه طلاقة * ولم أمنح العافين فى زمن المحل
وكيف وراحى درس كل غريبة * وورد التقى شمى وحرب العدى نقلى
ولى خلق فى السخط كالشرى طعمه * وعند الرضا أحلى جنى من جنى النحل
فيا أيها الساقى أخاه على النوى * كؤس القلى مهلا رويدك بالعل
لتطفئ نارا أضرمت فى صدورنا * فمثلك لايقلى ومثلى لايقلى
وقد كنت تشكينى اذا جئت شاكيا * فقل لى لمن أشكو صنيعك بى قل لى
فبادر الى الاولى والا فانى * سأشكوك يوم الحشر للحكم العدل

(وكان) ابن الحضرمى وزيره فازدهى واقتعد السهى وعامل الناس أسوأ معاملة وأعطاهم المقابحة عوضا عن المجاملة وأهمل الحال التى علقها به وناطها ودمرها عليه وماحاطها ولما تجبر وعتا وانى من ذلك ما أتى ظهر للمتوكل قبح أفعاله واحتذائه بالنجم وانتعاله فأقعده عن رتبته وأبعده عن خدمته فكتب اليه يستعطفه فراجعه المتوكل ياسيدى وأكرم عددى الشاكى ماجنته يده لايدى ومن أسأل الله له التوفيق فى ذاته اذ حرمه فى ذاتى قرأت كتابك المشتكى فيه صدودى واعراضى عنك غاية مجهودى نعم فانى رأيت الامر قد ضاع والاهمال قد انتشر وذاع فأشفقت من التلف وعدلت الى ما يعقب ان شاء الله بالخلف وأقبلت أستدفع مواقع أنسى وأشاهد ماضيعته بنفسى فلم أر الا لججا قد توسطتها وغمرات قد تورطتها فشمرت عن الساق للجتها وخدمت النفس بمهجتها حتى خضت البحر الذى أدخلنى فيه رأيك ووطئت الساحل الذى كان يبعدنى عنه سعيك فنفسك لم وبسوء صنيعك لذ واعتصم وان منت بجميل اعتقاد ومحض وداد فانا مقر بغرره معترف بقله وكثره ولكن كنت كالمثل شوى أخوك حتى اذا أنضج رمد وقد أطمعت فى العدو ولبست لاهل مصرى الاستكبار والعتو واستهنت بجيرانك وتوهمت أن المروأة التزام زهوك وتعظيم شانك حتى أخرجت النفوس على وعليك فانجذب مكروه ذلك اليك ومع ذلك فليس لك عندى الاحفظ الحاشية واكرام الغاشية (ولما) كتب الوزير أبو بكر بن القبطرنة مع بنت الحضرمى وتأخر زفافها تأخرا أرقه وأورى حرقه واتفق أن نهض المتوكل الى أرض الروم لمنازلة أحد معاقلها وهو معه فأقام عليه

الى أن فتحه وأنهج له الظفر سعيه وأوضحه فصدر والفتنة قد أنشبت أظفارها وأعملت أسنتها وشفارها واغطشت ليلها وأجالت فى عراصه خيلها فكتب اليه ومملوكك قبل التهنئة (بسيط)

يشكو اليك الذى تطوى به أضلعه * يا لحضرمية من هم وتسهيد

فانسخ لى السود من أيلم وحشتها * بالبيض قبل اختلاط البيض بالسود

فقال ابن أيمن اراد الشباب والمشيب وقال هو والله ما اراد الا الروم والزنج وكان باختلاطهم وانتشارهم فينا وانبساطهم ووالله لاجمعن بينهما قبل أن يحجر بأسهم الينا فيعود الشباب مشيبا وترى الولدان شيبا وترحل كل سلوة وتنحل كل حبوة وتكثر الاجاحات وتصبح الاعراس وهى مناحات فعاقت الفتنة عن ذلك وشغلت وتوقدت عواديها واشتعلت فلم يتكيف اعراسه ولا جرت فى ميدان المنى افراسه ولما غدر المتوكل وصرع وجرع من الردى ما جرع ارتدت آمال أبى بكر على اعقابها وانسابت اليه حيات الملمات من انقابها وانتهبت أمواله وهتكت أحواله وغدت منازله وهى نزائل وتراءى له ظل عزه وهو زائل واستنسر له البغاث وعدم المستصرخ والمستغاث فقال يرثى المتوكل والفضل (طويل)

تهاوت بى الدنيا وهرت كلابها * بأسدى وجرت بيض افيالى النمل

فقلت لها لا عيشى جعار وجررى * فلا عمرو منى قريب ولا الفضل

ثم اعرس بها بعد والحال قد جف معينها وخف قطينها وورد غمادها وفقد عمادها فأقام معها بين أحوال مكربة وآمال مضطربة الى أن حان حينها وبان بها رحيل المنايا وبينها وفيها يقول عندما عاقها عنه الحمام وعداها وثناها عنه كما ينثنى عن الروضة نداها (متقارب)

أدمعا جوحا وصبرا حزونا * لقد جمع الحزن فيك الفنونا

ايا ماشيا فوقها لاهيا * تميس اختيالا وتتقد لينا

ترفع برجلك عنها رويدا * ستجعل خدك فيها المصونا

فلا تسكنن لشرخ اماس * فتا تك مما وباء وسينا

وخط على ورد كافور تيك * بمسك عذاريك لاملونونا

وعما يثبت قولى لذيك * وربتما جر شأن شؤنا

مصاب

مصاب حكى فى ابنة الحضرمى * مصاب صبيرة ادمى الجفونا
ولف الشباب باوراقه * واودعه الترب غضا مصونا
فانسى بها نضرة واقتبالا * وعيشا نضيرا وانسى طرونا

(وأخبرنى) الوزير أبو محمد بن عبدون أن الجدب توالى بحضرمة حتى جفت مذانبها واغبرت جوانبها وغرد المكاء فى غير روضة وخاض الناس بالياس اعظم خوضة وابدت الخمائل عبوسها وشكت الارض للسماء بوسها فاقلع المتوكل عن الشرب واللهو ونزع ملابس الخيلاء والزهو واظهر الخشوع واكثر السجود والركوع الى أن غيم الجو وانسجم النو وصاب الغمام وغنت الحمام وسفرت الازهار وزهت النجاد والاغوار واتفق أن وصل أبو يوسف المغنى والارض قد لبست زخارفها ورقم الغمام مطارفها وتدبجت الغيطان والربى وارجت نفحات الصبا والمتوكل مافض لتوبته ختامه ولا نفض عن قلبه منها اقتامه فكتب اليه (متقارب)

الم أبو يوسف والمطر * فياليت شعرى ما ينتظر
ولست بآب وأنت الشهيد * حضور نديك فيمن حضر
ولا مطلعى وسط تلك السما * بين النجوم وبين القمر
وركض فيها جياد المدا * م محثوثة بسياط الوتر

فبعث اليه حركوبا وكتب معه (متقارب)

بعثت اليك جناحا فطر * على خفية من عيون البشر
على ذلل من نتاج البرو * ق فى ظلل من نسيج الشجر
فحسبى ممن نأى من دنا * فمن غاب كان فدا من حضر

فوصل الى القصبة المطلة على البطحاء المزرية بمنازل الروحاء فأقام منها حيث قال عدى بن زيد يصف صنعاء (مديد)

فى قباب حول دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

ومضى لهم من السرور يوم ما مر لذى رعين ولا تصور قبل عيونهم لعين وأخبرنى انه سايره الى شنترين قاصية ارض الاسلام السامية الذرى والاعلام التى لا يروعها صرف ولا يفرعها طرف لانها متوعرة المراقى معثرة للراقى متمكنة الرواسى والقواعد على ضفة نهر استدار بها استدارة القلب بالساعد قد أطلت

على خمائلها اطلال العروس من منصتها واقتطعت فى الجو اكثر من حصتها فتروا بالبش قطر سالت فيه جداوله واختالت فيه خمائله فما يجول الطرف منه الا فى حديقة أو بقعة أنيقة فتلقاهم ابن مغانى قاضى رندة وانزلهم عنده وأورى لهم بالمبرة زنده وقدم لهم طعاما واعتقد قبوله منا وانعاما وعند ما طعموا اقعد القاضى بباب المجلس رقيبا لا يبرح وعين المتوكل حياء منه لا تجول ولا تمرح فخرج أبو محمد وقد أبرمه القاضى بتثقيله وحرمه راحة رواحه ومقيله فلقى ابن خيرون منتظراله وقد اعد لحضوره منزله فصار الى مجلس قد ابتسمت ثغور نوّاره وخجلت خدود ورده من زوّاره وابدت صدور اباريقه اسرارها وضمت عليه المحاسن ازرارها ولما حضر له وقت الانس وحينه وارجت له رياحينه وجه من يرقب المتوكل حتى يقوم جليسه ويزول موحشه لا انيسه فاقام رسوله وهو بمكانه لا يريمه وقد لازمه كانه غريمه فما انفصل حتى ظن ان عارض الليل قد نصل فلما علم أبو محمد بانفصاله بعث الى المتوكل بقطيع خمر وطبق ورد وكتب معهما

اليكها فاجتلها منيرة * وقد خبا حتى الشهاب الثاقب
واقفة بالباب لم يؤذن لها * الا وقد كاد ينام الحاجب
فبعضها من المخاف جامد * وبعضها من الحياء ذائب

فقبلها رحمه الله وكتب اليه

قد وصلت تلك التى زففتها * بكرا وقد شابت لها ذوائب
فهب حتى نسترد ذاهبا * من أنسنا ان استرد ذاهب

فركب اليه ونقل معه ما كان بالمجلس بين يديه وباتا ليلتهما لا يريمان السهر ولا يشيمان برقا الا الكأس والزهر (وأخبرنى) ابن زرقون أنه حضر مجلس راح ومكنس ظباء وافراح وفيه جماعة منهم الوزير أبو بكر بن القبطرنة شيخ الفتوة ومعرض فتيانها المجلوة ومعهم سعد بن المتوكل وهو غلام ما نضا عنه الشباب برده ولا اذوى ياسمينه ولا ورده وكان الوزير أبو بكر واخواه أبو محمد وأبو الحسن مختصين بالفضل أخيه اختصاص الانوار بالكمائم والقبات بالتمائم فتذاكروا فقده وكيف أشقى عليه الزمان حقده ووصفوا اصرعته واوقدوا لوعته والمدام قد رققت دمعه وشوقت لاحاديثه سمعه فهاج شجوه وبان طربه ولهوه

وأرسل مدامعه سجالا وقال ارتجالا (كامل)

يا سعد ساعدني ولست بخيلا * وامنن بها خمراً تفيض همولا
واحبس على دموع عينك ساعة * وابرد بها ما ألم غليلا
ان يصبح الفضل القتيل فانني * اصبحت من وجدي به مقتولا
كم قد وقيتكم الحمام بمهجتي * وحملت شول علائكم معقولا

ومن كلامه الحر ونثره المزري بالدر ما كتب به الى المعتمد شافعاً وهو ما يسفر لي أيدك الله وجه مطالعتك ويعن لي سبب مراسلتك الا وأجد الزمان قد أقبل بعد اعراضه وأمد حبل انتقاضه وأرى المنى تلقى الي عنانها وتدنى من يدي احسانها فانك العماد الذي أعتده جبلا ألوذ بحقوه ومنهلا أكرع في صفوه ومعظما أعاطيه بقسطه وأناجيه على شحطه ولما كان فلان ابقاه الله قد سبقت به المعرفة القديمة وسلفت معه الأذمة الكريمة وأتاني ثناؤه عليك بالغيب ارسالا كانما هب صبا أو شمالا لزمني أن أعلمك بمكانه من الانقطاع الى جهتك والتحيز الى فئتك وان أشفع له عندك شفاعة حسنة أدرك بها كرم الشفيع ويحوز بها منك شرف العارفة والصنيع وهي منة طوقته اياها وأطلعته بروضها ورباها ثم اعترض عليه فيها وقد شهر ملكه لها ولنواحيها ويعيذ الله فخرك أن يكون ما وهبت مرتجعا وما أوليت منتزعا وأنا ارتقب لها الاسعاف والقبول كما يرتقب الظمآن الورود والوصول وان مننت أيدك الله بالمراجعة الجميلة البديعة وقرنتها بأحوالك المصونة الرفيعة اقتضيت الشكر من شاكر كنور زاهر وغمام باكر ان شاء الله تعالى * وكان ليلة مع خواصه للانس معاطيا ولمجلس كالشمس واطيا وقد تفرغ للسرور وتسوغ عيشا كالامل المزرور والمنى قد أفصحت ورقها وأومض برقها والسعد تطلع مخايله والملك يبدو زهوه وتخايله اذ ورد عليه كتاب بدخول اشبونة في طاعته وانتظامها في سلك جماعته فزاد في مسرته وبسط اسرته وأقبل على خدامه وأسبل نداه على جلسائه وندامه فقال له ابن خيرة وكان يدل بالشباب وينزل منه منزلة الاحباب لمن توليها أو من يكون واليها فقال لك فقال فاكتب لي بذلك فاستدنى الدواة والرق وكتب وما جف له قلم ولا توقف عنه كلم لم يسوغ اولياء النعم مثل الذي سوغتموه من التزام الطاعة والدخول في نهج الجماعة ولذلك

لا آلوكم ونفسي فيكم نصحا فيمن اتخيره للنيابة عني في تدبيركم والقيام بالدقيق والجليل من أموركم وقد وليت عليكم من لم أوثر والله فيه دواعي التقريب على بواعث التجريب ولا فرات التخصيص على لوازم التمحيص وهو الوزير القائد أبو عبد الله بن خيرة ابن دربة وبعضي صحبة ونشأتي شبكة وقربة وقد رسمت له من وجوه الذب والحماية ومعالم الرفق والرعاية ما التزم الاستيفاء بعهده والوقوف بجده عند حده والمسؤل في عونه من لا عون الامن عنده ولن أعرفكم من حميد خصاله وسديد فعاله الا بما سيبدو للعيان ويزكو مع الامتحان ويفشو من قبلكم ان شاء الله على كل لسان وقد حددت له أن يكون لنا شكم ابا ولكهلكم أخا ولذي النقوس والكبر ابنا ما أعنتموه على هذا المراد ولزوم الجواد وركوب الانقياد واما من شق العصى وبان عن الطاعة وعصى وظهر منه المراد والهوى فهو القصي منه وان مت اليه بالرحم الدنيا فكونوا له خير رعية بالسمع والطاعة في جميع الاحوال يكن لكم بالبر والموالاة خير وال ان شاء الله عز وجل (وأخبرني) الوزير الفقيه أبو أيوب بن أبي أمية أنه مر في بعض أيامه بروض مفتر المباسم معطر الرياح النواسم قد صقل الربيع حوذانه وأنطق بلبله وورشانه وألحف غصونه برودا مخضرة وجعل اشراقه للشمس ضرة وأزاهيره تتيه على الكواكب وتختال في خلع الغمائم السواكب فارتاح الى الكون به بقية نهاره والتنعم ببنفسجه وبهاره فلما حصل من أنسه في وسط المدى عمد الى ورقة كرنب قد بللها الندى وكتب فيها بطرف غصن يستدعي الوزير أبا طالب بن غانم أحد ندمائه ونجوم سمائه (بسيط مخلع)

أقبل أبا طالب الينا * وقع وقوع الندى علينا

فنحن عقد بغير وسطى * مالم تكن حاضرا لدينا

(ولما) وافى العيد الذي لم يفرع فيه باسمائهم منبر ولا تضوع في نواحيه منهم مسك ولا عنبر وطوت الفضل منيته وتعطلت في ذلك الموسم ثنيته تذكر الوزير أبو محمد بن القبطرنة ايامه معه وتصور أعياده وجمعه واشراقها بحلاه وابتهاجها بعلاه وتفكر في سقوط النسور عليه والعقبان وتمزيق الوحوش لجسمه الذي كان كغصن البان فقال (طويل)

أبا فضل لم اعجب لموتك انه * هو الدهر لا يبقى عليه ولا الدهر

واكن

ولكن لاسياف مشين عواضبا * اليك وكنت لسيف حليته النصر
ويا عجبا للارض حيا ملكتها * ومت ولم يسترك من قعرها شبر
فليبك من عيني وقلبي صيانة * توب الى قبر اذا لم يكن قبر
ستبكي لهذا العيد بعدك فتية * زفيرهم نظم ودمعهم نثر
نؤمل هل يبيض وجهك طالعا * فيسود في ألحاظها العيد والفطر
لبرعاك مني مشفق ذو حفيظة * عليك اذا لم يرعك الذئب والنسر

تم خبر المتوكل بحمد الله

(المعتصم بالله أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح رحمه الله)

ملك اقام سوق المعارف على ساقها وأبدع في انتظام مجالسها واتساقها واوضح رسمها وأثبت في جبين أوانه وسمها لم تخل أيامه من مناظرة ولا عمرت الا بمذاكرة أو بمحاضرة الاساعات أوقفها على المدام وعطلها من ذلك النظام وكانت دولته مشرع الكرم ومطلع الهمم فلاحت بها شموس وارتاحت فيها نفوس ونفقت فيها اقلام الاعلام وتدفقت بحار الكلام كاجادة ابن عمار وابداعه في قوله معتذرا من وداعه (طويل)

امعتصما بالله والحرب ترتمي * بابطالها والخيل بالخيل تلتقي
دعتني المطايا للرحيل واني * لافرق من ذكر النوى والتفرق
واني اذا غربت عنك فانما * جبينك شمسي والمرية مشرقي

هذا على انكماش ولايته وقلة جبايته فان نظره لم يزد على امتداد ناظر ولم يجد الغمام منه على يانع ولا ناضر لان أكثره منابت شيح ومهامه فيح استغفر الله الاضفتي نهر بجاية الممتد كالحبل المستمد من الطل والوبل فان في جانبيه كانساع الشبر ما ينبي بانتجاع ورق ولا تبر فاقتصر هو على صمادحيته البديعة وقصبته المنيعة واشتغل بترميق اساطيله وتنميق اباطيله ولم تمتد همته الى مزاحمة ملك في ملكه ولم يزد على مراعاة أمر جواريه وفلكه ولا انتقل الامن مجلس مدارسة الى مكنس مؤانسة فكثيرا ما كان يعمر أندية اللهو ويداولهما من مجلس الحافة الى اللهو كلاهما سرى المنظر قرى المرمى وكان له نظم أرج النفحة بهيج الصفحة يصف به مجالس ايناسه ويصرفه بين ندمائه وكاسه ولم يزل كذلك الى أن نازلته المحلات وطاولته المطلات ففاضت نفسه في اثناء منازلتهم جزعا

وذهبت روحه مقسما بالانكاد موزعا ونغصت عليه منيته حتى ما كان يلتفت الا الى رهج يغشاه ولا يصيخ الا الى رجة تقلقل حشاه فأكثر القتال انما كان تحت مجلسه الذى كان به مضجعه وفيه تألمه وتوجعه ولقد أخبرنى من سمعه يقول وقد علت أصواتهم وتقلقلت لغاتهم نغص علينا كل شئ حتى الموت فبكت احدى حظاياه فرمقها بطرفه الكليل وقال وهو يتنفس الصعداء من حر الغليل (متقارب) ترفقى بدمعك لا تفنه * فبين يديك بكاء طويل

وبقى ابنه عز الدولة مختبل التلفت مرتقبا التنفلت لا يحكم تدبيرا ولا يملك من أمره قليلا ولا كثيرا قد نهل بالغصص وذهل خوفا من القنص الى أن ركب فى البحر طريقا غير يبس وساعدته الريح بنفس فامتطى ثبجه واورد غربانه لجه فكانت أطوع من غربان نوح وبلغت بأجنحة الى حيث شاء الجنوح فأصبح الناس وأطراف شراعه تلوح والطلالة تبكى عليه وتنوح فازجاه الى بجاية سكانه وحباه منها موضعه ومكانه فاستقر فيها تحت رعاية المنصور بن الناصر وأوى منها الى جنات ومقاصر وتوقد له شهابه وجدد له العز ذهابه فمن بديع افعال المعتصم ان النحلى دخل المرية وعليه اسمال لا تقتضيها الآداب ولا يرتضيها الا الانتحاب والانتداب والناس قد لبسوا البياض وتصرفوا من حضرتهم فى مثل قطع الرياض والنحلى ظمآن يسعره جواده عريان لا يستره الاسواده فكتب اليه (وافر)

ايا من لا يضاف اليه ثان * ومن ورث العلى بابا فبابا
ايجمل أن تكون سواد عينى * وابصر دون ما ابغى حجابا
ويغشى الناس كلهم حماما * وامشى بينهم وحدى غرابا

فادر له حباه ووصله وحاباه وبعث اليه من البياض ما لبسه وجلل به مجلسه وكتب اليه مع ذلك (طويل)

وردت وللبل البهيم مطارف * عليك وهذى للصباح برود
وأنت لدينا ما بقيت مقرب * وعيشك سلسال الجمام برود

(وأخبرنى) الوزير أبو خالد بن بشتغير انه ركب ليتطلع بعض اقطاره ويتودع فيها بقية نهاره وقدم بين يديه من آلات أطرابه وأدوات شرابه ما اتخذه لانسه جالبا وللوعته غالبا فان احدى حظاياه المكينات عنده تركها تجود بنفسها

وترود مكان رمسها فخرج فارًّا من قصتها مستريحا من غصتها فلما وضع رجله في ركابه ودمعه يغلب جلده بانسكابه خرج من أعلمه بموتها وعزاه على فوتها فأمر أن توضع في قبرها ووصى من ينظر في أمرها ولم ينصرف من وجهته ولم ينصرف عن نزهته وقال (بسيط)

لما غدا القلب مفجوعا بأسوده * وفض كل ختام من عزائمه
ركبت ظهر جوادي كي أسليه * وقلت للسيف كن لي من تمائمه

(وأخبرني الوزير المذكور) أنه حضر مجلسه بالصمادحية في يوم غيم وفيه أعيان الوزراء ونبهاء الشعراء فقعد على موضع يتداخل الماء فيه ويتلوى في نواحيه والمعتصم منشرح النفس مجتمع الانس فقال (بسيط)

انظر الى حسن هذا الماء في صببه * كأنه أرقم قد جد في هربه

فاستبدعوه وتيموه وأولعوه فأسكب عليهم شآبيب نداه وأغرب بما أظهره من بشره وأبداه واتفق أن غنى بقول النابغة (متقارب)

ولما نزلنا بجسر النباج * ولم نعرف الحيّ الا التماسا
أضاءت لنا النار وجها أغر * وملتبسا بالفؤاد التباسا

فاستطابه واستحسنه وجعله أبدع ما للنابغة وأحسنه وأمر ابن الحداد بمعارضته فقال على البديهة (متقارب)

اذا ما التمست الغنى بابن معن * ظفرت وأجدت منه التماسا
ومن يرج شمس العلا من نجيب * فليس يرى من رجاه شماسا

(وبلغته) عن ابن عمار هنات لم تطرف جفونه بهاسنات وتقرر عنده أنه يدب اليه دبيب الضراء وينسبه الى أفن الآراء ويكشف عن عوراته ويستخف ببوادره وفوراته فضاق بها ذرعا واعتدها على ابن عمار أصلا وفرعا ونوى غاية هجره وزوى عينيه عن صباحه وفجره فكتب اليه ابن عمار فلم يلتفت الى ما كتبه وعذل مبلغه وأنبه واجتاز على المرية فاستدعاه ولا أخصب له مرعاه ولا برّه على عادته ولا رعاه فلما تمادى في تقاطعهما الامد وتوالى عليه ما يبلغه عنه الكمد كتب اليه مراجعا عن قطعة خاطبه بها (طويل)

وزهدني في الناس معرفتي بهم * وطول اختباري صاحبا بعد صاحب
فلم ترني الايام خلا تسرني * مباديه الا ساءني في العواقب

ولا قلت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى المصائب

فراجعه ابن عمار بهذه الابيات (طويل)

فديتك لا تزهد فثم بقية * يسير غب فيما عند وقع التجارب
وأربى على الخلصان ان لديهم * على البدء كرات بحسن العواقب
تكنفني بالنظم والنثر جاهدا * وسقت على القول من كل جانب
وقد كان لي لو شئت رد وانما * أجز لسانى في بعض تلك المواهب
ولا بد من شكوى ولو بتنفس * يبرد من حر الحشى والترائب
كتبت على رسمى وبعد نسيئة * قرأت جوابي من سطور المواكب
ثلاثة أبيات وهيهات انما * بعثت الى حربي ثلاث كتائب
وكيف يلذ العيش في عتب سيد * ومالذ يوما على عتب صاحب
وقبل جرت عن بعض كتبي جفوة * ألحت على وجهي بغمز الحواجب
سلكت سبيلي للزيارة قبلها * فقابلت دفعا في صدور الركائب
وما كنت مرتادا ولكن لنفحة * تعودت من ريحان تلك الضرائب
ولو لمعت لي من سمائك برقة * ركبت الى مغناك هوج الجنائب
فقبلت من يمناك أعذب مورد * وقضيت من لقياك أوكد واجب
وأبت خفيف الظهر الا من النوى * وخلفت للعافي ثقال الحقائب
سوى انني قول الوشاة من العدا * وغيرك يقضي بالظنون الكواذب

قوله قبلها في نسخة أرحلها اه

وأقام عنده في بعض سفراته مقاما امتد زمامه وتوالت عليه أيامه حتى أقلقته دواعي شوقه وشب صبره عن طوقه والمعتصم يقيده ببره ويعتمده بوالاة جنيه وتبره ويرعيه ماشاء من بشره ويستدعيه لبسط الانس ونشره ولما سئم الثواء وملّه وأنهله القلق وعله وحن الى حمص حنين نصيب للجفر والمجرمين ليلة النفر وهام بها هيام عمر بالثريا وحارثة بن بدر بالحميا كتب اليه يستسرحه بشعر تمناه النفس وتقترحه وهو (كامل مجزو)

يا واضعا فضع السما * ب بجود في معنى السماح
ومطابقا بأي وجو * ه الجد من طرق المزاح
أسرفت في برالضيا * ف فجد قليلا بالسراح

فراجعه المعتصم (كامل مجزو)

يا فاضلا

يا خاضلا في شكره * أصل المسامع الصباح
هلا رفقت بمهجتي * عند التكلم بالسراح
ان السماح ببعدكم * والله ليس من السماح

(وخرج الى برجة ودلاية) وهما نظران لم يجل في مثلهما ناظر ولم تدع حسنهما الخدود النواضر غصون تثنيها الرياح وميامها السماح وحدائق تهدى الارج والعرف ومنازل تبهج النفس وتمتع الطرف فأقام فيهما أياما يتدرج في مسارحها ويتصرف في منازهها ومسايحها وكانت نزهة أربت على نزهة هشام بدير الرصافة وأنافت عليها أي انافة وفي أثناء مقامه وخلال اتساق الانس له وانتظامه عن له ذكر احدى حظاياه فهيجه وأقلقه وأزعجه وأرقه فكتب اليها رقعة وطيرها وفيها (طويل)

وحلت ذات الطوق مني تحية * تكون على أفق المرية مجمرا
كمل ذكر المعتصم والحمد لله

(الحاجب ذو الرياستين أبو مروان عبد الملك بن رزين رحمه الله تعالى)

ورث الرياسة من ملوك عضدوا موازرهم وشدوا دون النساء مآزرهم ولم يتوشحوا الا بالحمائل ولا جنحوا للبأس الا في أعنة الصبا والشمائل وركبوا الصعاب فذللوها وابتغوا اسبا للنجوم حتى اعتلوها وملكوا الملك بأيد وعقلوه من النخوة بقيد وكان ذو الرياستين منتهى فخارهم وقطب مدارهم شيد بناءهم وقيد غناءهم رجلا اتخذته البسالة قلبا وضمت عليه شغافا وخلبا لا يعرف جبنا ولا خورا ولا يتلو غير سور الندى سورا وكانت دولته موقف البيان ومقذف الاعيان ترتضع فيها للمكارم اخلاف وتدار بها للاماني سلاف فوردت الآمال نداه نميرا ووجد الاجمال في سراه سميرا الا أنه كان يتشطط على ندامه ولا يرتبط في مجلس مدامه فربما عاد انعامه بوسا وانقلب ابتسامه عبوسا فلم تتم معه سلوة ولا فقدت في ميدانه كبوة وقلما كان يقيل ولا يناجي المذنب عنده الا الحسام الصقيل ومع هذا فانه كان غيثا للندى وليثا على العدا وبدرا في المحفل وصدرا في الجحفل وله نظم ونثر ما قصرا عن الغاية ولا أقصرا عن تلقي الراية وقد أثبت منهما نبذا تروق شموسا وتكاد تشرب كؤسا (أخبرني الوزير أبو عامر بن سنون انه اصطبح يوما والجو سماكي العوارف لازوردي المطارف

والروض أنيقة لباته رقيقة هباته والنور مبتل والنسيم معتل ومعه قومه وقد راقهم يومه وصلاته تصافح معتفيهم ومبراته تشافه موافيهم والراح تشعشع وماء الامانى ينشع فكتب الى ابن عمار وهو ضيفه (طويل)

ضمان على الايام أن أبلغ المنى * اذا كنت فى ودى مسرا ومعلنا
فلو لسأل الايام من هو مفرد * بود ابن عمار لقلت لها أنا
فان حالت الايام بينى وبينه * فكيف يطيب العيش أو يحسن الغنا

فلما وصلت الرقعة اليه تأخر عن الوصول واعتذر بعذر مختل المعانى والفصول فقال أحد الحاضرين انى لأعجب من ابن عمار وكيف قعد عن هذا المضمار مع ميله الى السماع وكلفه بمثل هذا الاجتماع فقال ذو الرياستين ان الجواب تعذر فلذلك اعتذر لانه يعانى قوله ويعاله ويرويه ولا يرتجله ويقوله فى المدة الممتدة فرأى أن الوصول بلا جواب اخجال لادبه واخلال بمنازله فى الشعر ورتبه فلما كان من الغد ورد ابن عمار ومعه الجواب وهو (طويل)

هصرت لى الآمال طيبة الجنى * وسوغتنى الاحوال مقبلة الدنا
وألبستنى النعمى أغض من الندى * وأجمل من وشى الربيع وأحسنا
وكم ليلة أحظيتنى بحضورها * فبت سميرا للسناء وللسنا
أعلل نفسى بالمكارم والعلا * وأذنى وكفى بالغناء وبالغنى
سأقرن بالتمويل ذكرك كلما * تعاورت الاسماء غيرك والكنى
لاوسعتنى قولا وطولا كلاهما * يطوق أعناقا ويخرس ألسنا
وشرفتنى من قطعة الروض بالتى * تناثر فيها الطبع وردا وسوسنا
تروق بجيد الملك عقدا مرصعا * وتزهى على عطفيه وشيا معينا
فدم هكذا يا فارس الدست والوغى * لتطعن بالاقلام فيها وبالقنا

(وأخبرنى الوزير الكاتب أبو جعفر بن سعدون) انه أصبح يوما بحضرته وللرذاذ رش وللربيع على وجه الارض فرش وقد صقل الغمام الازهار حتى أذهب نمشها وسقاها فأروى عطشها فكتب اليه (طويل)

قديناك لا يسطيعك النظم والنثر * فأنت مليك الارض وانفصل الامر
مريناك الغمر فانهل صيبا * كما سكبت وطفاء أو فتق الزهر
وجاء الربيع الطلق يندى غضارة * فخيلك منه الشمس والروض والنهر

وما

وما منهم الا اليك انتماؤه * جبينك والجود المتمم والبشر
خلا منك دهر قد مضى بعبوسه * فلما أتت أيامك ابتسم العصر
فبشرت آمالي بملك هو الورى * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر
وقال الردى من يتقي عندك المنى * وساعدك الاسعاد واليمن والنصر
فراجعه بقوله (طويل)
اليك فلولا أنت لم ينتظم الدر * ولا التام في مدح نظام ولا نثر
اذا قلت لم ينطق فصيح مدرب * ولا ساغ في سمع غناء ولا زمر
لك السبق كم روضت من عاطل الربا * وحليت من سحر وقد حرم السحر
ولما ملكت القول قسرا وعنوة * اطاعك جيش النظم وأعمر النثر
فلا نقل الا ما تقول بديهة * ولا خمر ما لم تأت من فلك الخمر
ثم توجه فيه الى روضة قد أرجت نفحاتها وتدبجت ساحاتها وتفتحت كمامها وأفصحت حمامها وتجردت جداولها كالبواتر ورمقت أزهارها بعيون فواتر فأقاموا يعملون كاسهم ويشملون ايناسهم فقال ذو الرياستين (طويل)
وروض كساه الطل وشيا مجددا * فأضحى مقيما للنفوس ومقعدا
اذا صافحته الريح خلت غصونه * رواقص في خضر من العصف ميدا
اذا ما انسكاب الماء عاينت خلته * وقد كسرته راحة الريح مبردا
وان سكنت عنه حسبت صفاءه * حساما صقيلا صافي المتن جردا
وغنت به ورق الحمائم بيننا * غناء ينسيك القريض ومعبدا
فلا تجفون الدهر ما دام مسعدا * ومد الى ما قد حباك به يدا
وخذها مداما من غزال كأنه * اذا ما سقى بدر تحمل فرقدا
(وركب متصيدا) في يوم غيم نضح رذاذه وجه الثرى وتلفعت الشمس بمطرفه فلا ترى والارض لا تثبت حوافر الخيل في زلقها ولا تهش الجياد الى طلقها والافق لو مرت به دهمة الليل لغابت في نوره وما بانت في جوه والمدام قد علته وآراؤها قد ولته فقام بين يديه قنص فطارده في ميدان الجد لاهيا وسايره في طريق الحذر ساهيا وقد تفرد من عبيده وتوحد في بيده فسقط به فرسه سقطة أوهنت قواه وانتهت به الى ملازمة مثواه وبلغه ان أحد عدائه شمت

بوقعته وسر بصرعته فقال (بسيط)

انى سقطت ولا جبن ولا خور * وليس يدفع ما قد شاءه القدر
لا يشمتن حسودى ان سقطت فقد * يكبو الجواد وينبو الصارم الذكر
هذا الكسوف يرى تأثيره أبدا * ولا يعاب به شمس ولا قمر

(وأخبرنى الكاتب أبو عبد الله بن خلصة) أنه لما دخل بيطرة بعد تخلى أبى عيسى بن لبون عنها أنشدته طائفة من الشعراء والكتاب فحرم ووصل وأدنى قوما وأبعد آخرين وأصاخ من وزيره الى أسواقرين فأشار فى جانب أبى عيسى بالاخلال وأصار عزته فى قبضة الاخمال والاذلال فتفرق القوم فرقا وسلكوا من التشغيب عليه طرقا وتشوفوا الى المستعين وأنفوا من الورود على غير عذب ولا معين وكان فى الجلة المنحرفة والفئة المتطلعة الى ابن هود المستشرفة الكاتب أبو الحسن بن سابق فقال (بسيط)

من كان يطلب من أصحابنا صلة * على فراق أبى عيسى بن لبون
فليس يقنعنى من بعده عوض * ولو جعلت على أموال قارون
قد كان كنزى فكف الدهر عنه يدى * والدهر يمتع بالنعمى الى حين
كأن قلبى اذا اذكرت فرقته * مقلب فوق أطراف السكاكين

فلما سمعه ابن رزين قال مطفئا للوعته ونازعا كنزعته نوعا من السياسة سكن بها أنفه وأعاد عليه الاهواء مؤتلفه (بسيط)

هبوا النا حظكم من آل لبون * كم تجلون علينا بالرياحين
لا تعذلونا خفقا أن تنافسكم * فى أكرم الناس للدنيا وللدين
ذاك الكريم الذى نيطت تمائمه * عند الفطام على علم ابن سيرين
اختيارنا فتخيرناه صاحبنا * وكلنا فى أخيه غير مغبون
ان كان أنشر ذكرى فى بلادكم * لأنشرن له يحيى بن ذى النون
وكل من حوله حاط بحظوته * يشجى الحسود بترفيع وتمكين
حتى تقول الليالى وهى صادقة * هذا السموأل فى هذى السلاطين

(وخاطب ابن طاهر) مستدعيا الى الكون لديه برسالة تدل على انافته فى الفخر دلالة النسيم على الزهر والشاطئ على النهر وتشهد له بالعلاء والمجد شهادة النار بطيب الند وكرم الزند فانه استدعاه والآذان قد صمت عن دعائه وحكمه

فى ملكه والكل قد ضن عليه بمالى وعانه وهى أنت أدام الله عزك عالم بالزمان وانقلابه عارف باعانته واستلابه ومن عرفه حق معرفته لم تزده شدته الا معتبرا وشكرا لله وتدبرا وما زالت ألقاك بالود على البعد فاعلمك بتقدمك فى الاعيان وان لم أرك بالعيان وأستخبر الاخبار فاسمع ما يقرع صفحة الكبد ويصدع بانحاء الزمان عليك وتنكره لديك الى أن ورد فلان فاستفهمته عن حالك فذكر ما أزعج وكدر ارتماضا للملك أن يعوزه مرام أو ينبو به مقام فجردت عن ساعد الشفاعة عند القائد الاجل أبى عبد الله فى صرف ما يمكن من أملاككك فوقع الاعتذار بانه أمر محظور تقدم فيه حد محذور وأشار باجراء ما يلم بالاكتفاء وأنا أعزك الله أعرض ما هو الاوفق لى والاليق بى عن عزيمة مكينة ورغبة وكيدة من الانتقال الى جهتى والانبساط فى دولتى فأقاسمك خاص ضياعى ومعلوم أملاكى ورباعى وان شق عليك الكون بجهتى لبرد هوائها وبعد أنحائها فهاهى شنت مرية اقتطاعها عليك وأصرف أمرها اليك وعندى من العون على الارتحال ما يقتضيه للترفيع الحال ولك الفضل فى مراجعتى بما يستقر عليه رأيك ويأتى به ايجابك ان شاء الله تعالى (وله يتشوق الى خليط) ودعه وأجرى بعده أدمعه (طويل)

دع الدمع يفنى الجفن ليلة ودعوا * اذا انقلبوا بالقلب لا كان مدمع

سروا كاقتداء الطيرلا الصبر بعدهم * جميل ولا طول الندامة ينفع

أضيق بحمل الحادثات من النوى * وصدرى من الارض البسيطة أوسع

وان كنت خلاع العذار فاننى * لبست من العلياء ما ليس يخلع

اذا سلت الاحفاظ سيفا خشيته * وفى الحرب لا أخشى ولا أتوقع

(وأخبرنى الوزير) أبو عامر بن سنون انه كان معه فى منية العيون فى يوم مطرز الاديم ومجلس معزز النديم والانس يضاز لهم من كل ثنية ويواصلهم بكل أمنية فسكر أحد الحاضرين سكرا مثل له ميدان الحرب وسهل عليه مستوعر الطعن والضرب فطلب بمجالس الانس حربا وقتالا وطلب الطعن وحده والنزالا فقال ذو الرياستين (كامل)

نفس الذليل تعز بالجريال * فيقاتل الاقران دون قتال

كم من جبان ذى افتخار باطل * بالخمر تحسبه من الابطال

كبش الندى تخمطا وعرامة * واذا تشب الحرب شاة نزال

(وله يحن الى نازح) من أحبابه الفه أيام شبابه فاختلسه النوى من بين يديه وترك الصبابة عوضا منه لديه (كامل)

أترى الزمان يسرنا بتلاق * ويضم مشتاقا الى مشتاق
وتعض تفاح النهود شفاهنا * ونرى منى الاحداق بالاحداق
وتعود أنفسنا الى أجسادنا * فلطالما شردت على الآفاق

وله (خفيف) برح السقم بى وليس صحيحا * من رأت عينه عيونا مراضا
ان للاعين المراض سهاما * صيرت أنفس الورى أغراضا

(وتجنى عليه ذو الوزارتين) أبو بكر بن عمار وتعتب ولامه وذنب فكتب ابن رزين اليه معرضا بعينيه وهو مما أبدع فيه تعريضا وتصريحا وسقاه التنديد منه صريحا (طويل)

تحقق أبا بكر ودادى وحقق * وصدق ظنونى فى وفائك واصدق
أيجمل بيعى فى كساد بهرج * وقد كان ظنى ضد ذا بل محقق
ثنائى على مر الزمان مخلق * عليك وان أبديت بعض التخلق
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه * ولكن من يبصر جفونك يعشق

وله فى شمعة (رمل مجزو)

رب صفراء تردت * برداء العاشقينا
مثل فعل النار فيها * تفعل الآجال فينا

(ولما) افترس ملوك الاندلس الليث وطمس رسومهم الغيث وخوصموا بالسنة الاغماد ورموا بداهية ناد بقى ذو الرياستين طالعا بافق الملك وقد أفلت نجومه محترسا من ذلك الليث الذى افترسهم هجومه يحمى دولته من انقراضها ويرمى من سعى فى انتقاضها فلم يرمه رام ولم يجسر عليه عدو مترام الى أن خطبته المنية وتخطت اليه تلك الثنية وبقى ابنه على رسمه مخطوبا له فى منابرها باسمه الى أن دبت اليه تلك الافاعى واشتملت عليه تلك المساعى فخر من عرشه وأقيم من فرشه فتبارك من لا يكيده كائد ولا يبيد ملكه وكل شئ بائد كل ذكره

* (الرئيس الاجل أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر ٢ رحمه الله تعالى)

في نسخة زيادة صاحب المظالم

به

به بدئ البيان وختم ولديه ثبت الاحسان وارتسم وعنه افترّ الزمان وابتسم واستقرّ الملك لديه استقرار الطرس في يديه واختيال التاج بمفرقه اختيال البراع في مهرقه وتمنى المسك أن يستمدّه كما رجا القطر أن يمدّه ان جدّ رأيت الطود وقارا وان هزل خلته يعاطيك عقارا الا أنّ نكباته تتابعت ولاء وأعقبت الانتهاب جلاء فخلع عن سلطانه وما سوّغ المقام في أوطانه وكانت له تنديدات تنفذ الجنن وتدرك كالليل اذا جن يرسلها الى الغرض فتصميه وينكي بها القرح فتدميه عدّت من هناته ومحت أكبر حسناته ودعت الى رفضه وسعت في نقضه فبقي في قبضة ابن عمار محبوسا ولقي من دهره المبتسم عبوسا واشتدّت عليه المحن وبدت اليه تلك الاحن الى ان سعى له الوزير الاجلّ أبو بكر بن عبد العزيز وسكن من ذلك الازيز فتسنى انطلاقه وانفرجت اغلاقه وعندما خلص من ذلك الثقاف خلوص القناة من الثقاف جنح الى الاستقرار ببلنسية حضرة الوزير الاجل أبي بكر جنوح الطائر المتنشل الى الوكر فلقي السعد اليه آتيا ونزل على آل المهلب شاتيا فوجد ما أراد وأحمد المراد ودعا أبا بكر لما شاء فأجاب وأراه من بشره الافق المنجاب فأقام بين مبرات وألطاف وجنى لما أحب وقطاف الى أن دار ببلنسية مادار وعطل العدو دمره الله ذلك القطب المدار فعلقته حبالة الاسر وأتبع هيضه بالكسر ولم يزل يكشف للعدوّ دفينه ويجدف والموج يعوق سفينه ويصرف الى أن هبت ريحه فجرى وتسنى تسريحه فأدلج وسرى ووافى شاطبة خاليا الا من الوجد عاريا الا من المجد وقد انتشى من الذل فأوى الى الظل وأقام مشتملا بالخمول مؤملا غير المأمول الى أن برئت بلنسية من آلامها فبادر الى استلامها وعاد اليها عود الحلي الى العاطل وأنجز المقر بها بعد وعد من مماطل فحل بها حلول الهائم في وصل الحبيب المسعد وأنشد ويجمعنا شتى على غير موعد ولازم مطلعه متواريا وأقام بها ثابتا الاسار ريا لم يطأ رقعة أرض ولا خرج لاداء سنة ولا فرض حتى أدرج في كفنه وأخرج الى مدفنه شهدت وفاته سنة سبع وخمسمائة وقد نيف على التسعين وجف ماء عمره المعين وحين قضى دخل عليه الوزير أبو العلاء بن أزرق شبيهه في التعمير وحليفه منذ خلع عن تدمير وهو يبكي ملء عينيه ويقلب على ما فاته منه كفيه وينادي بأعلى صوته أسفا على

فونه (بسيط مخلع)

كان الذى خفت أن يكونا * انا الى الله راجعونا

فوضع على أعواده وودع من القلب بسويدائه ومن العين بسواده وصلى عليه بيلنسية ودفن بمرسية فانقرض الكلام بانقراضه وبكت البلاغة على أغراضه وقد أثبت من نثره ما ترده عذبا نميرا وترود روضا نضيرا فمن ذلك رقعة كتب بها الى المعتصم بالله صاحب المرية أيام رياسته يصف العدو العائث بجزيرة الاندلس كتابى أعزك الله وقد ورد كتاب المنصور ملاذى المعتد بك أيدك الله وقد أودعه ما أودع من حيات ولم يدع مكانا للسلاة فانه للقلوب موذ وللعيون مقذ وللظهور قاصم ولعرى الحزم فاصم فليندب الاسلام نوادبه وليبك له شاهده وغائبه فقد طفئ مصباحه ووطئ ساحه وهيض عضده وغيض ثمده الى الله نفزع واليه نضرع فى طارق الخطب ومنتابه ولا حول ولا قوة الا به هو فارج الكروب وناصر الحروب وعالم الغيوب لا رب سواه وذلك أن فرديناند وقمه الله نزل على قلعة أيوب محاصرا لمن فيها ومغيرا على نواحيها بجموع يضيق عنها الفضاء وتتساقط للاحظتها الاعضاء وأنه قد بنى على قصد جهاتنا ووطء جنباتنا الا أن يدرأ الله فى نحره ويحمى من شره وغرسيه دمره الله بسرقسطة كذلك وزدمير أهلكه الله بوشقة وما والاها يشكى بما يكى والمسلمون بينهم سوام ترتع وأموالهم نهب توزع والقتل يأخذ منهم فوق ما يدع فأطل الفكرة فى هذا الحزم الداخل والبلاء الشامل وأسبل العبرة وأطل العبرة والله المرجو لتلافى الامة وكشف هذه الغمة بمنه (وله مراجعا الى المأمون) ذى المجدين ابن ذى النون الآن أيدك الله عاد الشباب خير معاده وابيض الرجاء بعد سواده وترك الزمان فضل عنانه فلله الشكر المرتد باحسانه ووافانى أعزك الله لك كتاب كريم كما طرز البدر النهر أو كما بلل الغيث الزهر طوقتنى به طوق الحمامة وألبستنى ظل الغمامة وأثبت لى فوق النجوم منزلة وأرانى الخطوب نائية عنى ومعتزلة فوضعته على رأسى اجلالا ولثمت كل سطوره احتفاء واحتفالا وناولنيه الوزير الكاتب أبو الحسن عبدك ونصيحك أعزه الله وبشر بدنو الدار وأشار الى ما لديك كما يشار الى النهار وأخبرنى عن ذلك المجمل بغاية الامل ويعلم الله أنى ما أعد فى لك الاشيعة ولا أرى وتلك الادينا وشريعة فانك

الموثوق بوفائه وشرفه والمسكون الى برد أمنه وظرفه الذى لاتجد الايام الفضل مقما الالديه ولاتعقد الاحرار الاصفاق الاعليه ولن أزال العالم بحقك ومقدارك الناظم فى سلكك واختيارك ان شاء الله تعالى (وله مراجعا) الى اقبال الدولة مهنئا برجوع أحد معاقله اليه والظفر بالمنترى فيه عليه جراحات الايام أيدك الله هدر وجناياتها قدر وليس للمرء حيلة وانما هى ألطاف لله جميلة تستنزل الاعصم من هضابه وتأخذ المتغترب بأثوابه أحده عودا وبدأ على النعمة التى ألبسك سربالها والفتنة التى أطفأ عنك اشتعالها والرياسة التى حمى فيها جمالك وردخاتمها الى عنانك وقد تناولته للباطل يد خشناء فاستقالته يدك الحسناء فلم يكن عنده أهلا لتلك النيابة ولا رآه حليا لخنصر الحبابة والاعناق تقطعها المطامع والنفاق يستوعر فيه الطامع فأقر الله عزوجل الحال فى نصابها وأبرزها فى كمالها تتراءى بين أترابها ووضعت الحرب أوزارها وأخفت الاسود أخياسها وزآرها ومن كانت مذاهبه كمذاهبك وجوانبه للسلامة كجوانبك أعطته القلوب أسرارها وأعلقته المعاقل أسوارها وانجابت عنه الظلماء وأكرم قرضه والجزاء فليهنئك الاياب والغنيمة وهما المنة العظيمة وليكن لهما من نفسك مكان ومن شكرك لله بالموهبة اسرار واعلان وأنا حظى منهما حظ مسلوب أمكنه سلبه وذى مشيب عاوده شبابه وطربه ولما اقترنالى وكانا معظم آمالى وعلمت أن بهما زوال الخلاف ووطؤ الاكناف وأن بالصدر تثلج الصدور ويبتهج السرور بادرت الى توفية الحق لك وتعرف الحال قبلك مشيعا بالدعاء فى مزيدك ضارعا فى الادامة لتأييدك فان الوقت اساءة وأنت احسانه والخير طرف وأنت انسانه فان مننت بما سألته أفضلت وأحسنت ان شاء الله عزوجل (وله الى ناصر الدولة صاحب ميورقة) أطال الله بقاء الامير الاجل ناصر الدولة ومعز الملة منيعا حرمه رفيعا علمه ان الذى بيتته الدنيا أعزك الله من مناقبك العليا قبلت منه أقاصيها وتكفلت به نواصيها لجاذب اليك أحرارها وجالب الى ظلك أعيانها وأخيارها بقلوب تملكها هواها وحركها نهاها وهذا الوزير الاجل الكاتب أبو جعفر بن البنى عبدك الامل أبقاه الله صممت به الى ذرا الهم عوال كأنها الرماح عوال يحملها السفين والعزم النافذ المكين وربع جد ما تلين الى محل من البيان يتقلدها

أيكاد السحر يحسدها وخلائق محمودة كأنها الخلوق تنفح مسكا وتشوق وان الوشى ما خطه وربما أزرى به أو حطه والخبر يغنيه عن الخبر ويعلمه بالعين لا بالاثر والتبر تعلمه منيف القدر والاثر فلا زلت كلفا بالاحسان منصفا من الزمان ان شاء الله تعالى (وله أيضا) أطال الله بقاء الامير الاجل ناصر الدولة ومعز الملة وأيده وأعلى يده الشفاعات أيدك الله على اقدار ملتمسيها ولكل عندك منزلة يوافيها ولما تأمل ذو الوزارتين الفاضل أبو الحسن العامرى أبقاه الله مالك فى الناس من الطول والايناس بما جبلت عليه من شرف السجية والهمم السنية حتى مالت اليك الاهواء وارتفع لك بالحمد اللواء قصد ذراك واعتقد اليمن فى أن يراك فيلاقى من زهر العلا أجفانا ومن نهر الندى جفانا ويستبدل من صد الزمان اقبالا ومن تهاون الايام ابتهالا وله تقدم الوجاهة وتقدم النباهة ويدل عليه بيانه كما يدل على الجواد عنانه وأرجو أن ينال بك الآمال غضة والايادى منك مبيضة فأقوم عنه على منبر الثناء خطيبا وأوقد على جمر الالاء عودا رطيبا لازلت للقاصدين ملاذا وللراغبين معاذا ان شاء الله تعالى (ولما حصل بمنت قوط معتقلا) قام الوزير الاجل أبو بكر بن عبد العزيز فى أمره وقعد وأبرق على ابن عمار وأرعد وخاطب المعتمد فيه شافعا ووقف مناضلا عنه ومدافعا لم ينم عنه ولا أغفى ولا استناب سواه فى تخلصه ولا استكفى فوقع الاتفاق على اخلاء حصن جمله وكان قريبه أبو بكر بن موسى ممتنعا فيها وكانت فى صدر مرسية شجا وفى صباحها دجا قد سدت مسالكها وصدت سالكها وروعت طارقها وقطعت مرافقها فأجاب ابن طاهر الى تمكينهم من أزمتها واعطائها لهم برمتها بعد أن يحل من عقاله ويخرج من موضع اعتقاله وأعطى فى ذلك عهودا وموثقا وكيدا وابن عبد العزيز قد واطأه على النكث ورخص له فى الحنث ومهد له فى فنائه موضعا وأحله من سمائه مطلعا فلما حصل منجاه وعلم أنه قد فاز بنجاه ركب الى بلنسية منهجه ورمى فى أعينهم وهجه فلما حل بجزيرة شقر وهى أول عمل الوزير الاجل كتب اليه كتابى اليك وقد طفل بنا العشى ومال بنا اليك المطى ولها من ذكر الحاد ومن لقياك هاد وسنوافيك المساء فنغفر للزمان ما قد أساء ونرد ساحة الامن ونشكر عظيم ذلك المن فهذه النفس أنت مقيلها وفى برد ظلك يكون مقيلها فالله يمجدك وما تأتيه

لازلت للوفاء تحييه ودانت لك الدنيا ودامت لك العليا ان شاء الله تعالى (فلما
وافت رقعته الوزير الاجل أبا بكر ركب اليه في جملته وتلقاه في أعيانه وجلته
وأنزله في قصر مجاور لقصره وعامله بمجاملة لم تعهد في عصره وأشركه معه في نهيه
وأمره وأطلعه على سره وجهره ولم ينفرد عنه بقصة ولا اختص دونه من الملك
بحصة الى أن فرق بينهما مفرق الجموع ومجتث الاصول والفروع (ولما عاين
من بره ما أعظمه وبهره ما نسقه منه ونظمه كتب اليه من ذا يضاهيك والى
النجم مراقيك فشأوك لا يدرك وشعبك لا يسلك أقسم بالله لاعقدن على علاك
من الثناء اكليلا يذر المحط من سناه كليلا ولأطوقنه شرق البلاد وغربها
ولأحلنه مجمع الرجال وعربها وكيف لا وقد نصرتني نصرا موزرا وصرفت عني
الضيم عفيرا معفرا وألبستني البأو بردا سهما وأوليتني البر مقيما ولم تزل الشعراء
تسليه عن نكبته وتمنيه بالعود الى رتبته بأفصح مقال وأملح انتقال فمن
ذلك قول الوزير أبي جعفر البني (طويل)

أترضى عن الدنيا فقد تتشوف * لعمر المعالي انها بك تكلف
يقولون ليث الغاب فارق غيله * فقلت لهم أنتم له الآن أخوف
ولن ترهبوا الصمصام الا اذا غدا * لكم خارجا من غمده وهو مرهف
ستفرغ عنه للنكب أسطرا * يرى الموت في أثنائها كيف يدلف
اذا غضبت أقلامه قالت القنا * فديتك انا بالمقاتل أعرف
ستكشف عن سر الكتيبة مثل ما * رأيناك عن سر البلاغة تكشف
ويعتز لي هذا الزمان بجولة * على من به دون الورى كان يشرف
رويدا قليلا يا زمان فانه * يغيظك منه بالذي أنت تعرف

(ولما كان ابن عبد العزيز) الذي سهل طريق نجاته ودس له الشك أثناء
مراسلته ومناجاته اعتقدها ابن عمار غدرة جرت على يديه وخديعة نسب
عارها اليه ولم يزل يعمل في الاضرار به فكره ويقبح وصفه وذكره ويغري به
نفوس رعيته ويريش ويبري في بليته فمن ذلك قوله يحرض أهل بلنسية على
القيام عليه (كامل)

بشر بلنسية وكانت جنة * أن قد تدلت في سواء النار
ثاروا بني عبد العزيز فانهم * جروا اليكم أسوأ الاقدار

نوروا بهم متأولين وقلدوا * ملكا يقوم على العدو بثار
هذا محمد أو فهذا أحمد * وكلاهما أهل لتلك الدار
جاه الوزير بها يكشف ذيلها * عن سوأة سوأى وعار عار
نكث اليمين وحاد عن سنن العلا * وقضى على الاقبال بالادبار
آوى لينصر من نأى المثوى به * ودهاه خذلان من الانصار
ما كنتم الا كلقمة صالح * فرميتم من طاهر بقدار
هلا وخصكم بأشأم طائر * ورمى دياركم بألأم جار
برّ اليمين ولم يعرّض نفسه * ونفوسكم لمصارع الفجار
لابدّ من مسح الجبين فانما * لطمته عذرا غير ذات سوار
هيهات يطمع فى النجاة لطالب * ساع اذا دنت البكوا كبسار
كيف التفلت بالخديعة من يدى * رجل الحقيقة من بنى عمار
رجل تطعمه الزمان نجاءة * طرفين فى الاحلاء والامرار
سلس القياد الى الجميل فان يهج * يدع العنان كهيئة التيار
فطن باغراض الامور مجرب * فطن باسرار المكائد دار
ماض اذا برزت اليه معمم * مولى اذا التفت عليه مدار
مازال مذ عقدت يداه ازاره * فسما فأدرك خمسة الاشبار
كشاف مظلمة وسائس أمة * نفاع أهل زمانه الضرار
عجبا لأشمط راضع ثدى الوغى * منه وطود فى القنا الخطار
شرّاب أكواس المدام وتارة * شرّاب أكواس الدم المؤار
جرّار أذيال القنا طنوابه * قد زاركم فى الجحفل الجرار
وكأنكم بنجومه ورجومه * تهوى اليكم من سماء غبار
وأنا النصيح فان قبلتم فاتركوا * آثارها خبرا من الاخبار
قوموا الى الدار الخبيثة فانهبوا * تلك الذخائر من خبايا الدار
وتعوضوا من صفرة حبشية * بأغر وضاح الجبين نضار

(وكتب الى المنصور بن أبى عامر) يعلمه بخبر السيل الذى سال بمرسية فعفى آثارها وهد أسوارها واحتمل ديارها وقد كان ورد كتابه مستفهما عن خبره ومنتهى عبره وردنى أيدك الله كتابك الكريم مستفهما لما طار به اليك الخبر من السيل

الحافل الذى عظم منه الضرر وقد كنت آخذا فى الاعلام بحوادثه العظام فانه أذهل الاذهان وشغل البيان اذ أقبل بملاء السهل والجبل والجنوب قد اضطجعت والعيون قد هومت للنوم أو هجعت فمن ماض قد استلبه وناج قد حربه وفازع قد أثكله وحائر لا يدرى ما حسمه والبرق يجب فؤاده والودق ينسرب مزاده وقد استسلم للقدر واعتصم بالله عز وجل وليس سواه من وزر حتى أرانا آية اعجازه وبراهينه وغيض الماء لحينه وطلع الصباح على معالم قد غيرها وآكام قد حدرها لا ينقضى منها عجب لناظر ولا يسمع مثلها فى الزمن الغابر فالحمد لله على وافى دفعه ومتلافى غوثه ونفعه لا رب غيره (وكتب اليه) مع شوذانقات وانى لما شيعته أيده الله وبت فى الحلة الكريمة معه قصدنى نائل مملوكه فى ارتياد أفرخ من الشوذانقات عند أوانها والبعث بها وقت تهيئها وامكانها فلم أفارق لها ارتقابا ولا حدوت فمباحثة عنها انتيابا ولمظانها طلابا الى ان حان حين ظهورها وامتلأت منها حجور وكورها وبداسعها واكتنى عريها وجهت طيارفيقا لاستنزالها برفق الى ذرى أجبالها وعيز أفرخها ويحوز أشرها بجلب منها عددا دربت بدا فيدا الى أن تخرج منها ثلاثة أطيار كأنها شعل نار أجل كل صيد وقيده اياقيد تقلب حوادق مقل وتنظر نظر محتبل وتسرع فى الانقضاض كالوحى والايماض وترجع الى يد وثاقها كأنها أشفقت من فراقها بمخلب دام وأبهة مقدام فناهيك بها يا مولاى سعد لك ذخرها وعبد فى لك تخيرها وهى واصلة من يد حاملها تحمل رغبة ناظمها فى الباسه حلة التشريف والتنويه بالامر بقبولها والمراجعة عن وصولها ان شاء الله تعالى (وكتب الى الحاجب نظام الدولة) أطال الله بقاء الحاجب نظام الدولة سيدى المعظم وسندى المقدم المعيم فى اعتلاء الجد ومضاء الحد انه سبق الى من بره أيده الله وتأنيه ما أثقل ظهرا وعاتقا وبعث الشكر مبرا ورائقا وكذا الشرف التليد يكون له السبق الجيد ووافانى أيده الله كتابه الرفيع فخذر عن الصلة تمامها وأطلع للمبرة غمامها فألفى الوداد فى محاضه لم يتعرضه الزمان باعراضه ووعيت أيده الله عن مؤديه سلمه الله ما تحمل وطبق فيه المفصل بحسن نطقه وأمارات صدقه وراجعته عنه بما يبلغ الشفاء منه وقلدته من الثناء على سيدى ما يسير فى ضمانه ويتعطر

بانهائه وانى مادمت على الصفاء المقيم والى مجده مستنيم فلا برح أيده الله والسعد كانفه والعزم مؤالفه ان شاء الله عز وجل (ولما انحل من أسره) وحل بين سماك ابن عبد العزيز ونسره واستراح من الشجن وارتاح ارتياح أبي محجن عاد الى عادانه من التبذير ودسه أثناء الابتداء والتصدير وأسلك ابن عبد العزيز طريقه وعلمه تسديده وتوفيقه وبلغه أن ابن عمار تختم بخاتمين أحدهما المؤتمن والآخر لاذفرنش بن فردلند فأومأ فى ذلك الى ابن عبد العزيز ورمز وألمز على رسوله المعلم بذلك وغمز فلما بلغ ذلك ابن عمار أقلقه وضيق فى القاسك طلقه فكتب الى ابن عبد العزيز (كامل)

قل للوزير وليس رأى بوزير * ان يتبع التنزير بالتبذير
ان الوزارة لو سلكت سبيلها * وقفت على التعزيز والتوقير
وأرى الفكاهة جل ما تأتى به * وجمالها فى التصدير والتطفير
وصلت دعابتك التى أهديتها * فى خاتم التأمين والتأمير
وأظنها الظاهرى فان تكن * لخليفة التقديس والتطهير
ولعل يوما أن يصير نقشه * فى طينة التقديم والتأخير
ويرى بلنسية وأنت مدارها * سينالها التدمير من تدمير

(وجئته يوما وقد وقفت بباب الحنش) فقال لى من أين فأعلمته ووصفت له ما عاينته من حسنه وتأملته فقال لى كنت اخرج اليه أكثر الليالى مع الوزير الاجل أبى بكر المدورضته التى وقت الشمس أن يكون منها طلوعها وتمنى المسك ان تضم عليه ضلوعها والزمان غلام والعيش أحلام والدنيا تحية وسلام والناس قد انتشروا فى جوانبه وقعدوا الى مذانبه وفى ساقيته الكبرى دولاب يئن كناقة الى الحوار أو كثكلى من حر الاوار وكل مغرم يجعل فيه ارتياحه بكرته ورواحه ويغازل عليه حبيبه ويصرف اليه تشبيبه فخرجت اليه ليلة والمتنبى الجزيرى واقف وأمامه ظبى آنس تهيم به المكانس وفى أذنيه قرطان كأنهما كوكبان وهو يتأود تأود غصن البان والمتنبى يقول (رمل)

معشر الناس بباب الحنش * بدر تم طالع فى غبش
علق القرط على مسمعه * من عليه آفة العين خشى

فلما رآنى أمسك وسجع كأنه قد تنسك (ولما صلت بتقديم الاحكام) فى احتدته

جهاته قلدت فلانا سلمه الله النظر فى أحكام فلانة وتخيرته لها بعدما خبرته واستخلفته عليها وقد عرفته وانتقايدينه راجيا تحصينه لانه ان احتاط سلم وان أضاع أثم فليقم الحق على أركانه وليضع العدل فى ميزانه وليسو بين خصومه وليأخذ من الظالم لمظلومه وليقف فى الحكم عند اشتباهه ولينفذه عند اتجاهه ولا يقبل غير المرضى فى شهادته ولا يتعرف سوى من كان الصدق من عادته وليعلم أن الله مطلع على خفياته وسائله يوم ملاقاته لارب غيره (وله الى صاحب قلبيرة) يستدعى منه أقلاما قد عدمت أطال الله بقاءك بهذا القطر الاقلام وبها يتخصص الكلام وهى حلية البيان وترجمان اللسان عليها تفرع شعاب الفكر وذكرها منزل فى محكم الذكر ومنابتها بلدك وبيدك فيها يدك وأريد أن ترتادلى منها سبعة كعدد الاقاليم حسنة التقليم فضية الاديم ولا يعتمد منها الا صليبها الطوال أنابيبها واذا استمدت من أنفاسها وافاك الشكر من أنفاسها ان شاء الله تعالى (وكتب الى الوزير الاجل) أبى عبد الملك بن عبد العزيز عند الحادثة بقونكة كتبت أعزك الله والحد فليل والذهن كليل بما حدث من عظيم الخرق على جميع الخلق فلتقم على الدين نوادبه فقد جب سنامه وغاربه ولتفض عليه مدامعه وعبراته فقد غشيه حمامه وغمراته وكان منيع الذرى بعيدا عن أن يلحظ أو يرى تحميه المناصل البتر والذوابل السمر والمسومة الجرد ومشيخة كانهم من طول ما التثموا مرد فأبى القدر الا أن يفجع باسمح مدائنه ومعاقله ولا يترك له سوى سواحله وكانت لطليطلة اختا فاستلبها فجأة وبغتا وقبل ما سلب الجزيرة وسطى عقدها بالنسبة جبرها الله وأرجو أن يتلافى جميعها من نظر أمير المسلمين أيده الله ما يعيدها فيملؤها خيلا ورجالا ينفر بهم خفافا وثقالا عليهم من قواده شيبها وشبانها وفيهم من أجناده زنجها وعربانها (كامل)

من كل أبلج باسم يوم الوغى * يمشى الى الهيجاء مشى غضنفر
يلقى الرماح بوجهه وبنحره * ويقيم هامته مقام المغفر

حتى يستقال جدها العاثر ويحيا رسمها الداثر فتبتهج الارض بعد غبرتها ويكتسى الدهر بزهرتها وما قصر القائد الاعلى فى الجد والتشمير والاحتفال بالابطال المغاوير حتى بلغ بنفسه أبلغ المجهود وابلجود بالنفس أقصى غاية الجود

ولكن نفذ حكم من له الحكم ورمى قضاؤه فما أخطأ السهم والله لا يضيع له مقامه فى العام السالف وما أورد المشركين فيه من المتالف فما انقضى فتح حتى أعقبه فتح كالفجر يتبعه صبح مد الله بسطته وثبت وطأته ولا زال للصنع الجميل عن هذا الدين مراميا وله محاميا بعزته (وكتب الى القاضى ابن فورتش) كتبت أعزك الله عن ضمير اندمج على سر اعتقادك دره وتبلج فى أفق ودادك بدره وسال على صفحات شمائلك مسكه وصار فى راحتى سنا ثك ملكه ولما ظفرت بفلان جلته من تحيتى زهرا جنيا يوافيك عرفه ذكيا ويواليك أنسه نجيا ويقضى من حقك فرضا مأتيا على أن شخص جلالك لى ماثل وبين ضلوعى نازل لا يحيله خاطر ولا يمسه عرض داثر ان شاء الله عز وجل (وشفع له ذو الرياستين) عند القائد الاعلى أبى عبد الله محمد بن عائشة فى أن يسوغه من أملاكه ما يرتشه ارتجاعه وينعشه انتجاعه فأعلمه أن أمير المسلمين حد له ألا يحوله شيأ ولا ينوله منها نفسا ولا ريا فكتب اليه يعرض عليه الوصول الى دولته والحصول فى جملته فيوليه غاية اجماله ويوليه ما شاء من أعماله فكتب اليه كل المعالى أيدك الله اليك ابتسامها وفى يدك انتظامها وعليك اصفاقها ولديك اشراقها وان كتابك الرفيع وافانى فكان كالزهر الجنى أو البشرى أتت بعد النعى سرى الى نفسى فأحياها وأسرى عنى كرب الخطوب وجلاها وتنبه لى وقد نامت عنى العيون وتهمم بى وقد أغفلنى الزمن الخؤن فتملكنى باجماله واستخفنى باهتباله فلتأبينه بالثناء الركائب تحمله أعجازها والغوارب وأما ما وصف به أيده الله الايام من ذميم أوصافها وتقلبها واعتسافها فما جهلته ولقد بلوتها خبرا ورددتها على أعقابها صغرى فلم أخضع لجفوتها ولم أتضعضع لنبوتها وعلمت أن الدنيا قليل بقاؤها وشيك فناؤها فأعددت قول القائل

(متقارب) تفانى الرجال على حبها * وما يحصلون على طائل

وعلى حالاتها فما عدمت فيها من الله صنعا لطيفا وسترا كثيفا له الحمد ما أومض بارق ولمع شارق وأما ما عرضه أيده الله من الانتقال الى ذراه والتقلب فى نعماه والحلول فى جنابه فكيف وأنى به وقد قيدنى الهرم فما أستطيع نهضا ولا أطيق بسطا ولا قبضا ولو أمكننى لاستقبلت العمر جديدا والفضل مشهودا عند من تقر بسوابقه العجم والعرب وتؤكل خلائقه بالضمير

وتشرب جازاه الله بالحسنى وأولاه ثواب ما تولى بعزته تعالى (ولما نهضت بنت الوزير الاجل) أبى بكر بن عبد العزيز الى سرقسطة لتزف الى المستعين بالله استدعى المؤتمن أعيان الاندلس وأمجادها وأبطالها وأنجادها وكتابها ووزراءها وحجابها وأمراءها لمشاهدة زفافها فأجابوا مناديه وانحشروا الناديه وكان عرسا لم تكتحل مدته بسرقسطة عين بوسن ولم يحتفل احتفاله فيه المأمون لبوران بنت الحسن وحشرت اليه الآمال حشرا وطابت به الأماني عرفا ونشرا وأبدت له الدنيا تهللا وبشرا وومت فيه المسرات جارها وفسحت لطراد المستهزئين مضمارها فكتب أبو عبد الرحمن معتذرا عن الوصول اليه والحصول لديه نعمه أيده الله قد أغرقتني مدودها وأثقلتني لواحقها ووفودها ووافاني كتابه العزيز داعيا الى المشهد الاعظم والمحفل الاكرم الذي ألبس الدنيا اشراقا والمجد ابراقا فألقى الدعاء مني سميعا لا سيما وقد قلدني به الشرف والسودد والبر جميعا وسما بناظري فيه الى حيث النجوم شوابك والمعالي أرائك الا أنه أيده الله أتم نظرا وأصح تدبرا من أن يلحق بخاصته الزلل أو يوقع عليه الخلل وقد علم أن الايام تركن بالي كاسفا وخطوي واقفا فكيف يسوغ لي أن القاه بذهن كليل وفكر عليل اذن فقد أخللت بأياديه وما أجللت رفيع ناديه وأقسم المقسم البر بجيانه أطالها الله ما كان من وطري ان اتأخر عنه ولي فيه الآمال العريضة والقداح المفيضة وفي يدي منه مواعد زهر النظام ومواهب زرق الجمام واذا عرف أيده الله الحقيقة رأى العذر واضحا والسر لائحا وعسى أن يلاحظ سعد ويستنجز للمنى وعد وينفسح خاطر ويهتدي حائر فيقف ببابه ملازما ويخر على بساطه لاثما ان شاء الله تعالى (ودخلت المنسية) سنة ثلاث وخمسمائة فلقيته وقد انحنى وعوض من نشاطه الحنا وهو يعسي بالعيش على الضجر ويمشي على ساق من الشجر لا تحمله المنساة من الكبر ولا يعلك رأس البعير ان نفر الا أنه متع بانسانه وأقطع ما شاء من ابداع فكره ولسانه فأعاد عصري صبا وأهب ريحي صبا ودارت بيننا مراسلات أحلى من عطفات الحبيب وأشهى من رشفات اللمى الشنيب وفي أثناء ذلك استدعاني أميرها الى الالتزام وعزم فيه كل الاعتزام بعد أن أرسل مالا وملا لي بالرغائب يمينا وشمالا وجلا على آمالي شخوصا وتلاها نصوصا فأبيت وتلومت

والتنويه وفرّقت ما أعطاني وعطلت صهوة التوجيه التي أمطاني فكتب الىّ الرئيس أبو عبد الرحمن رحمه الله انا أعزك الله عليك شحيح ولك فيما تأتيه وتحتذيه نصيح فالزمان لا يساعد والايام تعوق وتباعد فأقصر من هذه الهمة واقتصر من أمورك على المهمة التى تفجأ مع الاوقات ولا يلجأ فيها الى ميقات واقتصد فى مواهبك واقصد الى العدل فى مذاهبك ولا تكلف فى الجود بسرف ولا تقف من التبذير على شرف فلو أنّ البحر لك مشرب والترب مكسب لنفد امعا ولم يسدّ اموضعا ولو كان لك النجم مصعدا والفلك مقعدا لما ثنيت الى ذلك عنانا ولا ارتضيت لهمتك مكانا وقد خطبتك الحظوة سرّا وجهرا وبذلت لك الامرة أسنى مراتبها مهرا فازدريت زهوا ولمطيت بأوا لا تتربص على مسنديها ولا يختص باجابتك مناديها وقد كان يجب أن لا ترغب عن راغب ولا تنكب عنه الى شغب شاغب فأين تريد تنزل وما الذى ترضى وتستجزل وقد عرضت عليك الامانى ثما تأملتها وخلعت عليك ملابسها فما اشتملتها والذى أحضك عليه ان تكف من رسنك قليلا ومن وسنك مستطيلا ان شاء الله وأقمنا نتجاذب أهداب المخاطبة ونصل أسباب المكاتبة ونتعاطى أحاديث كأنها رضاب ونتراضى والايام غضاب الى أن نهضت الى ميورقة فانصرم فى التزاور سببنا وخوى من سمائه كوكبنا فكتب الىّ يا كوكب مجد أظلمت بغروبه منيرات الافاق وذهب ما كنت عهدته بطلوعه من الاشراق لقد استرجعت مسرّاتى أجمعها وأزلت عن نفسى فى السلوة طمعها فسقيا العهدك وقل له السقيا وبالهفى من بعدك ان قضى لى بالبقيا وانّ بى من الشوق لبعدك والكدر ما لو كان بالفلك الدوّار لم يدر فلقد كانت غراء أيام تلاقينا والانس يساقينا وانه المملة لعينى ما يحول الساق بينها وبينى وعساها تعود فتطلع معها السعود ان شاء الله تعالى (ودعيت يوما) الى منية المنصور بن أبى عامر ببلنسية وهى منتهى الجمال ومزهى الصبا والشمال على وهى بنائها وسكون الحوادث برهة فى فنائها فوافيتها والصبح قد ألبسها قميصه والحسن قد شرح بها عويصه وبوسطها مجلس قد تفتحت للروض أبوابه وتوشحت بالازر المذهبة أثوابه يخترقه جدول كالحسام المسلول وينساب فيه انسياب الايم فى الطلول وضفاته بالادواح محفوفة والمجلس يروق كالخريدة المزفوفة وفيه يقول على بن أحمد

احمد

أحد شعرائها وقد حله مع طائفة من وزرائها (منسرح)

قم فاسقني والرياض لابسة * وشيا من النور حاكه القطر
والشمس قد عصفرت غلائلها * والارض تندى ثيابها الخضر
في مجلس كالسماء لاح به * من وجه من قد هويته بدر
والنهر مثل المجرّ حف به * من الندامى كواكب زهر

فحللت في ذلك المجلس وفيه أخدان كأنهم الولدان وهم في عيش لدن كأنهم في جنة عدن فأنخت لديهم ركائبي وعقلتها وتقلدت بهم رغائبي واعتقلتها وأقمنا تنسم بحسنه طول ذلك اليوم ووافى الليل فذدنا عن الجفون طروق النوم وظللنا بليلة كأن الصبح منها مقدود والاغصان تميس كأنها قدود والمجرّة تتراءى نهرا والكواكب تخالها في الجوزهرا والثريا كأنها راحة تشير وعطارد لنا بالطرب بشير فلما كان من الغد وافيت الرئيس أبا عبد الرحمن زائرا فأفضنا في الحديث حتى أفضى بنا الى ذكر متنزهنا في أمس وما نلنا فيه من الانس فقال لي وما بهجة موضع قد بان قطينه وذهب واستلب الزمان بهجته وانتهب وباد فلم يبق الا رسمه ومحاه الحدثان فما يكاد يلوح وسمه عهدي به عند ما فرغ من تشييده وتنوهي في تنميقه وتنضيده وقد استدعاني اليه المنصور في يوم حلت فيه الشمس بيت شرفها واكتست الارض بزخرفها فحللت به والدوح تميس معاطفه والنور يخجله قاطفه والمدام تطلع فيه وتغرب وقد حل فيه قحطان ويعرب وبين يدي المنصور مائة غلام ما يزيد أحدهم على العشر غير أربع ولا يحل غير الفؤاد من مربع وهم يديرون رحيقا خلتها في كؤسها درّا وعقيقا فأقمنا والشهب تغازلنا وكأن الافلاك منازلنا ووهب المنصور في ذلك اليوم ما يزيد على عشرين ألفا من صلات متصلات وأقطاع ضياع ثم توجع لذلك العهد وأفصح بما بين ضلوعه من الوجد وأنشد (كامل)

سقيا لمنزلة اللوى وكثيبها * اذ لا أرى زمنا كأزماني بها

(قال وأخبرني رحمه الله) أن أبا أحمد بن جحاف لما انتزى وانتمى الى الرياسة واعتزى وظنّ بقتل القادر بالله أنه يتم له من الاستبداد ماتم للقاضي ابن عباد والقدر يضحك من ورائه ويصك له بقبيح آرائه بادر لحينه بالامتداد الى حاشيته والاستطالة على غاشيته فوجه اليه من قبله رسولا فجبهه وسبه ومن وجهه وكتب الى

صاحب المظالم ابن عمه قد البستنى من برك أعزك الله ما لا أخلعه وحملتنى من شكرك ما لا أضيعه فأنا أستريح اليك استراحة المستنيم وأصرف الذنب الى الزمن المليم وان ابن عمك مد الله بسطته لما ثار بورته التى بلغ بها السماك وظن أنه قد بذ معها الافلاك نظر الى متخازرا متشاوسا وظننى حاسدا أو منافسا ولعن الله من حسده جمالها فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها ثم تورم على أنف عزته فرمانى بضروف محنته وكل ذلك أتجرعه على مضضه وأتغافل لغرضه وأطويه على بلله وما انتصر بشىء من عمله الى أن رام اليوم بسوء رأيه أن يزيد فى تعسفه وبغيه فاستقبلت من الامر غريبا ما كنت أحسبه ولا بان لى سببه ولما جاءه رسولى مستفهما عبس وبسر وأدبر واستكبر فأمسكت محافظا للجانب وعاملا على الواجب لا أن هيبة أبى أحمد قبضتنى ولا أن مبرته عندى اعترضتنى وأنا أقسم بالله حلفة بر لو أن الايام قذفت بكم الى وأنا بمكانى لأوردتكم العذب من مناهلى وحملت جميعكم على عاتقى وكاهلى ولكن الله يعمر بكم أوطانكم ويحمى من المغير مكانكم ويحوط هذه السيادة الطالعة فيكم البانية لمعاليكم فلا يسوءك مقطعه وليسرك مصرعه فما مثله يعطل ولا ينتظر ولا يمهل ان شاء الله تعالى ولم أسمع له شعرا الا ما أنشد نى فى أبى أحمد هذا عند قتله القادر بالله يحيى ابن ذى النون رحمهم الله أجمعين (رمل مجزوء)

أيها الاخيف مهلا * فلقد جئت عويصا

اذ قتلت الملك يحيى * وتقمصت القميصا

رب يوم فيه تجزى * لم تجد عنه محيصا

(تم القسم الاول بعون الله)

القسم الثانى من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان فى غرر حلية الوزراء وفقر الكتاب والبلغاء

ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون رحمه الله وأسكنه دار رحمته ورضاه

زعيم الفئة القرطبية ونشأة الدولة الجهورية الذى بهر بنظامه وظهر كالبدر ليلة تمامه فجاء من القول بسحر وقلده أبهى نحر لم يصرفه الا بين ريحان وراح

ولم

ولم يطلعه الافى سماء موانسات وأفراح ولا تعدى به الرؤساء والملوك ولا تردى منه الاحظوة كالشمس عند الدولة فشرف بضائعه وأرهف بدائعه وروائعه وكلفت به تلك الدولة حتى صار ملهج لسانها وحل من عينها مكان انسانها وكان له مع أبي الوليد بن جهور تألف أحر ما بكعبته وطافا وسقيا من تصافيهما نطافا وكان يعد ذلك حساما مسلولا ويظن أنه يرقى به صعب الخطوب ذلولا الى أن وقع له طلب أصاره الى الاعتقال وقصره عن الوخد والارقال فاستشفع بأبي الوليد وتوسل واستدفع به تلك الاسنة المشرعة والاسل فما ثنى اليه عنان عطفه ولا كف عنه استنان صرفه فتحيل لنفسه حتى تسلل من حبسه ففر فرار الخائف وسرى الى أشبيلية سرى الخيال الطائف فوافاها غلسا قبل الاسراج والالجام وتجاوز رأس طمرة ولجام فهشت له الدولة وتاهت به الجملة فأحمد اليها فراره وأرهفت النكبة غراره وحصل عند المعتضد بالله كالسويداء من الفؤاد واستخلصه استخلاص المعتصم بالله لابن أبي دواد وألقى بيده مقاليد ملكه وزمامه واستكفى به نقضه وابرامه فأشرقت شمسه وأنارت وأنجدت محاسنه وغارت ومازال يلتحف بحظوته ويقف بربوته حتى أدركه حمامه ولقي السرار تمامه فأجن منه التراب شمسا طالعة وزهرة يانعة وقد أثبت من مقاله في سراحه واعتقاله ومقامه وانتقاله ماهو أرق من النسيم وأشرق من المحيا الوسيم فمن ذلك ما قاله متغزلا (سريع)

يا قمرا مطلعه المغرب * قد ضاق بي في حبك المذهب
ألزمتني الذنب الذى جئته * صدقت فاصفح أيها المذنب
وان من أغرب ما مر بي * أن عذابي فيك مستعذب

ورحل عنه من كان يهواه وفاجاه بينه ونواه فسايره قليلا وماشاه وهو يتوهم ألم الفرقة حتى غشاه فاستعجل الوداع وفي كبده ما فيها من الانصداع فأقام يومه بحالة المفجوع وبات ليلته نافر الهجوع يردد الفكر ويجدد الذكر فقال (رمل)

ودع الصبر محب ودعك * ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على أن لم يكن * زاد في تلك الخطا اذ شيعك
يا أخا البدر سناء وسنا * حفظ الله زمانا أطلعك
ان يطل بعدك ليلي فلكم * بت أشكو قصر الليل معك

(وأخبرني الوزير) الفقيه أبو الحسين بن سراج رحمه الله انه في وقت فراره أضحى غداة الاضحى وقد ثار له الوجد بمن كان يألفه والغرام وتراءت لعينه تلك الظباء الاوانس والآرام وقد كان الفطر وافاه والشقاء قد استولى على رسم عافيته حتى عفاه فلما عاده منه ما عاد وأعياه ذلك النكد المعاد استراح الى ذكر عهده الحسن وأراح جفونه المسهدة بتوهم ذلك الوسن وذكر معاهد كان يخرج اليها في العيد ويتفرج بها مع أولئك الغيد فقال (طويل)

خليلي لا فطر يسر ولا أضحى * فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى
لئن شاقني شرق العقاب فلم أزل * أخص بمخصوص الهوى ذلك السفحا
وما انفك جوفي الرصافة مشعري * دواعي بث تعقب الاسف البرحا
ويهتاج قصر الفارسي صبابة * بقلبي لا يألو زناد الهوى قدحا
وليس زميما عهد مجلس ناصح * فأقبل في فرط الولوع به نصحا
كأني لم أشهد لدى عين شهدة * نزال عتاب كان آخره الفتحا
وقائع جانيها التجني فان مشى * سفير خضوع بيننا أكد الصلحا
وأيام وصل بالعقيق اقتضيته * فالا يكن ميعاده العيد فالفصحا
وآصال لهو في مسناة مالك * معاطاة ندمان اذا شئت أو سبحا
لدى راكد تصبيك من صفحاته * قوارير خضر خلتها مردت صرحا
معاهد لذات وأوطان صبوة * أجلت المعلى في الاماني بها قدحا
الا هل الى الزهراء أوبة نازح * تقضت مبانيها مدامعه نزحا
مقاصير ملك أشرقت جنباتها * فخلنا العشاء الجون أثناءها صبحا
يمثل قرطيها لي الوهم جهرة * فقبتها فالكوكب الرحب فالسطحا
محل ارتياح يذكر الخلد طيبه * اذا عز أن يصدى الفتى فيه أو يضحى
هنالك الجام الزرق تبدا خفافها * طلال عهدت الدهر فيها فتى سمحا
تعوضت من شدو القيان خلالها * صدى فلوات قد أطار الكرى ضبحا
ومن حلي الكاس المفدى مديرها * تقحم أهوال حملت لها الرمحا
أجل ان ليلى فوق شاطئ نيطة * لأقصر من ليلى بآنة والبطحا

وهذه معاهد لبني أمية قطعت بها الليالي وأياما وظلت فيها الحوادث عنهم نياما فهاموا بشرق العقاب وشاموا به برقا يبدو من نقاب ونعموا بجوف الرصافه

وطعموا عيشا تولى الدهر جلاءه وزفافه وأبعدوا نصح الناصح وجد وأنس مجلس ناصح وعموا بالزهراء وصموا عن بناء صاحب الزوراء حتى رحلهم الموت عنها وقوضهم وعوضهم منها ما عوضهم فصاروا أحاديث وأنباء ولم يتزودوا منها الاحنوطا وكفاء وغدت تلك المعاهد تصافحها أكف الغير وتناوحها نعبات الطير وراحت بعد الزينة سدى وأمست مسرحا للسيد وملعبا للصدى يسمع للجن بها عزيف ويصرع فيها البطل الباسل والنزيف وكذا الدنيا أعمالها خراب وآمالها آل وسراب أهلكت أصحاب الاخدود وأذهبت ما كان بمأرب من حيازات وحدود (وله) يتغزل بولادة (بسيط)

يا نازحا وضمير القلب مثواه * أنستك دنياك عبدا أنت دنياه

ألهتك عنه فكاهات تلذ بها * فليس يجري ببال منك ذكراه

علّ الليالي تبقيني الى أمل * الدهر يعلم والايام معناه

(وكان يكلف بولادة) بنت المهدي هذه ويهيم ويستضيء بنور تخيلها في الليل البهيم وكانت من الادب والظرف وتتيم المسمع والطرف بحيث تختلس القلوب والالباب وتعيد الشيب الى أخلاق الشباب فلما حل بذلك الغرب وانحل عقد صبره بيد الكرب كر الى الزهراء ليتوارى في نواحيها ويتسلى برؤية موافيها فوافاها والربيع قد خلع عليها برده ونثر سوسنه ووردده وأترع جداولها وأنطق بلابلها فارتاح ارتياح جميل بوادي القرى وراح بين روض يانع وريح طيبة السرى فتشوق الى لقاء ولادة وحن وخاف تلك النوائب والمحن فكتب اليها يصف فرط القلق وضيق أمده اليها وطلقه ويعاتبها على اغفال تعهده ويصف حسن محضره بها ومشهده (بسيط)

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والافق طلق ووجه الارض قد راقا

وللنسيم اعتلال في أصائله * كأنما رق لي فاعتل اشفاقا

والروض عن مائه الفضي مبتسم * كما حللت عن اللبات أطواقا

يوم كأيام لذات لنا انصرمت * بتنا لها حين نام الدهر سراقا

نلهو بما يستميل العين من زهر * جال الندى فيه حتى مال أعناقا

كأن أعينه اذ عاينت أرقى * بكت لما بي فجال الدمع رقراقا

ورد تألق في ضاحي منابته * فازداد منه الضحا في العين اشراقا

سرى بنا لجة نيلوفر عبق * وسنان نبه منه الصبح أحداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا * اليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا
لو كان وفى المنى فى جمعنا بكم * لكان من أكرم الايام أخلاقا
لاسكن الله قلبا عن ذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملى نسيم الريح حين هفا * وافاكم بفتى أضناه ما لاقا
يا علق الاخضر الاسنى الحبيب الى * نفسى اذا ما اقتنى الاحباب أعلاقا
كان التجازى بمحض الود مذ زمن * ميدان أنس جرينا فيه اطلاقا
فالآن أحمد ما كنا لعهدكم * سلوتم و بقينا نحن عشاقا

ولم تزل الايام تدنيه وتبعده وتسوءه وتسعده وتقذف به الى كل نازح وتطرف أمله بعين اللاعب المازح حتى أحلته بلنسية وهلال ذكائه كما أقمر وغصن نباهته يانع قد أثمر وبنو عبد العزيز غرر ملكها ودرر سلكها يفيضون بحور الندى ويومضون فى كل منتدى فحل منهم محل الحيا فى الكؤس ووقع منهم مواقع البشائر فى النفوس وأقام بين مبرة تواصله ومسرة تغازله ومكارمة تغاديه ومجاملة كرائح القطر وغاديه فلما انفصل وحصل فيما حصل تذكر بعد برهة ذلك العيش ونور عمره قد صوح وغصن سنه قد دوح فلم يجد الاله طيبا ولم يهصر غير فننه غصنا رطيبا فكتب الى ابن عبد العزيز (كامل مجزوء)

راحت فصح بها السقيم * ريح معطرة النسيم
مقبولة هبت قبو * لا فهى تعبق فى الشميم
أفضيض مسك أم بلنـ * ـسية لريا ها نميم
بلد حبيب أفقه * لفتى يحل به كريم
ايه أبا عبد الا لــ * ـه نداء مغلوب العزيم
ان عيل صبرى من فرا * قك فالعذاب به أليم
أو أتبعتك جنينها * نفسى فأنت لها قسيم
ذكرى لعهدك كالسها * د سرى فبرح بالسليم
مهما ذكرت فازما * نى فى زمانك بالذميم
زمن كأن لوف الرضا * ع يشوق ذكراه الفطيم
أيام أعقد ناظرى * بذلك المرأى الوسيم

فأرى الفتوة غضة * فى ثوب أ وّاه حليم

الله يعــــلم أنّ حـبـك من فؤادى فى الصميم

ولئن تحمل عنك فى * جسم فعن قلب مقيم

ثم السلام تبلغنـــه بقلب مهديه السليم

وفى أيام مقامه ببلنسية ونشوقه الى بلاده قال (طويل)

غريب بأرض الشرق يشكر للصبا * تحملها منه السلام الى الغرب

وما ضرّ أنفاس الصبا فى احتمالها * سلام فتى يهديه جسم الى قلب

(وفى نكبته) وقعود أبى الحزم عن اقالته من كبوته يقول يعاتبه من قصيدة وقد بلغه أنه سعى به اليه (طويل)

أبا الحزم انى فى عتابك مائل * الى جانب تأوى اليه العلا سهل

حمائم شكوى صبحتك هوادلا * تناديك من أفنانها دانى الهدل

جواد اذا استنّ الجياد الى مدى * تمطر فاستولى على أمد الخصل

ثوى صافنا فى مربط الهون يشتكى * تحمحمه مما الم من أذى الشكل

وانى لتنهانى نهاى عن التى * أشاربها الواشى ويعقلنى عقلى

أأنقض فيك المدح من بعد قوة * فلا أقتدى الا بناقضة الغزل

هى النعل زلت بى فهل أنت مكذب * لقيل الاعادى انها زلة الحسل

الا انّ ظنى بين فعليك واقف * وقوف الهوى بين القطيعة والوصل

والا جنيت الانس من وحشة النوى * وهول السرى بين المطية والرحل

وأين جواب منك ترضى به العلا * اذا سالتنى عنك ألسنة الحفل

(وله عند ثقافه) وفقدا الوفاء من ألافه يخاطب أبا حفص بن برد وقد حار ولم يجد هاديا وصار رهينا الا يرجو فاديا وعلم أنّ الناس متقلبون وعلى من انقلب الدهر منقلبون لا يدنيهم فى الشدة اخاء ولا يثنيهم عن ذى الحظوة زهو ولا انتخاء (رمل مجزو)

ما على ظنى باس * يجرح الدهر وياسو

ربما أشرف بالمر * على الآمال ياس

ولقد ينجيك اغفا * ل ويرديك احتراس

ولكم أجدى قعود * ولكم أكدى التماس

وكذا الحكم اذا ما * عـز ناس ذل ناس
وبنو الايام أخيا * ف سراة وخساس
نلبس الدنيا ولكن * متعة ذاك اللباس
ياأبا حفص وماسا * واك فى فهم اياس
من سنا رأيك لى فى * غسق الخطب اقتباس
ووداد لك نص * لم يخالفه اقياس
أنا حيران وللامـ * ـر وضوح والتباس
لايكن عهدك وردا * ان عهدى لك آس
وأدرذكرى كاسا * ماامتطت كفك كاس
فعسى أن يسمح الدهـ * ـر فقد طال الشماس
واغتنم صفو الليالى * انما العيش اختلاس
ماترى فى معشر حا * لوا عن العهد وحاسوا
ورأونى سامريا * يتقى منه المساس
أذؤب هامت بلحمى * فانتهاب وانتهاس
كلهم يسأل عن حا * لى وللذئب اعتساس
ان قسا الدهر فللما * ء من الصخر انبجاس
ولئن أمسيت محبو * سا فللغيث احتباس
ويفت المسك فى التر * ب فيوطا ويداس

(ولما تعذر فكاكه) وعفر فرقده وسماكه وعاودته الاوهام والفكر وخانه من أبى الحزم الصارم الذكر قال يصف مابين مسراته وكروبه ويذكر بعد طلوع أمله من غروبه ويبكى لما هو فيه من التعذير ويعذر أبا الحزم وليس له غيره من عذير ويتعزى باتصاء الدهر على الاحرار والحاحه على التمام بالسرار ويخاطب ولادة بوفاء عهده ويقيم لها البراهين على أرقه وسهده (بسيط)

ماجال بعدك لحظى فى سنا القمر * الا ذكرتك ذكر العين بالاثر
ولا استطلت ذماء النفس من أسف * الا على ليلة سرت مع القصر
فى نشوة من شباب الوصل موهمة * أن لامسافة بين الوهن والسحر
ياليت ذاك السواد الجون متصل * قد استعار سواد القلب والبصر

يالرزايا

يا للرزايا القد شافهت منهلها * غمرا فما أشرب المكروه بالغمر
لا يهنأ الشامت المرتاح خاطره * انى معنى الا مانى ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال فى السجن ايداعى فلا عجب * قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وان يثبط أبا الحزم الرضى قدر * عن كشف ضرى فلا عتب على القدر
من لم أزل من تأنيه على ثقة * ولم أبت من تجنيه على حذر

(وله يتغزل) ويعاتب من يستعطفه ويتنزل (بسيط مخلع)

يا مستخفا بعاشقيه * ومستغشا لناصحيه
ومن أطاع الوشاة فينا * حتى أطعنا السلو فيه
الحمد لله اذ أرانى * تكذيب ما كنت تدعيه
من قبل أن يهزم التسلى * ويغلب الشوق ما يليه

(ولما عضته) أنياب الاعتقال ورضته تلك النوب الثقال وعوض بخشانة العيش من اللين وكابد قسوة خطب لا تلين تذكر عهد عيشه الرقيق ومراحه بين الرصافة والعقيق وحن الى سعد زرت عليه جيوبه واستهدى نسيم عيش طاب له هبوبه وتأسى بمن باتت له النوائب بمرصاد ورمته بسهام ذات اقصاد وضيم من عهد الاحص الى ذات الاصاد فقال (خفيف)

الهوى فى طلوع تلك النجوم * والمنى فى هبوب ذاك النسيم
سرنا عيشنا الرقيق الحواشى * لو يدوم السرور للمستديم
وطر ما انقضى الى أن تقضى * زمن ما ذمامه بالذميم
أيها المؤذنى بظلم الليالى * ليس يومى بواحد من ظلوم
ماترى البدر ان تأملت والشمس كما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك ينحو * بالمصاب العظيم نحو العظيم

وله يتغزل (وافر)

أيوحشنى الزمان وأنت أنسى * ويظلم لى النهار وأنت شمسى
وأغرس فى محبتك الامانى * فأجنى الموت من ثمرات غرسى
لقد جازيت غدرا عن وفائى * وبعت مودتى ظلما ببخس
ولو أن الزمان أطاع حكمى * فديتك من مكارهه بنفسى

وله أيضا في مثل ذلك (كامل)

ولقد شكوتك بالضمير الى الهوى * ودعوت من حنق عليك فأمّنا
منيت نفسي من صفائك ضلة * ولقد تغر المرء بارقة المنى

(وله عن المعتضد بالله) الى صهره الموفق أبي الجيش صاحب دانية (بسيط)

عرفت عرف الصبا اذ هبّ عاطره * من أفق من أنا في قلبي أشاطره
أرى تجدد ذكراه على شحط * وما تيقن أني الدهر ذاكره
ينأى المزار به والدار دانية * ياحبذا الفأل لو صحت زواجره
خلي أبا الجيش هل يدنو اللقاء بنا * فيشتفي منك طرف أنت ناظره
قصاره قيصران قام مفتخرا * لله أوله مجدا وآخره

(وللماحل) من المعتضد بالمكان الذي حل واتسكت عقد شدائده وانحل تسلت نفسه من شجونها وحنت الى صفاء ولادة وجنونها وتذكرها وما تناساها وعاودته لوعتها وأساها وحن اليها حنين من حيل بينه وبين ما يشتهي وقنع باهداء تحية تبلغ اليها وتنتهي فقال يتغزل فيها ويمدح المعتضد (طويل)

أما في نسيم الريح عرف يعرّف * لنا هل لذات الوقف بالجزع موقف
فنقضي أوطار المنى من زيارة * لنا كلف منها بما نتكلف
عزيز علينا أن تزار ودونها * رقاق الظبا والسمهري المثقف
وقوم عدا يبدون عن صفحاتهم * وأظهرها من ظلمة الحقد أكلف
يودّون لو يثني البعاد زماعنا * وهيهات ريح الشوق من ذاك أعصف
كفانا من الوصل المحبة خلسة * فيومئ طرف أو بنان مطرّف
واني لتستهويني البرق صبوة * الى برق ثغران بدا كاد يخطف
وما ولعي بالراح الا توهما * لظلم لها كالراح اذ يترشف
ويذكرني العقد المرن جمانه * ضرنات ورق في ذرا الايك تهتف
فاقبل من أهوى طوى البدر هودج * ولا ضم ريم القفر خدر مسجف
ولا قبل عباد حوى البحر مجلس * ولا حل الطود المعظم زفرف
هو الملك الجعد الذي في ظلاله * تكف صروف الحادثات وتصرف
رويته في الحادث الاد خطنة * وتوقيعه الحالي دجا الخطب أحرف
طلاقة وجه في مضاء كمثل ما * يروق فرند السيف والحد مرهف

على السيف من تلك الشهامة ميسم * وفى الروض من تلك الطلاقة زخرف
ولما قضينا ما عنانا اداؤه * وكل بما يرضيك داع فملحف
تظن الاعادى أن حزمك نائم * لقد تعد الفسل الظنون فتخلف
رأيناك فى أعلى المصلى كأنما * تطلع من محراب داود يوسف
ولما حضرنا الاذن والدهر خادم * تشير فيمضى والقضاء مصرف
وصلنا فقبلنا الندى منك فى يد * بها يتلف المال الجسيم ويخلف
لك الخير أنى لى بشكرك نهضة * وكيف أؤدى شكر ما أنت مسلف
أعدت بهيم الحال منى غرة * يقابلها طرف الحسود فيطرف
ولولاك لم يسهل من الدهر جانب * ولا ذل منقاد ولا لان معطف

(ولما مات المعتضد) رحمه الله وارتفع فى أمره ما ارتفع وراعى المعتمد مواته التى توسل بها واستشفع وأبقاه جليسا وسميرا وسقاه الصفح سلسالا نميرا قال يرثيه ويشكر المعتمد ويذكر أنه لم يرفض سبب متاته ولم يغمض عن رعى حرماته (طويل)

أعبادا أوفى الملوك لقد سطا * عليك زمان من سجيته الغدر
فهلا عداه أن علياك حليه * وذكرك فى أردان أيامه عطر
أأنفس نفس فى الورى أقصد الردى * وأخطر علق للندى أفقد الدهر
اذا الموت أضحى قصر كل معمر * فان سواء طال أو قصر العمر

(ومنها)

فهل علم الشلو المقدس اننى * مسوغ حال ظل فى كنهها الفكر
وان متاتى لم يضعه محمد * خليفتك العدل الرضا وابنك البر
وأرغم فى برى أنوف عصابة * لقاؤهم جهم ومنظرهم شزر
اذا ما استوى فى الدست عاقد حبوة * وقام سماط حافل فلى الصدر

(وله عند فراره) وخروجه من سراره وقد أقام بقرطبة متواريا يخاطب ولادة ويستنهض الاديب أبا بكر للشفاعة ويستنزل أبا الحزم بن جهور (طويل)

شحطنا وما بالدار نأى ولا شحط * وشط بمن نهوى المزار وما شطوا
أأحبابنا ألوت بحادث عهدنا * حوادث لا عهد عليها ولا شرط
لعمركم ان الزمان الذى قضى * بشت جميع الشمل منا لمشتط
وأما الكرى مذ لم أزركم فهاجر * زيارته غب والمامه فرط

وماشوق مقتول الجوانح بالصدى * الى نطفة زرقاء أضمرها وقط
بأبرح من شوقي اليكم ودون ما * أدير المنى عنه القتادة والخرط
وفي الربرب الانسي أهوى كناسه * نواجي ضميري لا الكثيب ولا السقط
غريب فنون الحسن يرتاح درعه * متى ضاق ذرعا بالذي حازه المرط
كأن فؤادي يوم أهوى مودعا * هوى خافقا منه بحيث هوى القرط
اذا ما كتاب الوجد أشكل سطره * فمن زفرتي شكل ومن عبرتي نقط
الا هل أتى الفتيان أن فتاهم * فريسة من يعدو ونهزة من يسطو
وأن الجواد الفائت الشأو صافن * تخونه شكل وأزرى به ربط
وان الحسام العضب ثاو بجفنه * وما ذم من غربيه قد ولا قط
عليك أبا بكر بكرت بهمة * لها الخطر العالي وان نالها حط
أبي بعدما هيل التراب على أبي * ورهطي فذا حين لم يبق لي رهط
لك النعمة الخضراء تندى ظلالها * علي ولا جحد لدي ولا غمط
ولولاك لم يثقب زناد قريحتي * فينتهب الظلماء من نارها سقط
ولا ألفت أيدي الربيع بدائعي * فمن خاطري نظم ومن زهره لقط
هرمت وما للشيب وخط بمفرقي * ولكن لشيب الهم في كبدي وخط
وطاول سوء الحال نفسي فأذكرت * من الروضة الغناء طاولها القحط
سنون من الايام خمس قطعتها * أسيرا وان لم يبد شد ولا ربط
أتت بي كما ميص الاناء عن الاذى * وأذهب ما بالثوب من درن مسط
أتدنو قطوف الجنتين لمعشر * وغايتي السدر القليل أو الخمط
وما كان ظني أن تغرني المنى * وللغر في العشواء من ظنه خبط
أما وأرتني النجم موطئ أخمصي * لقد أوطأت خدي لأخمص من يخطو
ومستبطئ العتبى اذا قلت قد أتى * رضاه تمادى العتب واتصل السخط
وما زال يدنيني فينأى قبوله * هوى سرف منه وصاغية فرط
ونظم ثنائي في نظام ولائه * تحلت به الدنيا لآلئه وسط
على خصرها منه وشاح مفصل * وفي رأسها تاج وفي جيدها سمط
عدا سمعه عني وأصغى الى عدا * لهم في أديمي كلما استمكنوا اعط
بلغت المدى اذ قصروا فقلوبهم * حكا من أضغان أساودها رقط

يولوننى عرض الكراهة والقلى * وما دهرهم الا النفاسة والغبط
ولما اتحفونى بالتى لست أهلها * ولم يمن أمثالى بأمثالها قط
فررت فان قالوا الفرار أرابه * فقد فر موسى حين هم به القبط
وانى لراج ان تعود كبدئها * لى الشيمة الزهراء والخلق السبط
وحلم امرئ تعفى الذنوب لعفوه * وتمحى الخطايا مثل ما محى الخط
فما لك لا تختصنى بشفاعة * يلوح على دهرى لميسمها علط
يفى بنسيم العنبر الورد ريحها * اذا شعشع المسك الاحم به خلط
فان يسعف المولى فنعم كريمة * تنفس عن نفس ألظ بها ضغط
وان يأب الاقبض مبسوط فضله * ففى يد مولى فوقه القبض والبسط

وله أيضا (طويل)

كأن عشى القطر فى شاطئ النهر * وقد زهرت فيه الازاهر كالزهر
ترش بماء الورد رشا وتنثنى * لتغليف أفواه بطيبة الخمر

(وبات ليلة) باحدى جنات اشبيلية فقال (طويل)

وليل أدمنا فيه شرب مدامة * الى ان بدا للصبح فى الليل تأثير
وجاءت نجوم الصبح تضرب فى الدجا * فولت نجوم الليل والليل مقهور
فحزنا من اللذات أطيب طيبها * ولم يعرنا هم ولا عاق تكدير
خلا أنه لو طال دامت مسرتى * ولكن ليالى الوصل فيهن تقصير

ولم يزل يروم دنو ولادة فيتعذر ويباح دمه دونها ويهدر لسوء أثره فى ملك قرطبة وواليها وقبائح كان ينسبها اليه ويواليها أحقدت بنى جهور عليه وسددت أسنتهم اليه فلما يئس من لقياها وحجب عنه محياها كتب اليها يستديم عهدها ويؤكد ودها ويعتذر من فراقها بالخطب الذى غشيه والامتحان الذى خشيه ويعلمها أنه ما سلا عنها بخمر ولا خبا ما بين ضلوعه لها من ملتهب جمر وهى قصيدة ضربت فى الابداع بسهم وطلعت فى كل خاطر ووهم ونزعت منزعا قصر عنه حبيب وابن الجهم واولها (بسيط)

أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضى علينا الاسى لولا تأسينا

حالت لفقدكم ايامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
اذجانب العيش طلق من تألفنا * ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذهصرنا غصون الانس دانية * قطوفها فجنينا منه ماشينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما * كنتم لا رواحنا الا رياحينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم * حزنا مع الدهر لا يبلى ويبلينا
ان الزمان الذى مازال يضحكنا * انسا بقربكم قد عاد يبكينا
ماحقنا أن تقروا عين ذى حسد * بنا ولاأن تسروا كاشحا فينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بأنفسنا * وانبت ما كان موصولا بأيدينا
وقد نكون ومايخشى تفرقنا * فاليوم نحن ومايرجى تلاقينا
لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم * رأيا ولم نتقلد غيره دينا
لاتحسبوا نأيكم عنا يغيرنا * ان طال ماغير النأى المحبينا
والله ما طلبت أهواؤنا بدلا * منكم ولاانصرفت عنكم أمانينا
ولا استفدنا خليلا عنك يشغلنا * ولا اتخذنا بديلا منك يسلينا
ياسارى البرق غادى القصر فاسق به * من كان صرف الهوى والود يسقينا
ويانسيم الصبا بلغ تحيتنا * من لو على البعد حيا كان يحيينا
ياروضة طال ماأجنت لواحظنا * وردا جلاه الصبا غضا ونسرينا
ويا حياة تملينا بزهرتها * منى ضروبا ولذات أفانينا
ويا نعيما حضرنا من غضارته * فى وشى نعمى سحبنا ذيلها حينا
لسنا نسميك اجلالا وتكرمة * وقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا
اذا انفردت وماشوركت فى صفة * فحسبنا الوصف ايضاحا وتبيينا
ياجنة الخلد أبدلنا بسلسلها * والكوثر العذب زقوما وغسلينا
كأننا لم نبت والوصل ثالثنا * والسعد قد غض من أجفان واشينا
ان كان قد عز فى الدنيا اللقاء ففى * مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا
سران فى خاطر الظلماء يكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
لاغرو فى أن ذكرنا الحزن حين نهت * عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
انا قرأنا الاسى يوم النوى سورا * مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا

أما

أما هواك فلم نعدل بمنهله * شربا وان كان يروينا فيظمينا
لم يجف أفق جمال أنت كوكبه * سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختيارا تجنبناك عن كثب * لكن عدتنا على كره عوادينا
نأسى عليك اذا حثت مشعشعة * فينا الشمول وغنانا مغنينا
لا أكؤس الراح تبدى من شمائلنا * سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا
دومى على العهد مادمنا محافظة * فالحر من دان انصافا كما دينا
فما ابتغينا خليلا منك يحبسنا * ولا استفدنا حبيبا عنك يغنينا
ولو صبا نحونا من علو مطلعه * بدر الدجا لم يكن حاشاك يصبينا
أولى وفاء وان لم تبذلى صلة * فالذكر يقنعنا والطيف يكفينا
وفي الجواب قناع لو شفعت به * بيض الايادى التى مازلت تولينا
عليك منى سلام الله مابقيت * صبابة منك تخفيها فتخفينا

(ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار رحمه الله وعفا عنه)

مقذف حصى القريض وجماره ومطلع شموسه وأقماره الذى بعث الاحسان عرفا عطرا ونفسا وأثبته فى شفاه الايام لعسا أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا ثم كسى بعد اشراقا ونورا فأصبح راقى منبر وسرير ولمح ماشاء بطرف غير ضرير هيأ له السعد أن عمر ربعا محيلا وصور فى صورة الحقيقة مستحيلا واصطفاه العدو فاتفق به السكون والهدو وتيم الملك فيه كلفا وهياما وامطره من الحظوة غماما واهتصر منه موادعة وائتلافا استدر بهما الملوك اوانه اخلافا فارتاعت منه الاقطار وطاعت له اللبانات والاوطار حتى رأس بتدمير وجلس مجلس الامير ثم رأى ان يتزى على موليه ويجتزى بتوليه فأخذه الله بغدره واعان على وضعه رافع قدره فحصل فى قبضة المعتمد قنيصا وعادم عن خلاصه بها محيصا الى أن طوقه الحسام فما استلانه طوقا وذوقه الحمام فما استعذبه ذوقا فى قصة اشتهرت مع اخفائها وظهرت بعد عفائها فانه قتله بيده وانزله ليلا فى ملحده ولقد رأيت عظمي ساقيه قد أخرجا بعد سنين من حفر حفر فى جانب القصر المبارك واساودهما بهما ملتفة ولبلتهما مشتفة مافغرت افواهها ولا حلت التواءها فرمق الناس العبر وصدق المكذب الخبر وكان مع نقض ابرامه ورفض امامه شاعرا مطبوعا قد عمر للاحيان

منازل وربوعا وقد أثبت له ما تستهديه النفوس وترتد به الشموس فمن ذلك قوله يتغزل في غلام رومي للمؤتمن قد لبس درعا (وافر)

وأغيد من ظباء الروم عاط * بسالفتيه من دمعي فريد
قسا قلبا وسن عليه درعا * فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا ونأى رضاه * وقد يبكي من الطرب الجليد
وان فتى تملكه بنقد * وأحرز رقه لفتى سعيد

(وتنزه بالدمشق) وهو قصر بقرطبة شيده بنو أمية بالصفاح والعمد وجروا في اتقانه الى غير أمد وابدع بناؤه ونمقت ساحته وفناؤه واتخذوه ميدان مراحهم ومضمار انشراحهم وحكوا به قصرهم بالمشرق وأطلعوه كالكوكب الثاقب المشرق فحله أبو بكر على أثر بوسه وابتسم له به دهره بعد عبوسه والدنيا قد أعطته عفوها وسقته صفوها وبات فيه مع لمة من أتباعه ومتقبلي رباعه كلهم يحييه بكاس ويفديه بنفسه من كل بأس فطابت له ليلة في مديده وأطربه الانس ببسيطه ونشيده فقال (خفيف)

كل قصر بعد الدمشق يذم * فيه طاب الجنى وفاح المشم
منظر رائق وماء نمير * وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عنه * عنبر أشهب ومسك أحم

وله يتغزل (وافر)

رشا رنو بنرجسه ويعطو * بسوسان ويبسم عن اقاح
تشير الى قرطاه وتصغي * خلاخله الى نغم الوشاح

(ودخل سرقسطة) فلما رأى غباوة أهلها وتكاثف جهلها وواصل منهم من لا يعلم قطعا ولا وصلا وحاضر من لا يعرف معنى ولا فصلا عكف على راحه معاقرا وعطف بها على جيش الوحشة عاقرا فبلغه أنهم نقدوا شربه وفلوا بالملام غربه فقال (طويل)

نقمتم على الراح أدمن شربها * وقلتم فتى لهو وليس فتى جد
ومن ذا الذي قاد الجياد الى الوغى * سواي ومن أعطى الكثير ولم يكد
فديتكمو لو تعلموا السر انما * قليتكمو جهدي فأبعدتكم جهدي

(وأهدى الناس) في يوم عيد الى المعتمد واحتفلوا وقضوا الفرض وتنفلوا

فاقتصر

فاقتصر هو على ثوب صوف بحر أصفر وكتب معه (كامل)

لما رأيت الناس يحتفلون فى * اهداء يوم جئته من بابه
فبعثت نحو الشمس شبه ايابها * وكسوت متن البحر بعض ثيابه

وكتب الى عضد الدولة يستدعى منه الكون عنده (بسيط مخلع)

يا عضد الدولة المصفى * من جوهر النبل والذكاء
ماذا ترى فى اصطباح يوم * مذهب الصبح والمساء
نسرقه من يدى زمان * لم يقسم الرزق بالسواء
وقد ظمئنا ونحن أرض * اليك يا رحمة السماء

(وأخبرنى) ذو الوزارتين الاجل أبو المطرف بن عبد العزيز أنه حضر معه عند المؤتمن فى يوم قد جادت فيه السماء بهطلها وأتبعت وبلها بطلها وأعقب رعدها برقها وانسكب دراكا ودقها والازهار قد تجلت من كمامها وتحلت بدر غمامها والاشجار قد جلى صداها وتوشحت بنداها وأكؤس الراح كأنها كواكب تتوقد تديرها أنامل تكاد من اللطافة تعقد اذا بفتى من فتيان المؤتمن أخرس لا يفصح مستعجم لا يكاد يبين ولا يوضح متنمر تنمر الليث متشمر تشمر البطل الباسل عند الغيث وقد أفاض على نفسه درعا تضيق بها الاسنة ذرعا وهو يريد استشارة المؤتمن فى الخروج الى موضع بعثه اليه ووجهه فكل من صده عنه نهره ونجهه حتى وصل الى مكان انفراده ووقف بازاء وساده فلما وقعت عين ابن عمار عليه أشار بيده اليه وقربه واستدناه وضمه اليه كأنه قد تبناه وحد أن يخلع عنه ذلك الغدير وأن يكون هو الساقى المدير فأمره المؤتمن بخلعه وطاعة أمره وسمعه فنضاه عن جسمه وقام بسقى على حكمه ورسمه فلما دبت فيه الحميا وشبت غرامه بهجة ذلك المحيا واستزلته سورة العقار واستنزلته عن مرقب الوقار قال ارتجالا (كامل)

وهويته يسقى المدام كأنه * قمر يدور بكوكب فى مجلس
متأرج الحركات تندى ريحه * كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسعى بكأس فى أنامل سوسن * ويدير أخرى من محاجر نرجس
يا حامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار أملس

جهم وان حمر اللثام فانما * كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب فى دلال عذاره * كالمهر يمرح فى اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا بليث الغاب ظبى المكنس
عنا بكاسك قد كفتنا مقلة * حوراء قائمة بسكر المجلس

وكتب الى الراضى رحمه الله (كامل)

قالوا أتى الراضى فقات لعلها * خلعت عليه من صفات أبيه
قال جرى فعسى المؤيد واهبا * لى من رضاه ومن أمان أخيه
قالوا نعم فوضعت خدى فى الثرى * شكرا له وتيمنا بنبيه
يا أيها الراضى وان لم يلقنى * من صفحه الراضى بما أدريه
هبك احتجبت لوجه عذر بين * بذل الشفاعة أى عذر فيه
سهل على يدك الكريمة أحرفا * فيمن أسرت فتنثنى تفديه

(ولما) أزمع على الرحيل من حضرة المعتصم خرج المعتصم مودعا له فأنشده ابن عمار ارتجالا وقد كان تقدم للمعتصم اليه قطعة شعر من ثلاثة أبيات (طويل)

ألفظك أم كأس الرحيق المعتق * وخطك أم روض الربيع المنمق
ونظمك أم سلك من الدر ناصع * يروق على جيد العروس المطوق
بعثت بها ابا قطعة الروض قطعة * شممت بها عرف النسيم المخلق
ثلاثة أبيات وهيهات انما * بعثت بها الجوزاء فى صفح مهرق
هى السحر أسرى فى النفوس من الهوى * وكيف يكون السحر فى لفظ منطق
أمعتصما بالله والحرب ترتمى * بابطالها والخيل بالخيل تلتقى
دعتنى المنايا للرحيل واننى * لافرق من ذكر النوى والتفرق
وانى وان غربت عنك فانما * جبينك شمسى والمرية مشرقى

وله يتغزل (كامل)

قالوا أضر بك الهوى فأجبتهم * ياحبذاه وحبذا اضراره
قلبى هو اختار السقام لجسمه * زيا فخلوه ومايختاره
عيرتمونى بالنحول وانما * شرف المهند أن ترق شفاره
من قد قلبى اذ تثنى قده * وأقام عذرى اذ أطل عذاره
أم من طوى الصبح المنير نقابه * وأحاط بالليل البهيم خماره

فوحسنه لقد اتندبت لوصفه * بالبخل لولا ان حصاداره
بلد متى أذكره هيج لوعتى * واذا قدحت الزند طار شراره

(واستدعى منه) فى احدى سفراته مشروب بموضع ليس فيه غير القتاد ومحل المرتاد فبعثه وقرن به رمانتين وتفاحتين وكتب اليهم (وافر)

خذوها مثل ما استهدبتموها * عروسا الاتزف الى اللئام
ودونكمو بها ثدبى فتاة * أضفت اليهما خدى غلام

(وذكرت) بهذه الحكاية ما ذكره الاصبهانى أن الحسن بن سهل استدعى من محمد بن عبد الملك مشروبا فى بلاد الروم فبعث به وكتب معه (كامل مجزوء)

أرأيت مثلى صاحبا * أندى يدا وأعم جودا
يسقى النديم بقفرة * لم يسق فيها الماء عودا
وأجود حين أجود لا * حصرا بذاك ولا بليدا
خذها اليك كأنما * كسيت زجاجتها عقودا
واجعل عليك بأن تقو * م بشكرها أبدا عهودا

(ولما) ضيق المعتضد بالله على ابن عبد الله بقرمونة وسد مسالكه وسد اليه مهالكه استدعى باديس بن حبوس واستصرخه استصراخ الموثق المحبوس رجاء أن ينفس عنه غصة وينتهز فى ابن عباد فرصة فلما وصل باديس ابن حبوس الى قرمونة أخرج اليه المعتضد جيشه يقدمه ابنه الظافر ويقود منه أسودا فى المغافر فلما التقى الجمعان وارتق ثنية بغيه المعين والمعان حمل فيهم عسكر اشبيلية حملة خلعتهم عن مركزهم وأذالتهم بالذل من تعززهم فتفرقوا فى تلك البسائط والربى وشربوا بسقيا الاسنة والظبى وأوقع بهم الظافر أحسن ايقاع وتركهم مضرجين فى تلك البقاع وانصرف الى اشبيلية وألويته تختال فى أكف الرياح وذوابله تكاد تنقصف من الارتياح فهنئ المعتضد بالله بذلك وقام ابن عمار ينشد هنالك (طويل)

ألا للمعالى ما تعيد وما تبدى * وفى الله ما تخفيه عنا وما تبدى
نوال كما اخضر العذار وفتكة * كما خجلت من دونه صفحة الخد
جنيت ثمار النصر طيبة الجنى * ولا شجر غير المثقفة الملد
وقلدت أجياد الربا رائق الحلى * ولا درر غير المطهمة الجرد

بكل فتى عارى الاشاجع لابس * الى غمرات الموت محكمة السرد
يكرّ فكم طعن كسامعة القرا * يضاف الى ضرب كحاشية البرد
نجوم سماء الحرب ان يدج ليلها * يدر بهم أفواجها فلك السعد
خميس تردّى من بنيك بمرهف * حكاك كما قدّ الشراك من الجلد
ببدر ولكن من مطالعه الوغى * وليث ولكن من براثنه الهندى
فتى ثقف بين الحمائل مقدم * جنى الموت فى كفيه أحلى من الشهد
سقيت به دنيا عفاتك مخصبا * فأجناك من روض الندى زهر الحمد
وجندته نحو الملوك محاربا * فوافاك يقتاد الملوك من الجند
ورب ظلام سار فيه الى العدا * ولا نجم الا ما تطلع من غمد
أطل على قرمونة متبلجا * مع الصبح حتى قيل كانا على وعد
فأرملها بالسيف ثم أعارها * من النار أثواب الحداد على الفقد
فيا حسن ذاك السيف فى راحة الندى * ويا برد تلك النار فى كبد المجد
لك الله ان كانت عداتك بعضها * لبعض فكل منهم جميعا الى فرد
يهودا وكانت بربرا فانتضى الظبى * وأنبتهمو منها بألسنة لدّ
أقول وقد نادى ابن اسحق قومه * لا ارض لك يرتاد المنية من بعد
لقد سلكت نهج السبيل الى الردى * ظباء دنت من غابة الاسد الورد
كأنى بباديس وقد حط رحله * الى الفرس الطاوى عن الفرس النهد
الى الفرس الجارى به طلق الردى * سريعا غنيا عن لجام وعن لبد
يحن الى غرناطة فوق متنه * كما حن مقصوص الجناح الى الورد
ظفرت بهم فارتح وأومض كؤسها * بروقا لها من عودها ضجة الرعد
معتقة أهدت الى الورد لونها * وجادت برياها على العنبر الوردى
فأكثر ما يلهيك عن كأسها الوغى * وعن نغمات العود نغمة مستجدى
وما الملك الا حلية بك حسنها * والا فما فضل السوار بلا زند
ولا عجب ان لم يدن بك مارق * فليس جمال الشمس فى الاعين الرمد
هنيئا يبكر فى الفتوح نكحتها * وما قبضت غير المنية من نقد
تحلت من السيف الخضيب بصفحة * وقامت من الرمح الطويل على قد
ودونكها من نسج فكرى حلة * مطرزة العطفين بالشكر والحمد

ألذ من العذب القراح على الصدى * وأطيب من وصل الهوى عقب الصد
وما هذه الاشعار الا مجامر * تضوع فيها للندى قطع الند
وكنت نثرت الفضل فيّ وانما * نثرت سقيط الطل في ورق الورد
وما أنا باغ من نداك بقدر ما * يضاف لتأميلي ويعزى الى ودّى
فاقسم لو قسمت جودك بيننا * على قدر التأميل فزت به وحدى
قنعت بما عندى من النعم التى * يفسرها قولى قنعت بما عندى

وقال يمدح المعتمد (طويل)

أفى كل يوم تحفة وتفقد * بفضل نوال واهتبال يؤكد
لقد فاز قدحى فى هواك وقابلت * مطالع حالى فى سماتك أسعد
تبرعت بالمعروف قبل سؤاله * وعدت بما أوليت والعود أحمد
فأتاق حوضى من نداك تبجس * وغق روضى من رضاك تعهد
أما وصنيع زار نى بجماله * حديث كما هب النسيم المغرد
لقد هز أعطاف القوافى وهزنى * الى شكر احسان أغيب فيشهد
فان أنا لم أشكرك صادق نية * تقوم عليها آية النصح تعضد
فلا صح لى دين ولا برّ مذهب * ولا كرمت نفسى ولا طاب مولد

وقال يمدح المعتضد (متقارب)

وفيت لربك فيمن غدر * وأنصفت دينك ممن كفر
وقمت تطالب فى الناس كثيـ * ـرا من الحفاظ بجاو الظفر
بعا طلة من ليالى الحروب * أطلعت رأيك فيها قمر
ولم تتقدم بجيش الرجا * ل حتى تقدم جيش الفكر
فان يجنك الفتح ذاك الاصيل * فمن غرس تدبيرك الشجر
تعاطى الخوارج حتى برزت * تقوم من خدها ما صعر
وأقبلتها الخيل حمر البنو * ددهم الفوارس بيض الغرر
فكروا فلم يغنهم من مكر * وفروا فلم ينجهم من مفر
ودارت دماؤهم كالكؤس * وفاحت نفوسهم كالزهر
فما قر سيفك حتى انحنى * وعربد رمحك حتى انكسر
وكم نبت فى حربهم عن على * وناب عن النهروان النهر

تمتع فقد ساعفتك الحياة * بريح الحديقة غب المطر
وعش في نعيم ودم في سرور * ولا سر ربك من لا يسر

(وله يخاطب بني عبد العزيز) وقد اجتاز بهم فأخرجوا اليه تضييفا وبرا مع قوم أغفال ولم يلقوه فكتب اليهم (طويل)

تناهيتم في برنا لو سمحتم * بوجه صديق في اللقاء وسيم
وسلسلتم راح البشاشة بيننا * فما ضر لو ساعدتم بنديم
سألتمس العذر الجميل عن العلا * وأحتال للفضل احتيال كريم
وأثني على روض الطلاقة بالجنى * وان لم أفز من نشره بنسيم
ضننتم باعلاق الرجال على النوى * فلم تصلونا منهم بزعيم
ولكن سأستعدي الوفاء وأقتضي * سماحك بالانس اقتضاء غريم

(ولما فر) المعتمد على مرسية فه وأراد أن يرفع بها علمه ويثبت بها قدمه ويتخذ ملاكها خوله وخدمه وجعل ابن طاهر غرضه ونبذ ذمام الوفاء له ورفضه لضيق مجاله وقلة رجاله مجم أعواده وسبر أنجاده فلم يرسهما يفوقه لعرشه ولاشهما يطوقه أمر جيشه الا ابن عمار رأيا لم ينتقده واعتقادا لم يفتقده وظنا أخلفه وقضاء ما أسلفه مجازاة لبغيه وموازاة لقبح سعيه وانتصارا من الله لمن لم يجن ذنبا ولم يثن عن مضجع الموالاة جنبا فلما وصل اليها وحصل عليها وفض ختمها وصحح لنفسه اسمها نبذ عهد المعتمد وخلعه وأزال ذكره من منابرها بعد ما أطلعه فقيض لمن ابن رشيق رجل حكاه فعلا وصار للملك العقيلي بعلا فاقتص منه اقتصاص ابن ذي يزن من الحبشان وتركه أخسر من أبي غبشان ما كان الا ريثما أوقد جمره وقلده نهيه وأمره وخرج هو الى افتقاد أقطاره وقضاء بعض أوطاره حتى ثار له ثورة الاسد الورد وامتنع له بمرسية امتناع صاحب الابلق الفرد فبقي ابن عمار ضاحيا من ظل غبطته لاحيا نفسه على غلطته ولما استبهم أمره ولم يعلم له تفسيرا وعاد جناحه الوافر مهيضا كسيرا أراد الرجوع الى المعتمد فخاف أن يوبقه غدره وعزم على القعود عنه فضاق بفقد ما عهده عنده صدره فكتب اليه (طويل)

أأسلك قصدا أم أعوج عن الركب * فقد صرت من أمري على مركب صعب
وأصبحت لا أدري أفي البعد راحتي * فأجعله حظي أم الحظ في القرب

اذا انقدت فى أمرى مشيت مع الهوى * وان أتعقبه نكصت على عقبى
على أننى أدرى بأنك مؤثر * على كل حال ما يزحزح من كربى
أهابك للحق الذى لك فى دمى * وأرجوك للحب الذى لك فى قلبى
أيظلم فى وجهى لذا قمر الدجى * وتنبو بكفى صفحة الصارم العضب
حنانيك فيمن أنت شاهد نصحه * ولنس له غيرا نتصاحبك من حسب
وما جئت شيأ فيه بغى لطالب * يضاف به رأى الى العجز والعجب
* سوى اننى أسلمتنى لملمة * فلت بها حدى وكسرت من غربى *
وما أغرب الايام فيما قضت به * تريني بعدى عنك آنس من قربى
أما انه لولا عوا رفك التى * جرت جريان الماء فى الغصن الرطب
لما سمت نفسى ما أسوم من الاذى * ولا قلت ان الذنب فيما جرى ذنبى
سأستمنح الرحمى لديك ضراعة * وأسأل سقيا من تجاوزك العذب
فان نفحتنى من سمائك حرجف * سأهتف يا برد النسيم على قلبى

فرق له المعتمد وأشفق وأقشع نوء حقده عليه وأخفق وعزم على الصفح عنه والتجاوز وان يرفع بالاغضاء له تلك المعاوز فكتب اليه مراجعا (طويل)

لدى لك العتبى تزاح من العتب * وسعيك عندى لا يضاف الى ذنب
وأعزز علينا أن تصيبك وحشة * وأنسك ما تدريه فيك من الحب
فدع عنك سوء الظن بى وتعده * الى غيره فهو الممكن فى القلب
قريضك قد أبدى توحش جانب * فراجعت تأنيسا وعلمك بى حسبى
تكلفته أبغى به لك سلوة * وكيف يعانى الشعر مشترك اللب

فما أورثته هذه المراجعة الانفارا ولا زادت قلبه من الثقة به الا خلوا واقفارا فانه لما قبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده ويصدق توهمه الذى يعتاده فلذلك لم يقبل ما راجعه به من رفع ايحاش ولا أمن عاقبة ما عامله به من قبح واخاش فكر الى سرقسطة لاحقا بالمؤتمن وساتقاله الدنيا بأيسر ثمن وانما كان يطلب ملكا يخلع ملكه على عطفيه ويجعله كنين وخفيه أو يختدعه فى اعانته على بلد يفتحه باسمه ويجريه على سنن المعتمد ورسمه فتيم المؤتمن بشقورة واغراه وأراه من تيسير مرامها ما أراه فأوطأ عقبه وأعطاه مالا احتقبه ونهض وهو لا يشك فى النزول بها والاحتلال ولا يتوهم أن يلم بالامر طائف اعتلال

فأيقظ لها عزمه وأقام حزمه فلما وصل اليها ونزل عليها عرّس بسفحها وأيقن بفضحها وخلع على من معه ووصل من عاينه أو تسمعه فلما يرى فى ذلك وراش ورأيه قد فال وطاش اذا برسول صاحبها قد وافاه يعلمه ان البلد بلده وان ما لمفيها الا أهله وولده وأنهى اليه رغبته فى الكون عنده وان يطلع معه عبيده المختصين به وجنده فطار اليه فى الحين وسار بزعمه الى راح ورياحين فكانت راحه قيدا لا يدعه يبرح وريحانه أوهاما تجرح النفس وتقرح ما كان الا أن تجاوز ذلك المعقل الذى لم يعقل ان له معتقل حتى حيز منه أصحابه وتقسموا فى كل باب وسموا ابسن أوذباب فلما وصل اليه أوثقه بثقل الحديد وعوّضه بصلصلته من البسيط والمديد فلما أصبح كتب الى رؤساء الاندلس بسوقه وقد علم أنه ما منهم الا يتشوقه وفى ذلك يقول (سريع)

أصبحت فى السوق ينادى على * رأسى بأنواع من المال

والله لاجار علي نقده * من ضمنى بالثمن الغالى

وفى مدة اعتقاله اياه لم يثن عنه حياه ولا منعه ممن يريد مطالعته ولقياه وأباح له الاستراحة الى أخدانه وأراح خاطره فى مضمار القول وميدانه فجاء بما أعجز وأطال عنان الاحسان وهو قد أوجز فمن بديع ذلك ما طالع به أبا الفضل بن حسداى يصف موضعه المعتقل فيه (كامل)

أدرك أخاك ولو بقافية * كالطل يوقظ نائم الزهر

فلقد تقاذفت الركاب به * فى غير مرماة ولا بحر

طفحت صحابته بلا سنة * وتساقطوا سكرا بلا خمر

بمعارج أدت الى جرد * حتى من الانواء والقطر

عال كأن الجن اذ مردت * جعلته مرقاة الى النسر

وحش تناكرت الوجوه به * حتى استربت بصفحة البدر

قصر تمهد بين خافقتى * نسرين من فلك ومن وكر

متصير سال الوقار على * عطفيه من كبر ومن كبر

ملكت عنان الريح راحته * فجيادها من تحته تجرى

مأوى العزيز وقد نعمت فان * يهمل فقد أبليت فى العذر

ووصلت خدمة قاطع سببى * وأطعت أمر مضيع أمرى

دع ذا وصلنا غير مؤتمر * مستأثرا بالحمد والشكر
واكتب الينا انها بيد * تمحو الذي كتبت يد الدهر

(ومر على أبي عيسى) بن لبون في أحد متوجها انه مستوفزا والى لبابانه محفزا فلم يثنه من المودة ثان ولا جذبته نحو مثالث عهدها ومثان وأسرع كالماء الى الانحدار والمرء الى أيدي الاقدار فلما علم أبو عيسى أن قد تخلفته ركائبه كتب اليه يعاتبه (كامل)

ختمت بعصرك أعصر الاجواد * وعنت لذكرك ألسن الوراد
وسبقت أملاك الزمان الى مدى * ضلوا وحتى كنت أنت الهادي
وغدوت اكثرهم حسودا في العلا * ان الكريم طلبية الحساد
وبدا بفضلك نقص كل معاند * تتبين الاشياء بالاضداد
وقفت بمغناك العيون فلاحظت * أسد العرين به وبدر النادي
واتتك وافدة الرجال فقابلت * أمل الحريص ونجعة المرتاد
وصدرن قد حلين عنك عوارفا * أصبحن كالاطواق في الاجياد
فضل أرانا جود حاتم طيئ * وفخار كعب في قبيل اياد
ايه أبا بكر أتظلم ساحتي * ظلما وصبح العدل عندك باد
عجبا لوعدك كيف تمسكه يد * موصولة الافعال بالاوعاد
ولسيب جودك كيف لم تسمح به * لصحيح ظني أو صريح ودادي
اني لمعتقد اخاءك موئلي * وأرى ولاءك معقلي وسنادي
وأصول منك على الزمان بمنصل * جعل الطلى بدلا من الاغماد
فسقى محلك دانيا أو نائيا * صوب الغمام المستهل الغادي
ولئن رحلت لقد حللت بمنزل * من نور عيني أو سواد فؤادي

فراجعه ابن عمار بقوله. (كامل)

عطلت من حلي السروج جيادي * وسلبت أعناق الرجال صعادي
وثنيت عزمي عن مسير هزني * سعدي اليه وحثني اسعادي
وسلبت من ثوب المروأة والنهى * نفسي نخلت عن بني عباد
ان لم أحلك من فؤادي منزلا * ينبيك أنك مالك لقيادي
وأخص جانبك الرفيع بخدمة * تستقبلك صفو أحبة وأعاد

وأرد بذكرك من ثنائى روضة * غناء حاليـــة بنور ودادى
حتى تبين أن غرسك قد دنا * لجنى وزرعك قد أتى لحصاد
ياسيدى وأنا الذى ناديته * لرضا فلى منه خير مناد
اعطاك فضل الابتداء ولو جرى * حكم لاتنكر أن تكون البادى
لله در عقيـــلة أبرزتها * من خدر فكرك فى حلى الانشاد
فرعاء عاطرة الذوائب واللمى * غيداء حالية الطلى والهادى
خلصت الى مع المساء فعارضت * صلة الحبيب أتى بلا ميعاد
خط من النظيم البديع أفادنى * حظ الكرام وخطبة الامجاد
وثنى سخت بذلك الصناع برقه * فكسوتنيه مذهبا بأياد
بغدى الصحيفة ناظرى فبياضها * ببياضـــه وسوادها بسواد
أدى تحيتك الزكية طيها * كافور قرطاس ومسك مداد
ولقد تعين لو أعانت قدرة * حسن الجزاء بها وهز النادى
لكن عجزت فما استقل بنشأتى * ماء الفرات ولا ثرى بغداد
عذرا فضيلك لكل طالب حجة * خصم ألد وجه عذر باد
بك فاخر القلم القصير وطاول الرمح الطويل كتابة بطراد
ولك الفصاحة أولسيفك كلما استطعت * متنى منبر وجواد
ثنيت عليك حلى الوزارة مثل ما * حمل الحسام عليك ثنى نجاد
وتتوجت منك القيادة بالذى * ترك الرياسة مهنة القواد
أنت الحلال الحلو رق طبيعة * وصفا مزاجا كالسحاب الغادى
من معشر تتشرف الاذوا بهم * كتشرف الايام بالاعياد
جلوا الخلوا فى الانام مكانة * كمكانة الآلاف فى الاعداد
أفديك من حر تعبـــدبره * شكرى وقل له الفدا والفادى
فلقد ظفرت من اقبالك بالمنى * وبلغت أقصى غايتى ومرادى
وأرحت من تعبى بعهدك فى ندى * ظـــل فبت على وثير مهاد
وشددت منك يدى بعلق مظنة * ونفضتها بزعانف أنكاد
متعللين على الوفاء بعـــلة * فجبك الطبيب لها مع العواد
جمعوا الى ظلمى فسمت جماحهم * ولقيت شـــدته بلين قياد

واستبطنوا

واستبطنوا حقدا وبين جوانحى * طبع يسل سخائم الاحقاد
ولكم دعى فى الاخاء أعرته * جذب ابن سفيان بضبع زياد
حتى اذا رفض الوفاء رفضته * واعتضت منه بطيب الميلاد
لاذنب لى فى طرد شائمة الهوى * منه على السرح الوبيل الصادى
أناقد رضيتك فارضنى وأعدنى * ان كنت محتاجا الى الاعداد
انى لمن ان دعوت لنصرة * يوما بساطا حجة وجلاد
أذكيت دونك للعدى حدق القنا * وخصمت عنك بألسن الاغماد
صلنى أصالك وصل فديتك بى أصل * بك واعتمدنى اتخذك عمادى
ايه وقلت الى الوفاء محركا * ايه فما خطرت بعطف جماد
ولئن بلغت الى رضاى فربما * ألفيتنى لرضاك بالمرصاد
وعلى تظاهرنا المضمان بقلة الا عداء ثم بكثرة الحساد .
وزعمت تظلم ساحة ماببننا * ظلما وصبح العدل عندى باد
كلا فما التسويف من شيمى ولا * لى الجميل بعادة من عادى
لابد من ذاك السفار وان عدت * عنه الليالى انهن عواد
سفر ان استبعدته فسأمتطى * حرصى واجعل من ثنائك زادى
خذها نتيجة منكر لودادها * برم لها قال لها متفاد
حذر من الود المخل فانما * أهدى الزيوف الى يدى نقاد

وكتب الى ذى الوزارتين أبى الحسن بن اليسع وقد آب من احدى سفراته (كامل)

أهلا بقربك لو يطول مقام * وكفى بطيفك لو يزور منام
آذنت بالعهد الجديد وانما * قرب المدى دون اللقاء هيام
وكتبت توهن للنوى أميالها * هيهات أميال النوى أعوام
لولا الصحيفة ماشكوت فانها * قد قام منها لو علمت مقام
وصلت الى مع الاصيل وانما * وصلت الى حديقة ومدام
برد من الكافور غنم درجه * مسكا وذر عليه منه ختام
من قطعة هى قطعة الديباج أو * هى قطعة البستان وهى كلام
وكأن أسطرها غصون اراكة * ومن القوافى فوقهن حمام
نادمتها والراح يلهب كأسها * عذب اللمى ساجى الجفون غلام

وثنا كلا حسنا فعانق قده * ألف وعارض عارضيه لام
أيه أبا الحسن اختبرت فقل لنا * ماذا تقول اذا استشف عصام
هل حاد بي من مذهب عن واجب * أولم يقدني للجميل ذمام
أوهل تلجلج منطق في حجة * لوكان تحت يد القضاء خصام
والسعي مشكور وفيات الغنا * مرجوة والى الضياء ظلام
ولقد جريت الى التي قلدتها * جريا تباعد عنك فيه ملام
فوردت لم تلحق بغيبك ريبة * وصدرت لم يعلق بسعيك ذام
وعلى مسفرك السلام تحية * ولقد تقل تحية وسلام

(وفي أيام خموله وعريه من مأموله) أنشد المعتضد بالله (كامل)

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى * والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره * لما استرد الليل منا العنبرا
والروض كالحسنا كساه زهره * وشيا وقلده نداه جوهرا
أو كالغلام زهي بورد رياضه * خجلا وتاه بآس هن معذرا
روض كأن النهر فيه معصم * صاف أطل على رداء أخضرا
وتهزه ريح الصبا فتخاله * سيف ابن عباد يبدد عسكرا
عباد المخضر نائل كفه * والجو قد لبس الرداء الاغبرا
علق الزمان الاخطر المهدى لنا * من ماله العلق النفيس الاخطرا
ملك اذا ازدحم الملوك بمورد * ونحاه لا يردون حتى يصدرا
أندى على الاكباد من قطر الندى * وألذ في الاجفان من سنة الكرى
يختار اذ يهب الخريدة كاعبا * والطرف أجرد والحسام مجوهرا
قداح زند المجد لا ينفك عن * نار الوغى الا الى نار القرى
لا خلق أقرى من شفار حسامه * ان كنت شبهت المواكب أسطرا
أيقنت اني من ذراه بجنة * لما سقاني من نداه الكوثرا
وعلمت حقا ان ربعي مخصب * لما سألت به الغمام الممطرا
من لا توازنه الجبال اذا احتبى * من لا تسابقه الرياح اذا جرى
ماض وصدر الرمح يكهم والظبا * تنبو وأيدي الخيل تعثر في البرى
قاد الكتائب كالكواكب فوقهم * من لامهم مثل السحاب كنهورا

من

من كل أبيض قد تقلد أبيضا * عضبا وأسمر قد تأبط أسمرا
ملك يروقك خلقه أو خلقه * كالروض يحسن منظرا أو مخبرا
أقسمت باسم الفضل حتى شمته * فرأيته فى بردتيه مصوّرا
وجهلت معنى الجود حتى زرته * فقرأته فى راحتيه مفسرا
فاح الثرى متعطرا بثنائه * حتى حسبنا كل ترب عنبرا
وتتوجت بالزهر صلع هضابه * حتى ظننا كل هضب قيصرا
هصرت يدى غصن الندى من كفه * وجنت به روض السرور منوّرا
حسبى على الصنع الذى أولاه أن * أسعى بجهد أو أموت فأعذرا
يا أيها الملك الذى حاز المنى * وحباه منه بمثل حمدى أنورا
السيف أفصح من زياد خطبة * فى الحرب ان كانت يمينك منبرا
ما زلت تغنى من عنى لك راجيا * نيلا وتفنى من عتا وتجبرا
حتى حللت من الرياسة محجرا * رحبا وضمت منك طرفا أحورا
شقيت بسيفك أمة لم تعتقد * الا اليهود وان تسمت بربرا
أثمرت رمحك من رؤس كماتهم * لما رأيت الغصن يعشق مثمرا
وصبغت درعك من دماء ملوكهم * لما علمت الحسن يلبس أحمرا
نعقتها وشيا بذكرك مذهبا * وفتقتها مسكا بحمدك أذفرا
من ذا ينافحنى وذكرك صندل * أوردته من نار فكرى مجمرا
فلئن وجدت نسيم حمدى عاطرا * فلقد وجدت نسيم برك أعطرا
واليكها كالروض زارته الصبا * وحنا عليه الطل حتى نوّرا

(ولم يزل المعتمد) يتحيل على صاحب شقورة فى أخذ ابن عمار منه ويعطيه ما شاء عوضا عنه ويفرط فى ترفيعه ويبسط ما أحب من شفاعته ويعد بتشفيعه حتى استنزله فيه واستنزله بفرط تحفيه فدفعه الى ثقاته ولم يتق الله فيه حق تقاته وخسر دون مال أخذه عوضا غير آمال جعل أمرها اليه مفوّضا ودخل ابن عمار قرطبة على قتب والعيون ترمقه وكأنها سهام ترشقه وقد كان خرج منها والجيوش تحفه وكأنه مهدى والدنيا تزفه فعجب الناس مما كان بين ورده وصدره وتعوّذوا بالله من سوء قدره ولم يزل يتوسل اليه بذممه ويناشده الله فى حقن دمه ويستعطفه بكل مقال حر ويتحفه منه بأنفس در فلم يصخ الى رقاه

وجرّعه الحمام وسقاه والموت لايتوسل اليه ولا يستشفع لديه (كامل)

واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وندم المعتمد على موته وأسف أسف الايجدى على فوته حين سبق السيف العذل وقد يكون مع المستعجل الزلل ومن بديع استعطافه ومليح استلطافه الذى يلين له الحديد والخطب الشديد قوله (طويل)

سجايالك ان عافيت أندى وأسمح * وعذرك ان عاقبت أجلى وأوضح

وان كان بين الخطتين مزية * فأنت الى الادنى من الله أجنح

حنانيك فى أخذى برأيك لاتطع * عداتى وان أثنوا علىّ وأفصحوا

وماذا عسى الاعداء أن يتزيدوا * سوى أنّ ذنبى واضح متصحح

نعم لى ذنب غير أنّ لحلمه * صفات يزلّ الذنب عنها فيسفح

وانّ رجائى أن عندك غير ما * يخوض عدوّى اليوم فيه ويمرح

ولم لا وقد أسلفت ودّا وخدمة * يكرّان فى ليل الخطايا فيصبح

وهبنى وقد أعقبت أعمال مفسد * أما تفسد الاعمال ثمت تصلح

أقلنى بما بينى وبينك من رضا * له نحو روح الله باب مفتح

وعفّ على آثار جرم جنيته * بهبة رحمى منك تمحو وتصفح

ولا تلتفت رأى الوشاة وقولهم * فكل اناء بالذى فيه يرشح

سيأتيك فى أمرى حديث وقد أتى * بزوره عبد العزيز موشح

وما ذاك الا ما علمت فاننى * اذا تبت لا أنفك آسو وأجرح

تخيلتهم لادر لله درهم * أشاروا بتجاهى بالشمات وصرّحوا

وقالوا سيجزيه فلان بفعله * فقلت وقد يعفو فلان ويصفح

الا ان بطشا للمؤيد يتقى * ولكنّ حلما للمؤيد أرجح

وبين ضلوعى من هواه تميمة * ستنفع لو أنّ الحمام مجلح

سلام عليه كيف دار به الهوى * الىّ فيدنو أو علىّ فينزح

ويهنيه ان مت السلو فاننى * أموت ولى شوق اليه مبرّح

ولما فرغ من قراءة القصيدة قام الى موضع ثقافه ومريع اختطافه وبيده طبرزين كان ادفونش قد أهداه الى ابن عمار فأهداه هو الى المعتمد فلما سمع فتح الباب عليه وعلم أنه فى جملة من جاء اليه قبل الارض بين يديه فاسمع رأسه

الا

الا وقد درّعه انسكاسا وسقاه الحمام كاسا بضربة تظمت رأسه فى الطبرزين نظم العقد وفصمت من فؤاده عرى ذلك الحقد ثم أمر به فكفن فى تلك الدماء ودفن فى بقية ذلك الدماء ويدل على تولى المعتمد على الله قتله بنفسه ونقله بضربته الى رمسه قول عبد الجليل وكان اليه منقطعا ولا خلاف نعمانه مرتضعا

من ذا الذى أبليه مل مدامعى * وأقول لا شلت يمين القاتل

(ذو الوزارتين القائد أبو عيسى بن لبون رحمه الله)

هو ممن رأس وما شئت ووكف جوده وما كف وأعاد كاسد البدائع نافقا ولم يصدر آملا خافقا وكان كثير الرفد كلفا بالوفد وكانت عنده مشاهد تزف فيها للمنى أبكار نواهد أيام لم تطرقه النوائب ولم تشب صفوه الشوائب ودهره مسعد لا ينغص أحد راحه ولا تطرق له بالغير ساحة حتى تنبه له نائم صرفه وأنحى بنكره على عرفه فارتدت على أعقابها مقاصده ونكب عنه وافده وقاصده وكانت مربيطر مطلع شمسه وموضع انسه فأخذها ابن رزين من قبضته وأقعده بعد نهضته وخدعه بالمحال وأقطعه أنكد حال فبقى ضاحيا وغدا جوه من تلك الحظوة صاحيا وله نظم نظم من المحاسن جلا وأعاد سامعه ثملا وقد أثبت منه ما يدل على نفاسة سبكه وجودة حبكه فمن ذلك ما قاله متوجعا لخليطيان عنه وظعن وأوغل فى شعاب البعد وأمعن (وافر)

سقى أرضا ثووها كل مزن * وسايرهم سرور وارتياح
فما ألوى بهم ملل ولكن * صروف الدهر والقدر المتاح
سأبكى بعدهم حزنا عليهم * بدمع فى أعنته جماح

(وأخبرنى الوزير أبو عامر بن الطويل) أنه كان بقصر مربيطر بالمجلس المشرف منها والبطحاء قد لبست زخرفها ودبج الغمام مطرفها وفيها حدائق ترنو عن مقل نرجسها وتبث طيب تنفسها والجلنار قد لبس أردية الدماء والراح قد ملكت أفئدة الندماء فقال (كامل)

قم يا نديم أدر على القرقفا * أوما ترى زهر الرياض مفوفا
فتخال محبوبا مدلا ورده * وتظن نرجسها محبا مدنفا
والجلنار دماء قتلى معرك * والياسمين حباب ماء قد طفا

وله أيضا يعاتب بعض اخوانه (طويل)



لحى الله قلبى كم يحن اليكم * وقد بعتم حظى وضاع لديكم
اذا نحن أنصفنا كم من نفوسنا * ولم تنصفونا فالسلام عليكم

(وله) وقد كتب اليه الكاتب أبو الحسن راشد بن سليمان بالتمويل وقد كان عهد اليه الا ان يخاطبه الا بالتسويل (كامل)

ثقلت روحك أيما تثقيل * فيما قصدت له من التمويل
هذا على أنى عهدتك خفة * كرسول برء حل عند عليل

فراجعه الكاتب أبو الحسن المذكور (كامل)

لا والذى ولاك ألوية الندى * وحباك من خطط العلا بجزيل
ما حدت عن سنن الكتابة عامدا * ولو اعتمدت فعلت فعل نبيل
لكن بانى أنكرت ما عوّدت * فتبرعت بكتابة التمويل
ولرب سر كامن عند امرئ * أبداه بعض فعاله المجبول
لله رقتك التى ضمنتها * زهر النهى من لفظك المعسول
نظم وعيشك لو غدا نثرا لما * قدرته الامن التنزيل
وافى به من لو أمنت صدوده * عنى غمرت يديه بالتقبيل

(وله يرثى ذا الوزارتين) أبا محمد أخاه وقد توفى وأورقة فى ملكه ومنتظمة فى سلكه (خفيف)

قل لصرف الحمام كم ذا التناهى * فى تلقيك لى بهذى الدواهى
كان فى عامر وأرقم ما يكفينى فهلا أبقيت عبد الاله
فبه قد كنت بعد استدفع الخطب وأسطو على العدى وأباهى
أى شمس وافى عليها أفول * فل غرب عزائمى ونواهى

(وشرب مع الوزراء والكتاب) ببطحاء لورقة عند أخيه وابن اليسع غائب عنهما فى عشية تجود بدمائها ويصوب عليها دمع سمائها والبطحاء قد خلع عليها سندسها ودنرها نرجسها والشمس تنفض على الربا زعفرانها والانوار تغمض أجفانها فكتب الى ابن اليسع (بسيط)

لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا * والمزن يسكب أحيانا وينحدر
والارض مصفرة بالمزن كاسية * أبصرت تبرا عليه الدر ينتثر

وله أيضا (بسيط)

يارب ليل شربنا فيه صافية * حمراء في لونها تنفي التباريحا
ترى الفراش على الأكواس ساقطة * كأنما أبصرت منها مصابيحا

(وله بعد ما نقل) عن ملكه وأخذ سلطانه من سلكه يحن الى لياليه السالفة وظلال انسه الوارفة ويتذكر لذته ويتذكر اطراح الزمان له ونبذته (بسيط)

ياليت شعري وهل في ليت من أرب * هيهات لا تنقضي من ليت آراب
وأين تلك الليالي اذ تلم بنا * فيها وقد نام حراس وحجاب
أين الشموس التي كانت تطالعنا * والجو من فوقه لليل جلباب
تهدى الينا لجينا حشوه ذهب * أنامل العاج والأطراف عناب

(وله وقد أرهقته) الرزايا وألحت وهمت عليه سحائبها وسحت وبات له الأسى مل‍ء الجوانح وعوض بالبارح من السانح فانصرمت آماله واستبهمت اعماله فأكثر التشكي من زمنه وأظهر شجوى محنه وأصبح يبدى الضجر ويكاد يبكي الحجر ويندب أيامه ولياليه ويذكر عاطل عيشه وحاليه (طويل)

خليلي عوجا بي على مسقط اللوى * لعل رسوم الدار لم تتغيرا
فأسأل عن ليل تولى بانسنا * وأندب أياما تقضت وأعصرا
ليالي اذ كان الزمان مسالما * واذ كان غصن العيش فينان أخضرا
واذ كنت أسقى الراح من كف أغيد * يناولنيها واثنا ومبكرا
أعانق منه الغصن يهتز ناعما * وألثم منه البدر يطلع مقمرا
وقد ضربت أيدى الأمان قبابها * علينا وكف الدهر عنا وأقصرا
فما شئت من لهو وما شئت من ددد * ومن مبسم يجنيك عذبا مؤثرا
وما شئت من عود يغنيك مفصحا * بما لك شوق بعدما كان أقصرا
ولكنها الدنيا تخادع أهلها * تغر بصفو وهي تطوى تكدرا
لقد أوردتني بعد ذلك كله * موارد ما ألفيت عنهن مصدرا
وكم كابدت نفسي لها من ملمة * وكم بات طرفي من أساها مسهرا
خليلي مالي على صدق عزمتي * أرى من زماني ونية وتعذرا
ووالله ما أدرى لأي جريمة * تجنى ولا عن أي ذنب تغيرا
ولم آل عن كسب المكارم عاجزا * ولا كنت في نيل أنيل مقصرا
لئن شاء تمزيق الزمان لدولتي * لقد ردّ عن جهل كثيرو بصرا

وأيقظ من نوم الغرارة نائما * وأكسب علما بالزمان وبالورى

(وله) يأنف من المقام على ما رتب له من الاجراء ويكلف بالادلاج والاسراء (طويل)

ذروني أجب شرق البلاد وغربها * لأشفي نفسي أو أموت بدائي
فلست ككلب السوء يرضيه مربض * وعظم ولكني عقاب سماء
تحوم لكيما تدرك الخصب حومها * أماما أمام أو وراء وراء
وكنت اذا ما بلدة لي تنكرت * شددت الى أخرى مطي اباتي
وسرت ولا ألوي على متعذر * وصممت لا أصغي الى النصحاء
كشمس تبدت للعيون بمشرق * صباحا وفي غرب أصيل مساء

(وله) وقد أعرض عن الدنيا وخبالها ونفض يده عن حبالها (بسيط)

نفضت كفي عن الدنيا وقلت لها * اليك عني فما في الحق أغتبن
من كسر بيتي لي روض ومن كتبي * جليس صدق على الاسرار مؤتمن
أدري به ما جرى في الدهر من خبر * فعنده الحق مسطور ومختزن
وما مصابي سوى موتي ويدفنني * قوم وما لهم علم بمن دفنوا

(الوزير الكاتب أبو عمرو الباجي رحمه الله تعالى)

بحر لا يمتطى ثبجه ولا تخاض لججه يقذف لسانه لؤلؤه المكنون ويصرف من بدائعه الانواع والفنون فلا يجارى في ميدان الاحسان ولا يبارى في بلاغة براعة ولسان يقصر كل بحر عن مداه ويظهر الاعجاز فيما أظهر من البيان وأبداه لاح وسماء المعالي قد تزينت بنجومها وسمع بذكرها ولم ترم برجومها فظهر أوان الظهور وساد ولم يخش في موضع نفاق الفضل الكساد والناس اذ ذاك أعلام والدنيا تحية وسلام فتهادته الرياسات وتفادته تلك السياسات فانتقل اليهم انتقال الشمس في مطالع السعود ومقل روض الاماني ناضر العود واستدعاه المقتدر بالله فعرف محله وأحله من الخلوة لديه ما أحله فاستحسن ملكه واستطابه وملأ بعوارفه عيابه ووطابه ولقي من أهل سرقسطة كل ضاحك بسام عاضد كالحسام يرعيه مبرته ويريه متهللة أسرته فلما رحل عنهم حن اليهم أي حنين وذاب شوقا اليهم بين أرق وأنين فقال يخاطبهم (متقارب)

سلام على صفحات الكرم * على الغرر الفارجات الغمم

على الهمم الفارعات النجوم * على الايبن الغامرات الديم
سلام شج لانقلاب المزار * نوى غربة عن جوار أمم
شجى عن نزاع يذيب الدموع * بنار الجوانح لا عن ندم
وأى الندامة من مجمع * على مانوى همه أى هم
وهل يتلاون رأى اللبيب * اذا جد فى أمره واعتزم
عزمت على رحلتى عنكم * فسرت بقلب شديد الالم
أضاحك صحبى وأطوى الفجاج * وفى كبدى لاعج كالضرم
فما انس لاانس ذاك الحباء * وذاك السناء وتلك الشيم
ودنيا بكم طلقة المجتلى * ودهرا بكم واضح المبتسم
وساعات أنس تجول النفو * س فيها مجال حلم الحرم
أحن اليكم ومن شاقه * تذكر عهدكمو لم يلم
وان كنت مغتبطا ساحبا * ذيول الرضا فى قرار النعم
وأنشر من فضلكم ماوليت * على أنه سافر كالعلم
فما روضة الحزن ذات الفنون * اذا ما الصباح عليها بسم
وقد بلل الطل أحداقها * كأن الفريد عليها انتظم
بأطيب من نفحات الثناء * أسيرها عنكم فى الامم
أروح وأغدو بها خاطبا * لدى سامعى عرب أوعجم
لدى كل معترف تابع * اذا قلت الق إلى السلم
ومن حقكم شكر آلائكم * ومن حق شانئكم أن يذم

(وله يصف) مطرا نزل بعد قحط ان الله تعالى قضايا واقعة بالعدل وعطايا جامعة للفضل ومنحا يبسطها اذا شاء ترفيها وانعاما ويقبضها اذا أراد تنبيها والهاما ويجعلها القوم صلاحا وخيرا وعلى آخرين فسادا وضيرا وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد وانه بعد ما كان من امتساك الحيا وتوقف السقيا الذى ريع به الآمن واستطير له الساكن ورجفت الاكباد فزعا وذهلت الالباب جزعا وأذكت ذكاء حرها ومنعت السماء درها واكتست الارض غبرة بعد خضرة ولبست شحوبا بعد نضرة وكادت برود الارض تطوى ومدود نعم الله تزوى نشر الله تعالى رحمته وبسط نعمته

وأتاح منبه وأزاح محنته فبعث الرياح لواقح وأرسل الغمام سوافح بماء دفق ورواء غدق من سماء طبق استهل جفنها فدمع وسح دمعها فهمع وصاب وبلها فنقع فاستوفت الارض ريا واستكملت من نباتها أثاثا وريا فزينة الارض مشهورة وحلة الروض منشورة ومنة الرب موفورة والقلوب ناعمة بعد بوسها والوجوه ضاحكة بعد عبوسها وآثار الجزع ممحوة وسور الحمد متلوة ونحن نستزيد الواهب نعمة التوفيق ونستهديه في قضاء الحقوق الى سواء الطريق ونستعيذ به من المنة أن تصير فتنة ومن المنحة أن تعود محنة وهو حسبنا ونعم الوكيل

(ذو الوزارتين الكاتب أبو بكر بن القصيرة رحمه الله)

غرة في جبين الملك ودرة لا تصلح الا لذلك السلك باهت به الايام وتاهت في يمينه الاقلام واشتملت عليه الدول اشتمال الكمام على النور وانسربت اليه الاماني انسراب الماء الى الغور وأتت الدولة اليوسفية ففازت به قداحها وأورى زنده اقتداحها فقال فيها ما شاء وأقال من عثاره الانشاء بعد خطوب أصارته طريدا وقطعت منه وريدا ومازال يرتضع أخلافها ويتتبع أكنافها ويسم ببيانه غفلها ويتمم فرضها ونفلها حتى طواه ضريحه وركدت ريحه فسقط بسقوطه نجم البيان وأضحى داثر الاثر خفي العيان وقد أثبت في هذا التصنيف من كلامه العالي المنيف ما تتخذه سميرا وتجعله على الكلام أميرا فمن ذلك رقعة راجعني بها وانتقى أعزك الله لك أحرف كأنها الوشم في الخدود تميس في حلل ابداعها كالغصن الاملود وانك لسابق هذه الحلبة لا يدرك غبارك في مضمارها ولا يضاف سرارك الى أبدارها وما أنت في أهل البلاغة الا نكتة فلكها ومعجزة تشرف الدول بتملكها وما كان أخلقك بالسيد نيك وملك بقتنيك ولكنها الحظوظ لا تعتمد من تتجمل به وتتشرف ولا تقف الاعلى من توقف ولو اتفقت بحسب الرتب لما ضربت الاعليك قبابها ولا خلعت الاعليك أثوابها وأما ما عرضته فلا أرى انفاذه قواما ولا أرضى لك أن تترك عيون آرائك نياما ولو كففت عن هذا الخلق وانصرفت عن تلك الطرق لكان أليق بك واذهب مع حسن مذهبك فقديما أوردت الاتقة أهلها موارد لم يحمدوا اصدارها والموفق من أبعدها وهجرها وسأستدرك الامر

قبل فواته وأزهف لك مفلول شباته فتوقف قليلا ولا تنفذ فيه دبيرا ولا قبيلا حتى ألقاك هذه العشية وأعلمك بما تنبني عليه القضية ان شاء الله (وكتب) عن أمير المسلمين وناصر الدين أيده الله الى طائفة متعدية أما بعد يا أمة لا تعقل رشدها ولا تجري الى ما تقتضيه نعم الله عندها ولا تقلع عن أذى تفشيه قربا وبعدا بجهدها فانكم لا ترعون لجار ولا لغيره حرمة ولا ترقبون في مؤمن الا ولا ذمة قد أعماكم عن مصالحكم الاشر وأضلكم ضلالا بعيدا البطر ونبذتم المعروف وراء ظهوركم وأتيتم ما ينكر مقتديا في ذلك صغيركم بكبيركم وشاملكم بمشهوركم ليس فيكم زاجر ولا منكم الا غوي فاجر وما نرى الا أن الله عز وجل قد شاء مسخكم وأراد نسخكم وفسخكم فسلط عليكم الشيطان يغركم ويغريكم ويزين لكم قبائح معاصيكم وكأنكم به قد نكص على عقبيه عنكم وقال اني بريء منكم وترككم في صفقة خاسرة لا تستقيلونها ان لم تتوبوا في دنيا ولا آخرة وحسبنا هذا اعذارا لكم وانذارا قبلكم فتوبوا وأنيبوا وأقلعوا وانزعوا وانتصروا من أنفسكم كل من وترتموه وأنصفوا جميع من ظلمتموه وغششتموه ولا تستطيلوا على أحد بعد ولا يكن الى أذاه صدر ولا ورد والا فاجعلكم من عقوبتنا ما يجعلكم مثلا سائرا وحديثا غابرا فاتقوا الله في أنفسكم وأهليكم واياكم والاغترار فانه يورطكم فيما يرديكم ويسوقكم الى ما يشمت بكم أعاديكم وكفى بهذا تبصرة وتذكرة ليست لكم بعدها حجة ولا معذرة ولا توفيق الا بالله تعالى (وكتب عنه رحمه الله) الى صاحب قلعة حماد وصل كتابك الذي أنفذته من والدي مني صادرا عن الوجهة التي استظهرت عليها بأضداد لك وأجحفت بطارفك وتلادك وأخفقت فيها من مطالبك ومرادك فوقفنا على معانيه وعرفنا المصرح به والمشار اليه فيه وبعد فالمتجمل بمثل سيئتنا وتنكرك معروفنا وخلافك صوابا بدينا وتقضي لنفسك بفلج الخصام وتوليها الحجة البالغة في جميع الاحكام ولم تتأول أن وراء كل حجة أدليت بها ما يدحضها وازاء كل دعوى أبرمتها ما ينقضها وتلقاء كل شكوى صححتها ما يمرضها ولولا استنكاف الجدال واجتناب ترديد القيل والقال لقصصنا فصول كتابك أولا فأولا وتقررنا عنها تفصيلا وجملا وأضفنا الى كل فصل ما يبطله ويخجل من ينتحله حتى لا يدفع بحجته دافع ولا ينبو عن قبول أدلته راء ولا سامع وها نحن

ننشدك الله الذى لاتقوم السماء والارض الا بأمره ألم نكن عند ما نزغ الشيطان بينك وبين فلان وتفاقم الشنآن قد توقدنا على ما كان بالحالة من اقلاق وتأخرنا عما كانت النصبة تستقدم اليه من بدار أو سباق ولم نمد الجهة حتى أمدادها ولا كثرنا وفق ما كان يلزم من جماهير اعدادها ولا عنانا غير جهاد المشركين ولا أقبلنا الا على ما يحوط حريم المسلمين رجاء ان يثوب استبصار أو يقع اقصار وأنت خلال ذلك تحتفل وتحتشد وتقوم وتقتعد وتبرق غيظا وترتعد وتستدعى ذؤابات العرب وصعاليكهم من مبتعد ومقترب فتعطيهم ما فى خزائنك جزافا وتنفق عليهم ما كنزه أوائلك اسرافا وتجمع أهل العشرات مئين وأهل المئين آلافا كل ذلك لتعتضد بهم وتعتمد على تعصبهم وتعتقد أنهم جنتك من المحاذير وحماتك من المقادير وتذهل عما فى الغيب من أحكام العزيز القدير (وكتب عنه رحمه الله الى أهل مكناسة) أما بعد أصلح الله من أعمالكم ما اختل وأصح من وجوه صلاحكم ما اعتل فقد بلغنا ما أنتم بسبيله من التقاطع والتدابر وما ركبتم رؤسكم فيه من التنازع والتهاتر قد استوى فى ذلك عالمكم وجاهلكم وصار شرعا سواء فيه نبيهكم وخاملكم لا تأتمرون رشدا ولا تطيعون مرشدا ولا تأتون سددا ولا تنحون مقصدا ولا تفلحون ان لم تنزعوا عن غوايتكم أبدا فلا يسوغ لنا ان نترككم فوضى وندعكم سدى ولا بد لنا من أخذ قناتكم بثقاف اما ان تستقيم واما ان تنشظى قصدا فتوبوا من ذنب التباغض بينكم والتباين واعصوا شياطين التحاقد والتشاحن وكونوا على الخير أعوانا وفى ذات الله اخوانا ولا تجعلوا للعقوبة عليكم يدا ولا سلطانا واعلموا ان من نزغ بينكم بشر أو نفث فى فتنة بضر وقام عندنا عليه الدليل واتجه اليه السبيل أخرجناه عنكم وأبعدناه منكم فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين ولا تتولوا عن الموعظة وأنتم معرضون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون وحسبنا هذا وبالله التوفيق

(الوزير الكاتب أبو المطرف ابن الدباغ رحمه الله)

أحد اعلام الوزارة المتسمين بأزيائها المرتسمين فى زمام عليائها المشتهرين بالبلاغة المقتصرين على حسن التناول فى كل اراغة الا ان الايام تعدت على آماله وأغرت صروفها بكماله فلم تلح أمانيه حتى غربت ولا اتفقت له حال الا اضطربت وصل

الى

الى المعتمد فكلف به وألف حسن مذهبه ثم نسبت اليه معائب وانبرى له شانئ وعائب حسدا لخصاله وجدا فى زواله وانفصاله فانف من المقام بذلك المثوى والاحتمال لتلك البلوى فانتقل الى المتوكل وحل منه بالطف محل وألقى اليه أزمة العقد والحل ثم رأى ان يكرّ الى سرقسطة بلده ويقر فيها مع أهله وولده فلما وصل اليها استدعى الى احدى حدائقها فى ليلة حسبها من منح الدهر وتنسم أنسها أعطر من نفح الزهر فلما أغفى دب اليه أحد عداه فوجأ أوداجه بمداه وسقى الارض من نجيعه وتركه لا يستيقظ من هجوعه وكان كثيرا ما يتشكى فى كتبه تشكيا يدل على ضيق صدره وسمو قدره فمن ذلك رقعة كتبها الى ابن حسداى وهى كتابى وانا كما تدريه غرض للايام ترميه ولكن غير شاك من آلامها لان قلبى فى أغشية من سهامها فالنصل على مثله يقع والتألم بهذه الحالة قد ارتفع وكذلك التقريع اذا تتابع هان والخطب اذا اشتد لان والحوادث تنعكس الى أضدادها اذا تناهت فى اشتدادها وتزايدت على آمادها (وكتب فى مثل ذلك) كتابى أعزك الله وعندى من الدهر ما يهد أيسره الرواسى ويفتت الحجر القاسى ومن أجلها قلب محاسنى مساويا وانقلاب أوليائى أعاديا وقصدى بالبغضة من حيث المقة واعتمادى بالخيانة من جانب الثقة فقس بهذا على سواه وعارض به ما عداه ولا تعجب الا لشبوتى لما لم يثبت له الحلق السرد وبقائى على ما لا يبقى عليه الحجر الصلد ولا أطول عليك فقد غمر على حتى شرابى وأوحشتنى ثيابى فها أنا أتهم عيانى وأستريب من بنانى وأجنى الاساءة من غرس احسانى وقاتل الله الحطيئة فى قبره فطالما غرّ بقوله فى شعره (بسيط)

من يزرع الخير يحصد ما يسر به * وزارع الشر منكوس على الراس

انا والله فعلت خيرا فعدمت جوازيه وما أحمدت عوائده ومباديه وزرعته فلم أحصد الا شرا ولا اجتنيت منه الا ضرا وهكذا جدى فما أصنع وقد أبى القضاء الا ان أمنى عمرى فى بوس ولا أنفك من نحوس وياليت باقيه قد انصرم وغائب الحمام قد قدم فعسى أن تكون بعد الممات راحة من هذا النصب وسلوة عن هذه الخطوب والنوب فدع بنا هذا التشكى فالدهر ليس بمعتب من يجزع وما فى الايام رجاء ولا مطمع (وله فصل من تعزية) من أى الثنايا طلعت النوائب وأى حى رتعت فيه المصائب فواها لحشاشة الفضل

أرصدها الردى غوائله وبقية الكرم جرّ عليها الدهر كلاكله ويا حسرتا للجبة
المواهب كيف سجرت ولشمس المعالى كيف كوّرت ويا لهفى على هضبة الحلم
كيف زلزلت وحدّة الذكاء والفهم كيف فلّت فانا لله أخذا بوصاياه وتسليما
لقضاياه (وله فصل) لئن كانت الأيام تقصيك فالأمانى تدنيك ولئن كنت محجوبا
عن الناظر فانك مصوّر فى الخاطر أناجيك بلسان الضمير وأعاطيك سلاف
السرور المستدير (وله) وردلك كتاب خلته لطفه سماه وتوهمته من خفته
هباء وفضضته عن أسطر فيها سواد لم يحصل لى منه مستفاد فتعوذت برب الفلق
من شر ذلك الغسق (وله الى ابن حسداى) كنت عهدتك لا تقنع من مداعبة من
يداعبك ولا تنقبض عن مراجعة من يخاطبك فمن أين حدث هذا التعالى وما
سبب هذا التغالى عرّفنى جعلت فداك ما الذى عداك ولعلك رأيت الحضرة
قد خلت من قاض فطمعت فى القضاء وجعلت تأخذ نفسك بأهبته وتترشح لرتبته
وأنت الآن لا شك تتفقه فى الأحكام وتتطلع شريعة الاسلام وهبك تحليت
بهذا السمت وتهيأت لذلك الدست ما تصنع فى قصة السبت دع هذا التخلق
وارجع الى أخلاقك وعد فى اطراقك وتجاهل ما قبلك جاهل وتحامق مع الحمقاء
وأنت عاقل فلا تمتنع لذة الاسترسال ولا تتبع الدنيا بجد منك فى سائر الأحوال
فما أشبه ادبارها بالاقبال وكثرتها بالاقلال (وله يستدعى خمرا) أوصافك العطرة
ومكارمك المشتهرة تنشط سامعها من غير توطية فى اقتضاء ما عرض من أمنية
فالراح من قلبى محل لا تصل اليه سلوة ولا تعترضه جفوة الا ان معينها قد جف
وقطينها قد خف فما توجد للسباء ولو بحشاشة الحوباء فصلنى منها بما يوازى
قدرى ويقوم لشكرى فان قدرك أرفع من ان تقتضى حقبه زائر لبنة العصار
ولو سالت بذوب النضار لا بصافية العقار (وله يستدعى الى مجلس أنس) يوم ناوم
تجهم محياه ودمعت عيناه وبرقعت شمسه الغيوم ونثرت صبابه لؤلؤه المنظوم
وملأ الخافقين دخان دجنه وطبق بساط الأرض هملان جفنه فأعرضنا عنه
الى مجلس وجهه كالصباح المسفر وجلبابه كالرداء المحبر وحليه يشرق فى ترائبه
وندّه يعبق فى جوانبه وطلائع أنواره تظهر وكواكب ايناسه تزهر وأباريقه
تركع وتسجد وأوتاره تنشد وتغرّد وبدوره تسحت أنجمها محيية وتقبل أناملها
مفدّية وسائر نغماتها خذوها تهنا وأملنا ان نحث خطاك حتى يلوح سناك

ونشتفى

ونشتفي بمرآك (وله فصل) ورد كتابك فنور ما كان بالاعياب داجيا وحسن مشافها عنك ومناجيا واسترد الى الحلة بهاءها وأجرى في صفحة الصلة ماءها وعند شدة الظما بعذب الماء وبعد مشقة السهر بطيب الاغفاء ورأيت ما وعدتني به من الزيارة فسرني سرورا بعث من اطرابي وحسن لي دين التصابي فارتحت كانما أدار على المدام مديرها وجاوب المثاني والمثالث زيرها ولا تسأل عن حال استطلعتها فهي كاسفة بالي كاشفة عن خبالي لصبح لاح من خلال ذوائبي وتنفس في ليل لمتي فادجى مطالع أعمالي وأراني مصارع آمالي (وله فصل) ياليت شعري كيف أنفير على بعضي وامحضه قطيعتي وبغضي (وله فصل) طلع علينا هذا اليوم فكاد يطير من الغضارة صحوه ويقدس من الامارة جوه ويحيي الرميم اعتداله ويصبي الحليم جماله فلقينا زهرته وضمنا بحستمو نضرته في روضة أرضعتها السماء ثديها ونثرت عليها كواكبها ووفد عليها النعمان بشقيقه واحتل فيها الهند بخلوقه وبكر البهار بابل برحيقه فالجمال يثني بحسنه طرفه والنسيم يهز لانفاسه عطفه وتمنينا ان يتبلج صبحك من خلال فروجه ويحل شمسك في منازل بروجه فيطلع علينا الانس بطلوعك وتهديه بوقوعك ولن نعدم نورا يحكي شمائلك طيبا وبهجة وراحا تخالها خلالك صفاء ورقة وألحانا تثير أشجان الصب وتبعث أطرابا القلب وندى من ترتاح اليه بسيم الشمول وتتعطر بأرجهم القبول ويحسد الصبح عليهم الاصيل ويقصر عنا السهم الليل الطويل

(الوزير الفقيه الكاتب أبو القاسم بن الجد رحمه الله تعالى)

راضع ندي المعالي المتواضع العالي آية الاعجاز في الصدور والاعجاز الذي جمع طبع العراق وصنعة الحجاز وأقطع استعارته جانبي الحقيقة والمجاز فأبداها شمسا وأهداها الاجساد معانيه نفوسا اذا كتب ملأ المهارق بيانا وأرى السحر عيانا وله أدب لو تصور شخصا لكان بالقلوب مختصا ولو كان نورا لكان له السماك بجدلوا المجرة غدورا الى الاتسام بالوقار والحلم والافتنان في أنواع العلم أقام زمنا معتكفا على دواوينه كلفا بالعلم وأفانينه مشتغلا بالدراسة معتزلا للرياسة والملك يضم ضلوعه على علائه ويرقب طلوعه في سمائه الى ان استدعاه أمير المسلمين فأجاب بحكم الطاعة وأناب وأراه الغناء المستعظم والمناب بكتب تهزم الكتائب بأغراضها وتروق العيون باعاضها وقد أثبت من نثره البارع

ونظمه العذب المشارع ماهو أفتن للاسماع من مطرب السماع وألذ في الالباب من مناجاة الاحباب (فمن ذلك رقعة) راجعني بها عن معاتبة له في توقف مراجعة وهي لو أطعت نفسي أعزك الله بحسب هواها وحملت قواها لما خططت طرسا ولا سمعت للقلم جرسا ولثمت في حجر العطلة مستريحا ولزمت بيت العزلة حلسا طريحا ولكني بحكم الزمان مغلوب وبحقوق الاخوان مطلوب فلا أجد بدا من اعمال الخاطر وان غدى طليحا وتناهى تبليحا ولما طلع على طالع خطابك الكريم في صورة المقتضى الغريم تعين الاداء ووجب الاعداء واتصل بالتلبية النداء وقد كنت تغافلت عن الكتاب الاول تغافل الساكن الى العذر المتأول فهزتني من الثاني كلمات مؤلمات ولكنها في وجه الحسن والاحسان سمات لم توجد لي الى المعذرة طريقا ولا سوغتني في النظرة ريقا فتكلفت هذه الاسطر تكلف المضطر حفزه ثقل البر وأنت بفضلك تقبل وجيزها ولا تحفل بان تجيزها والله يطيل بقاءك محمود النجابة ولا يخلي دعوتي لك من الاجابة (وكتب عن أمير المسلمين وناصر الدين أيده الله الى أهل اشبيلية) كتابنا أبقاكم الله وعصمكم بتقواه ويسركم من الاتفاق والائتلاف الى مارضاه وجنبكم من أسباب الشقاق والخلاف مايسخطه ويأباه كتبناه من حضرة مراكش حرسها الله لست بقين من جمادى الاولى سنة اثنتي عشرة وخمسمائة وقد بلغنا ماتأكد بين أعيانكم من أسباب التباعد والتباين ودواعي التحاسد والتضاغن واتصال التباغض والتدابر وتمادي التقاطع والتهاجر وفي هذا على فقهائكم وصلحائكم مطعن بين ومغمز لا يرضاه مؤمن دين فهلا سعوا في اصلاح ذات البين سعي الصالحين وجدوا في ابطال أعمال المفسدين وبذلوا في تأليف الآراء المختلفة وجمع الاهواء المفترقة جهد المجتهدين ورأينا والله الموفق للصواب ان نعذر اليكم بهذا الخطاب فاذا وصل اليكم وقرئ عليكم فاقمعوا الانفس الامارة بالسوء وارغبوا في السكون والهدوء ونكبوا عن طريق البغي الذميم المشنوء واحذروا دواعي الفتن وعواقب الاحن ومايجر داء الضمائر وفساد السرائر وعمى البصائر ووخيم المصائر وأشفقوا على أديانكم وأعراضكم وثوبوا الى الصلاح في جميع أغراضكم وأخلصوا السمع والطاعة لوالي أموركم وخليفتنا في تدبيركم وسياسة جمهوركم أخينا الكريم علينا أبي اسحق ابرهيم أبقاه الله وأدام عزه بتقواه

واعلموا

واعلموا انّ يده فيكم كيدنا ومشهده كشهدنا فقفوا عند ما يحضكم عليه ويدعوكم اليه ولا تختلفوا فى أمر من الامور لديه وانقادوا أسلس انقياد لحكمه وعزمه ولا تقيموا على نهج عناد بين حدّه ورسمه والله تعالى يفىء بكم الى الحسنى وييسركم لما فيه صلاح الدين والدنيا بقدرته وله من قصيدة (طويل)

لئن راق مرأى للحسان ومسمع * فحسناؤك الغرّاء ابهى وأمتع
عروس جلاها مطلع الفكر فانثنت * اليها النجوم الزاهرات تطلع
زففت بها بكرا تضوّع طيبها * وما طيبها الا الثناء المضوّع
لها من طراز الحسن وشى مهلل * ومن صنعة الاحسان تاج مرصع

(وله فصل فى جانب الفقيه الاجل أبى الفضل بن عياض الى ابن حمدين رحمه الله) أما وكنف برّك لمن أمّك من أهل الفضل ممهد وحفص رعايتك لهم مسهد ومنزل حبائك بهم متعهد فكل وعر يلقونه فى سبيل قصدك مستسهل ولا يرويهم دونك منهل ولا يضل بهم وأنت العلم مجهل ومن رأى أن يقتحم نحوك ظهرى لجة ومحجة ويقرن فى أمّ كعبة فضلك بين عمرة وحجة ويرحل الى حضرتك المألوفة مهاجرا ويعتمدها فى طلب العلم تاجرا ليجتهد فى جمعه وكسبه اجتهاد مغترب ويملأ من بضائعه وفوائده وعاء غير سرب ومذهبه الاقتباس من أنوارك والالتباس برهة من الدهر بجوارك والاستئناس بأسرة تبشرك ومسرة جوارك فلان وله فى الفضل مذاهب يبهرج عندها الذهب وعنده من النبل ضرائب لا يفارق زندها اللهب وستقربه فتستغربه وتخبره فتكبره ان شاء الله وله مراجعا (طويل)

سلام كأنفاس الاحبة موهنا * سرت بشذاها العنبرى صبا نجد
سلام كأيماض الغزالة بالضحا * الى الروضة الغناء غب الحيا العد
على من قرانى بمجز شعره * فأعجز أدنى عفوه منتهى جهدى
غزانى من حولك اللسان بلامة * مضاعفة التأليف محكمة السرد
دلاص من النظم البديع حصينة * تردّ سنان النقد منثلم الحدّ
عليها من الاحسان والحسن رونق * كما ديس متن السيف من صدأ الغمد
وفيها على الطبع الكريم دلالة * كما افترضوا السقط عن كرم الزند
أباعامر لا زال ربعك عامرا * بوفد الثناء الحرّ والسودد الرغد
لقد سمتنى فى حومة القول خطة * لففت لها رأسى حياء من المجد

(وكتب عن أمير المسلمين الى ابن خلدين في أمر أبي الفضل بن عياض المذكور) وفلان أعزه الله بتقواه وأعانه على مانواه ممن له في العلم حظ وافر ووجه سافر وعنده دواوين أغفال لم تفتح لها على الشيوخ أقفال وقصد تلك الحضرة ليقيم أودمتونها ويعاني ومد عيونها وله الينا مات مرعية أوجبت الاشادة بذكره والاعتناء بأمره ولمعتدنا مكانة حفية تقتضي مخاطبتك بخبره وانها ملك الى قضاء وطره وأنت ان شاء الله تسدد عمله فتقرب أمله وتصل أسباب العون له ان شاء الله (وله) مراجعا الى أحد الشعراء (طويل)

أما ونسيم الروض طاب به فجر * وهبت له من كل زاهرة نشر
فصاحت له عن سره زهرة الربا * ولم تدر أن العنبر في طيه نشر
ففي كل مهب من أحاديث طيبه * تمائم لم يعلق بحاملها وزر
لقد فغمتني من شمائلك نفحة * ينافسني في طيب أنفاسها العطر
تفرع منها الشير والورد فانثنت * وقد أوهمتني ان منزلها السحر
سرى الكبر لي نفسي لها ولربما * تجافيت عن مسرى ضرائبي الكبر
وشبت بها نفسي عن الراح مطربا * تخيل لي ان ارتياحي بها سكر
أبا عامر أتصف أخالك فانه * واياك في محض الهوى الماء والخمر
أمثلك يبغي في سمائي كوكبا * وفي سبوتك الشمس المنيرة والبدر
ويلتمس الحصباء في ثغب الحصى * ومن بحرك الفياض يستخرج الدر
عجبت لمن يهوى من السفر نومة * وقد سال في أرجاء معدنه التبر

(وكتب عن أمير المسلمين الى أهل سبتة) بولاية الامير أبي زكريا يحيى ابن الامير أبي بكر أيده الله ورحم أباه كتابنا أبقاكم الله وأكرمكم بتقواه ويسركم لما يرضاه وأسبغ عليكم نعماه وقد رأينا والله بفضله يقرن بجميع آرائنا التسديد ولا يخلينا في كافة انحائنا من النظر الحميد أن نولي أبا زكريا يحيى بن أبي بكر محل ابننا الناشئ في حجرنا أعزه الله وسدده فيما قلدناه اياه من مدينتي فاس وسبتة وجميع أعمالهما على الرسم الذي تولاه غيره قبله فأنفذنا ذلك له لما توسمناه من مخايل النجابة قبله ووصيناه بما نرجو أن يحتذيه ويمتثله ويجري عليه قوله وعمله ونحن من وراء اختباره والفحص عن اخباره لا ننى بحول الله في امتحانه وتجربته والعناية بتدريبه وتدريجه والله عز وجل يحقق مخيلتنا فيه

ويوفقه

ويوفقه من سداد القول والعمل الى ما يرضيه فاذا وصل اليكم خطابنا فالتزموا له السمع والطاعة والنصح والمشايعة جهد الاستطاعة وعظموا بحسب مكانه منا قدره وامتثلوا فى كل عمل من أعمال الحق نهيه وأمره والله تعالى يمده بتوفيقه وهدايته ويعرفكم يمن ولايته بعزته (وكتب عنه) أيده الله ونصره الى أبى محمد عبد الله بن فاطمة رحمه الله * كتابنا أطال الله فى طاعته عمرك وأعز بتقواه قدرك وشد فى ما تولاه أزرك وعضد بالتوفيق والتسديد أمرك من حضرة مراكش حرسها الله وقد رأينا والله ولى التوفيق والهادى الى سواء الطريق ان نجدد عهدنا الى عمالنا عصمهم الله بالتزام أحكام الحق وايثار أسباب الرفق لما نرجوه فى ذلك من الصلاح الشامل والخير العاجل والآجل والله تعالى ييسرنا لما يرضيه من قول وعمل بمنه وأنت أعزك الله ممن يستغنى باشارة التذكرة ويكتفى بلمحة التبصرة لما تأوى اليه من السياسة والتجربة فاتخذ الحق أمامك وملك يده زمامك وأجر عليه فى القوى والضعيف أحكامك وارفع لدعوة المظلوم حجابك ولا تسد فى وجه المضطهد المهضوم بابك ووطئ للرعية حاطها الله أكنافك وأبذل لها انصافك واستعمل عليها من يرفق بها ويعدل فيها واطرح كل من يحيف عليها ويؤذيها ومن سبب عليها من عمالك زيادة أو خرق فى أمرها عادة أو غير رسما أو بدل حكما أو أخذ لنفسه منها درهما ظلما فاعزله عن عمله وعاقبه فى بدنه وألزمه رد ما أخذ متعديا الى أهله واجعله نكالا لغيره حتى لا يقدم منهم أحد على مثل فعله ان شاء الله وهو تعالى ولى تسديدك والملىء بعضدك وتأييدك لا اله غيره ولا خير الا خيره (وله عنه الى أهل غرناطة) كتابنا عصمكم الله بتقواه ويسركم لما يرضاه وجنبكم ما يسخطه ويأباه من حضرة مراكش حرسها الله يوم الجمعة التاسع عشر من شهر الصوم المعظم سنة سبع وخمسمائة وقد اتصل بنا أنكم من مطالبة فلان على أولكم وفى عنفوان عملكم وانه لا يعدم تشغيبا وتأليبا من قبلكم فالى متى تلحون فى الطلب وتجدون فى الغلب وتقرعون النبع بالغرب لقد آن لجمرتكم فى أمره ان تطفا وللنائرة بينكم ان تهدا ولذات بينكم أن تنصلح ولوجوه المراشد قبلكم ان تتضح فاذا وصل اليكم خطابنا هذا فاتركوا متابعة الهوى واسلكوا معه الطريقة المثلى ودعوا التنافس على حطام الدنيا وليقبل كل واحد منكم على ما يعنيه ولا يشتغل بما ينصبه ويعنيه ولا بد

لكل عمل من أجل ولكل ولاية من غاية ولن يسبق شئ أباه واذا أراد الله أمرا يسناه وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون وفقكم الله لما فيه صون أديانكم واعراضكم وتسديد أنحائكم وأغراضكم بمنه

(وكتب أعزه الله) مرحبا بك أيها البر الفاتح والروض النافح فما أحسن توجهك وأعطر تأرجك لقد فتحت بالمخاطبة بابا طالما كنت له هيابا ورفعت حجابا ترك قلبي وجابا ومازلت أحوم عليه شرعة فلا أسيغ منها جرعة وأغازلها أملا فلا أطيقها عملا وألاحظها أمدا أذوب دونها كمدا

وفى تعب من يحسد الشمس نورها * ويجهد أن يأتى لها بضريب

الى ان وردنى خطابك الخطير مشتملا على تظم من الكلام رائق الاعلام يقرب من الافهام ويبعد نيله فى الاوهام قد أرهفت نواحيه بالتهذيب وطرزت حواشيه بكل معنى غريب وحشيت معانيه باللفظ الرائع المهيب فازددت به تهيبا ورعبا وعاينت منه مركبا صعبا وقلت التغافل عن الجواب أولى بالصواب وان ألممت بالجفاء وقابلت الوفاء باللقاء اذ ليس بلبيب من يعاوض السيل بوشل ويناهض التشمير بفشل ويطاول الفيل بشلو منتشل ولا باريب من يقيس الشبر بالباع والمد بالصاع والجبان بالشجاع والقطوف بالوساع نحن طلب فوق طاقته افتضح ومن تعسف الخرق النازح رزح ومن سبح فى البحر كم عسى ان يسبح لاجرم أنه اقتضانى فى المراجعة صديق لنا كريم لم يلتفت الى معذرة ولا سمح بنظرة فتكلفتها بحكم عزمته تحت فادح حصر ونازح بصر فقد يكدى على علمك الخاطر ويخوى النجم الماطر وربما عاد اللسن فى بعض الاوقات لكنا والجواد كودنا وبحر القريحة غدا وحسام الذهن معضدا فان تفضلت بالاغضاء وسامحت فى الاقتضاء سلت لك فى اليد البيضاء وبرزت لشكرك فى الفضاء واجتليت منك أدام الله عزك فى معنى تعذر تلاقينا عند قرب تدانينا فصولا حسانا حسبتها برهانا ورأيت فيها السحر الحلال عيانا ولئن اعترض عائق الزمان دون ذلك الامل وقد عارضنا من أمم وصار أدنى من يدلفم فان نفوسنا بحمد الله فى المقاصد والاغراض متلاقية على موارد الاخلاص والامحاض والله تعالى يحفظ جواهرها من الاعراض ويصونها من الانتكاث والانتقاض بمنه وطوله انه على كل شئ قدير وبيده الامر والتدبير واما ما جلاه من صورة الود فى معرض

الجد فقد ثوى بين الجوانح محلا لا يسوم الدهر عقده محلا ولا زال جفني في رعيه مسهدا وقلبي لصونه ممهدا ان شاء الله وأقرأ عليك ياسيدي المعظم في خلدي سلاما شريف النصاب كريم الاحساب والسلام الاتم الاعم ما طلعت الانجم وتضوع المسك الاحم على سيدنا الاعظم ورحمة الله وبركاته

(ذو الوزارتين المشرف أبو بكر محمد بن أحمد بن رحيم أعزه الله)

رجل الشرف سوددا وعلاه وواحده اسما الاعلى الفضل واستيلاء استقل بالنقض والابرام وأوضح رسم المجاملة والاكرام فله الشفوف في المجد والحفوف الى الوفد تجتليه بساما وتنتضيه حساما ان واخاك أبرم عقد اخائه وأعفاك من زهوه وانتخائه مع أدب يزخر بحره وتتزين به لبة الزمان ونحره وسجية خلصت خلوص التبر ونفس سلمت من الخيلاء والكبر تتهاداه الدول تهادي الروض للنسيم وتفتقر اليه افتقار المصراع الى القسيم فيطلع بآفاقها طلوع الشمس وينشر سيرها الجيدة من الرمس قد أمنت غوائله وحسنت أواخره وأوائله وبنو رحيم من أعلام الشرق في القديم والحديث وعنهم يؤثر أطيب الحديث اتصلوا في الفضل اتصال الشؤبوب واتشوا كالرماح انبوبا على انبوب وقد أثبت له ما ترتشفه ريقا وتبصره في سماء الاحسان شروقا (فمن ذلك) قوله من قصيدة (بسيط)

نفديك من منزل بالنفس والذات * كم لي بمغناك من أيام لذات
نجني بك العيش والآمال دانية * أعوام وصل قطعناها كساعات
نسقي لديك اغتباقات مسلسلة * والدهر قد نام عنا باصطباحات
ياقبة الدهر لا زالت مجددة * تلك المعالم ما دامت مقيمات
حففت من قبة بيضاء حف بها * نهر تفضض يجري بين دوحات
عليك مني ريحان السلام كما * حيتك مسكة دارين بنفحات
خير البنيات لا تنفك آهلة * بمن حوت وهم خير البريات
لله يوم ضربنا للمدام بها * رواق لهو بطاسات وجامات
وللبلابل ألحان مرجعة * تجيبهن غوانينا بأصوات
وللرياحين انفاس معنبرة * مع الرياح توافينا لاوقات
وللمياه ابتسام في جداولها * كما تشق جيوب فوق لبات

حدائق أحدقتها للمنى شجر * خضر وأودية حفت بروضات
جنات أنس رعى الرحمن بهجتها * حسبت نفسي منها وسط جنات
منازل لست أهوى غيرها سقيت * حيا بهم وخصت بالتحيات

(ووصل) هو وابن وضاح صهر المرتضى وابن جمال الخلافة صاحب صقلية الى أحدى جنات مرسية فخلوا منها في قبة فوق جدول مطرد وتحت أدواح طيرها غرد وأقاموا يتعاطون رحيقهم ويعمرون بالمؤانسة طريقهم اذا بالجنان وقف عليهم وقال كان بموضعكم هذا بالامس صاحب الموضع ومعه شعور منشورة وخدود غير مستورة قد رفعت عنها البراقع ومامنها ناظرة الا وهي سهم واقع فاستدعى فحما وكتب في احدى زوايا القبة (خفيف)

قد نادونا اليك فجئنا * بنفوس تفديك من كل بوس
فنزلنا منازلا لبدور * وحللنا مطالعا لشموس

(وله) يهنى الوزير المشرف أبا الحسن أخاه بمولود وكان أكرم من الغمام وأوقر من شمام وأصول من ليث بخفان وأغزل من ظبي بعسفان فطوى منه الحمام أوحدا أحله من الجوانح ملحدا (كامل)

خلصت اليك مع الاصيل الانور * أمنية مثل الصباح المسفر
غراء الا أنها من خاطري * بمكان أسود ناظري من محجري
أرجت شذا أرجاؤها فكانها * قد ضمخت بالضائخ من عنبر
أهدت الى مع النسيم تحية * فتقت نوافجها بمسك اذفر
فأتت كازارتك عاطرة اللمى * بيضاء صبغت جوهرا في جوهر
هيفاء رود ذات خصر صائم * ومعاطف لدن وردف مفطر
هزت جوانب همتي فكانما * عجبا بها انا تبع في حمير
ياحسن موقع ذلك الامل الذي * تزرى حلاوته بطعم السكر
نظم السرور كما نظمت لآلئا * بيد الصبابة في مقلد معصر
ورد الكتاب به فرحت كانني * نشوان راح في ثياب تبختر
لما فضضت ختامه فتبلجت * بيض الاماني من سواد الاسطر
قبلت من فرح به خد الثرى * شكرا ولا حظ لمن لم يشكر

ياموردا الخبر الشهي وحادي الامل القصي وهادي النبا السري

زدنى من الخبر الذى أوردته * يابرد ذاك على فؤاد الخبر
صفحا وعفوا للزمان فانه * ضحكت اسرة وجهه المتسمر
طلع البشير بنجم سعد لاح من * أفق العلا وبشبل ليث مخدر
فلله درك أى فرع سيادة * أعطيته وقضيب د وحة مثمر
طابت أرومته وأينع فرعه * والفرع يعرف فيه طيب العنصر
أنت الجدير بكل فضل نلته * وحويته وبكل مكرمة حرى
تهنا رحيما انها قد انجبت * برحيم المحمود أسنى مدخر
نامت عيون الدهر عن جنباته * وجت مناهله متون الضمر
وصفا له ولاخوة يتلونه * ماء الحياة لديك غير مكدر
فلانت بدر السعد وهو هلاله * ولانت سيف المجد وهو السمهرى
أفدى البشير بمهجتى وبتالدى * وبطارفى وعذرت ان لم يعذر
بابى أبوه أخى كبيرى والذى * أسدى الى مواهبا لم تصغر
ذاك الذى علقت بعلق نفاسة * منه العلا وكانه لم يشعر
مصباح من هامت به ظلماؤه * ومنار هدى السادر المتحير
بدر ولكن ان تطلع كامل * ليث ولكن عند عزمته جرى
ندب تدل على علاه خلاله * كالسيف يدرى فضله فى الجوهر
سيف تحلى بالعلاء رياسة * وصفت جواهره لطيب المكسر
لو كانت العلياء شخصا ماثلا * لرأيته منها مكان المغفر
وكذا رحيم من نمته فانه * حاز السيادة أكبرا عن أكبر
نحن الرحيميون ان ذكر الندى * نذكر وان ذكر الخنى لم نذكر
ان أخبروك أو اختبرت علاءهم * انساك فضل الخبر طيب المخبر
قسموا الثناء مع البرية والسنا * يوما ففازوا بالقداح الايسر
شرف سقاه الفضل وسمى العلا * فتضوع أزهار الثناء الاعطر
شادا تنا سادات كل معاشر * ان خلصوا ولانت سيد معشرى
فاذا تلاحظت المكارم من فتى * مضر أشار اليك أهل المحضر
واذا جروا يوم المكر سبقتهم * وأتوا القسمة مغنم لم تحضر
واذا دهى خطب وأظلم ليله * جليت ظلمته بفضل تدبر

وإذا وهبت فأنت أكرم واهب * وإذا نطقت فأنت أصدق مخبر
اياك يعني من غدا متناشدا * بيتا رووه على مرور الاعصر
وإذا تباع كريمة أو تشترى * فسواك بائعها وأنت المشترى
كم من يد عندي له أعلت يدي * ان حصلت أو عددت لم تحصر
هو مفخري يوم الجدال ومنصلي * يوم النزال ورايتي في العسكر
من أين لي شكر يقاوم بعض ما * قسرته وكثيره لم أذكر
فلا ستعين عليه في شكري له * بالاوحد القاضي الاجل الاكبر
قاضي القضاة وماجد الامجاد والسحبر المعظم والامام الاشهر
ملك الملوك ونخبة الاملاك من * كلب وكل متوج في حمير
السامي النسبين ان ذكر العلا * والمحرز الشرفين يوم المفخر
من ذروة المجد الذي حل السها * وجرى بسعد عطارد والمشترى
لولاه ما طلعت أهلة سودد * فينا ولو طلعت لنا لم تقمر
من لم يرد علياه لم يرد العلا * من لم يلذ بحريمه لم ينصر
طرزت ديباج القصيد بذكره * فأتى كما راقتك حلة عبقري
ونشرت بعض خلاله فكأنني * بالمسك قد أذكيت عود المجمر
هو مفخر الاشعار ان ذكرت به * فاذا خلت من ذكره لم تذكر
وغدت كأجسام مضت أرواحها * فخيالها منسية لم تقبر
يا باعثا جذلي المد ومنجدي * أبدا على صرف الزمان ومظهري
من بعد ما قضيت حق أبي أمية ذي المعالي والسناء الابهر
هنأت نفسي ثم جئت مهنئا * أنا حاضر معكم وان لم أحضر
أنا ذاك شيمتي الوفاء وانني * لا بالملول ولست بالمتغير
واذا تنكرت الاحبة فالرضا * مني الجزاء ولست بالمتنكر
اني لاصبر عند كل عظيمة * واذا ظلمت مجاهرا لم أصبر
ودي هو الود الذي يتأى به * أولي تجرب ثم بعد تخير
مهما تقسني بالرجال وجدتهم * مثل الحصا ووجدتني كالجوهر
والبكها مثل العروس زففتها * سكرى تجرذ يولها بتبختر
عذراء الا انني حلتها * عذر التأخر ليت لم أتأخر

وركبت اصناف الرجال مسارعا * وشققت كل تنوفة لم تعمر
مستهديا عطف التجاوز والرضا * مستنقذا عرف الكئيب الاعفر
فابسط بفضلك عذر وافدة العلا * وابسط لها وجه الكريم الموسر
واسمع لها لا تنتقدها انها * مع مفرط الاعجال قول مقصر
لولا تجاوزك الكريم لاصبحت * نهب المزيف عرضة المستقصر
لازلت تبقى للمحامد جامعا * مع أحمد فى ظل عيش أخضر
والسعد ينشر فوق رأسك راية * تبقى مع العليا بقاء الادهر

(وكتب اليه) الوزير الفقيه الكاتب أبو بكر الطائى معاتبا له على تركه الزيارة قطعة أولها (طويل)

الاهل أمر الدهر مثل أبى بكر * بفكر فانى لست ينفك عن فكرى

فراجعه عنها بقوله (طويل)

سلام كما حيتك عاطرة النشر * والا كما هب النسيم مع الفجر
وود كما سلسلت صافية الطلا * وعهد كما راقت خدود من الزهر
وذكر كما غنت حمامة أيكة * وشوق كما حن الحمام الى الوكر
وحن الى ذاك الجمال كما أتى * حبيب بلا وعد ووصل على هجر
تحية من يفديك من كل حادث * وقيت الردى بالنفس والاهل والوفر
وقد روض من جنابك زارنى * لفقت له رأسى حياء أبا بكر
هو السحر بل أخفى من السحر رقة * وأسرى الى الاكباد من نطف الخمر
نسيت يدى مهما نسيتك معرضا * وأخمل ذكرى ان أزحتك عن ذكرى
ولا ذكرتنى ألسن الحمد ما اتقى * لسانى عن حمد لا قوالك الغر
ولكن صدتنى عنك لا مثلاهنا * عواد عدت من عادة الزمن النكر
فحسن ولا تعتب بنا الظن والتمس * وعندى لك العتبى لنا أحسن العذر
أمثلى يرى عن ذلك السرو ساليا * سلوت اذا عن كل مكرمة بكر
ولو لم تكن بينى وبينك اسرة * لهمت بذاك الفضل والعلم والشعر
ولكنها قربى تعلق بالحشى * لدى لها الاخلاص فى السر والجهر
وحب مع الايام يزداد جدة * تمكن ما بين الجوانح والصدر
ولم لا وقد أسلفت كل بديعة * من الفضل قد خطت على صفحة البدر

سقيت الملا ماء المكارم والندى * وأطلعت فى روض العلا أينع الزهر
وقلدت جيد الدهر سلك محاسن * وصغت سوار المجد فى معصم الدهر
وألبستنيها من ثنائك حلة * مطرزة العطفين بالنظم والنثر
نثرت على القول درا كأنه * سقيط رذاذ الغيث فى الورق النضر
وكم لك عندى من يد ألمعية * يقل لها بذل البقية من عمرى
ومن مدح ضمنتها كل مفخر * حبيبة الانفاس مسكية النشر
تسير بها الركبان فى كل غارب * من الارض سيرا مثل سير القطا الكدر
بانشادها تحدو الحداة ويهتدى * بها كل من قد هام فى المهمه القفر
وهل أنت الادوحة المجد أثمرت * لنا فاجتنينا يانعا ثمر الفخر
نمالك الى العليا جهابذ سادة * نمتهم ذووا التيجان فى سالف الدهر
ومن يك من قحطان فهو ممجد * فقحطان ذو التاج المكلل بالدر
وكم لك من جد رفيع متوج * بتاجين من در وآخر من تبر
نخاتمكم رب المكارم والعلا * وحميدا كما قد قيل عن بيضة العقر
وميسرة حاز البسيطة بالقنا * وباليمنيات المهندة البتر
وثار على ملك الامين قائما * بملك بنى العباس ناهيك من فخر
بآرائه البيض ارتقى درج العلا * وخل ذرا العليا براياته الخضر
وفى يمن أضحى الفخار فانها * حمت أحمد المختار بالبيض والسمر
ولولم يكن للعمريين غيرما * أتتنا به الآثار عن ملتقى بدر
ويوم حنين اذ دعاهم محمد * نبى الهدى فاستؤصلت شأفة الكفر
فلا عزة مالم تكن حميرية * ولا همة الا الى معتلى القدر
وان كانت الدنيا ارتك تجهما * فمن عادة الدنيا مطالبة الحر
وان قعدت بعض القعود فبادرت * بأنك حقا واحد الدهر والعصر
وقد علمت قوم بأنك تاجها * ولو أنها حلت ذرا الانجم الزهر
فتعسا لايام تحط ذوى العلا * وتعلى حطيط النفس والقدر والفخر
فدونكها كالروض سافرة الحيا * وحياه غب المحل منسجم القطر
مقنعة خوف انتقاد لك خجلة * كما أقبلت عذراء فى حلل خضر
على أنى ادرى بانى مقصر * ولكننى أرسلتها بيدى عذر

فكنت

فكنت كمن يهدى الى الماء نغبة * ويقصد أرض الهاشميين بالتمر
ولا بدّ من وصل الزيارة قائما * بحق العلا منى على قدم البرّ

(وغنى) له فى بعض أيام الانس شعر له لوطة بالنفس وهو (طويل)

خليلىّ سيرا واربعا بالمناهل * وردا تحيات الخليط المزايل
فان سأل الاحباب عنى تشوّقا * فقولا تركناه رهين البلابل

(فكان) به من استحسنهما ورغب اليه فى ان يذيلهما فقال (طويل)

وان يتناسونى لعذر فذكرا * بأمرى ولا تدرى بذاك عواذلى
لعلّ الصبا تأتى فتحيى بنفحة * فؤادى من تلقاء من هو قاتلى
فياليت أعناق الرياح تقلنى * وتنزلنى ما بين تلك المنازل

(وفى بعض) الليالى غنى له هذا الشعر (وافر مجزوء)

بدا فكأنه قمر * على ازراره طلعا
يفتّ المسك من يقق السجين بنانه ولعا
وقد خلعت عليه الرا * ح من أثوابها خلعا

(وحضر بها) من استحسن الشعر والاعمال فرغب اليه فى تذييلها فقال (وافر مجزوء)

فاهدى من محاسنه * الى أبصارنا بدعا
فلما فتّ أكبدنا * وحاز قلوبنا رجعا
ففاضت أعين أسفا * وفاضت أنفس جزعا

(وكانت بينه) وبين ذى الوزارتين أبى الحسن جعفر بن الحاج صداقة سافرة الصفاء عاطرة الارجاء فخاطبه بشعر يروق سمعه ويعلق بالنفس وضعه وهو (طويل)

سلام كما نمت بروض ازاهر * وذكر كما نامت عيون سواهر
تحية من شطت به عنك داره * وأنت له قلب وسمع وناظر
فيا سيد السادات غير مدافع * ويا واحد الدنيا ولا من يفاخر
لك الشرف الاسمى الذى لاح وجهه * كما لاح وجه الصبح والصبح سافر
لئن شهرت فى المعلوات أوائل * لقد شرفت بالمأثرات أواخر
سجايا استوت منهنّ فيك بواطن * أقامت عليهنّ الدليل ظواهر
أبا حسن شكرى لبرّك حافل * وذكرى وان لم أقض حقك عاطر
حرمت ندى تلك الظلال فاحرقت * فؤادى سموم للنوى وهواجر

واني على فقد الصديق لجازع * على أن قلبي للحوادث صابر
حنانيك أغييت العلاء بجنته * أذكر معهدي فهل أنت ذاكر
فان كنت قد أخللت فالفضل باهر * وان كنت قد قصرت فالمجد عاذر
اما أنه لولا خلال تقتك الرضا * لما كان لي عذر ولا قام ناصر
فمد يد الصفح الجميل فانني * على كل ما توْلي وأوليت شاكر

(وجرت) بينه وبين الاجل الفقيه القاضي أبي أمية ابراهيم بن عصام مدة قضائه بمرسية معاتبات واشعار ومراسلات أدخلت منها ما أسفرت له أوجه الاستحسان وقامت على طبعه شواهد الاحسان فمنها قوله من قطعة أولها (بسيط)

هي السيادة حلت منزل القمر * وأنت منها سوادا القلب والبصر
وهي الجلالة لا تدري لها صفة * لكنها عبرة جاءت من العبر
أما المعالي فقد حطت رواحلها * لديك والخبر يغنيني عن الخبر

ومنها (بسيط)

طرزت ثوب المعالي بعد ما درست * رسومه فاتانا معلم الطرر
رقت فراقت سناء للعلى شيم * كانها قطعت من رقة السحر
وضاع عرف ثناء ذاع ريقه * كما انشقت نسيم العنبر الذفر
لولاك ما انساب ماء المكرمات ندى * عندي ولا اسفرت لي أوجه البشر
كم من يد لك في أجيادنا كتبت * والله يعلها في صفحة القمر
لا تنثني ابدا تثني عليك بها * كأنما هي آيات من السور
يفديك كل من الاسوا سوى نفر * عمت بغيهم لا كان من نفر
يخفون ضد الذي يبدون من ملق * فلا تثقهم وكن منهم على حذر
ان الحجارة تلقى وهي خامدة * حتى اذا قدحت جاءتك بالشرر

(وله أيضا) من قطعة ذهب أولها ولم يثبت الا تغزلها (خفيف)

خص يا غيث مربع الاحباب * وتعاهد بالعهد عهد التصابي
ولتسلم على معرس سلمى * ولتصل بالرباب دار الرباب
هي روضات كل انس وطيب * ومغان سكانها أصل ما بي
فكساها العلاء ثوب بهاء * وسقاها الجمال ماء الشباب
ثم طارت ألبابنا فبقينا * بين أهل الهوى بلا ألباب

واصبحت

وأصيبت بها القلوب فصارت * لشقائي مآلف الاوصاب
أمرضتني مرضى صحاح ولكن عذابي بين الثنايا العذاب
أقسم الشوق أن يقسم قلبي * بين قوم لم يسألوا عن مصابي
فرقة آثرت صدودي وأخرى * أخذت جذ سيرها في الذهاب
أي وجد أشكو وقد صار قلبي * رهن أيدي الصدود والاغتراب
بعت حظي من الوفاء متى ما * لم أمت حسرة على الاحباب
ولئن همت بالجمال فاني * أبدا عفت موضع الارتياب
ردعتني عن القبائح نفس * خلقت من محاسن الآداب

(وكتب اليه أبو العباس أحمد بن حمدوس القرباني) شاكرا زيارته له وناشرا لفضل صداقته معه (خفيف)

يا سريا تختال منه الوزاره * في الحلى تارة وفي الحلي تاره
بك تزدان خطة حلت منـ * ـك على شخصها بهاء وشاره
ظهرت فيك للجلال خلال * وعلى الندب للسناء أماره
يا أبا بكر الوحيد بعصر * لم يزل جاعلا عليك مداره
زرتنا بالفضل والفضائل تقضي * أن نوالي الى ذراك الزياره
دمت يا نخبة الكرام عزيزا * ما تلا الليل في الزمان نهاره

فراجعه (خفيف)

يا زكيا غدا يشيد فخاره * مرشد اللعلا يشد ازاره
وحساما براحة المجد عضبا * شحذت راحة الذكاء شفاره
ناشر الفضل منك روض وفاء * هصرت لي يد العلا أزهاره
وهمت ديمة الصفاء فروت * مربع الود بيننا وعماره
يا سنا مقلة الزمان أبا العباس يا حلي جيده يا فخاره
فاذا قيل من فتى الفضل يوما * وأشاروا فانت معنى الاشاره
زارني من سماء فكرك روض * مثل ما واصل الحبيب الزيارة
مهرق جاء في شباب عروس * أصبح المجد تاجه وسواره
أي شكر لم آته بر يكافي * حق حر سناؤه قد أناره
ومن الغي أن أراجع بالشعر فتى لا أشق فيه غباره
غير أني وثقت لاغضائه ندب * عبر الدهر عنه أي عبارة

ولهُ (كامل)

خطت بنان الشوق بين جوانحي * مرآلك فالتهبت من الوجد
وتحدثت نفسي بزورتك التي * قطعت بلاشك من الخلد
فتعللت بالوهم وانتعشت * سراحشاشتها على البعد

ولهُ (كامل)

يابغيتي قلبي لديك رهينة * فلتحفظيه فرب ماقد ضاعا
أوقدته وتركته متضرما * بأوار حبك يستطير شعاعا
لا تسلبيه فانه نزعت به * تلك الخلال الى هواك نزاعا
حاشي لمثلك أن يضيع ضراعتي * ولمثل حبي ان يكون مضاعا
اني لاقنع من وصالك بالمنى * ومن الحديث بان يكون سماعا

(ولهُ) في الامير الاجل أبي اسحق ابرهيم بن يوسف بن تاشفين في شعبان سنة خمس عشرة وخمسمائة (وافر)

سقى الله الحمى صوب الوليّ * وحيا بالاراكة كل حيّ
وان ذكر العقيق فباكرته * سحائب معقبات بالروي
تروض مسقط العلمين سكبا * وتلبسه جنى الزهر الجنيّ
ولا بليت لمرسمة برود * مطرزة باشتات الحليّ
ذكرت معاهدا أقوت وكانت * أواهل بالقريب وبالقصيّ
أقول وقد غدوت حليف شجو * أعلل لوعة القلب الشجيّ
لأصرف عفة كفي ولحظي * عن اللحظ العليل النرجسيّ
وأخزن منطقي عن كل هجو * وأهجر كل ملسان بذيّ
ولما أن رأيت الدهر يدني * دنيا ثم يسطو بالسنيّ
وجدت به على الايام غيظا * كما وجد اليتيم على الوصيّ
طلبت فما سقطت على خبير * يخبر عن ودود أو صفيّ
كما أني بحثت على كريم * فما ألفيت ذا خلق رضيّ
ولولا واحد لسددت عيني * فلم تفتح على شخص سريّ
هو الملك المعظم من ملوك * ينير بها سنا الافق السنيّ
له همم تعالى كل حين * يفوت بها ذرى النجم العليّ

وحسن خلائق رقت فجاءت * كما هبّ النسيم مع العشيّ
مصون العرض مبذول العطايا * ندى التُرب مبرور الندىّ
جواد جوده ان سيل سيلٍ * ويأتى عرفه مثل الاتىّ
يمد الى العفاة يمين يمن * تلين قسوة الدهر الابىّ
تحلى ملكه بحلى نهاه * كما ازدان المقلد بالحلىّ
تدار عليه أكواس المعالى * فتأخذ من هزبر أريحىّ
يطارد بالضحى خيل الاعادى * ويأوى كل وفد بالعشىّ
لابراهيم عند الله سرّ * يدقّ علا على النظر الخفىّ
يرى غيب الامور اذا ادلهمت * بعين الرأى والفكر البدىّ
ويوضح كل مشكلة فيرمى * بها فيصيب شاكلة الرمىّ
درت صنهاجة ولها علاها * بانّ علاه مفتخر الندىّ
وتعلم انه السيف المحلى * لدفع الخطب أوقرع الكمىّ
وكم من سيد فيهم ولكن * أتى الوادى فطمّ على القرىّ
أبا ليث الحروب ومن تردّى * رداء الفضل والخلق الرضىّ
لقد أصبحت روح العدل حقا * وأسود مقلة الملك الحنىّ
سوالك يرجع من وخد المطىّ * ويقصر عن مدى الامل القصىّ
وأنت تصادم العلياء لما * غدت مرقى لكل فتى علىّ
تصادر كل معضلة نؤد * متى هجمت بصدر السمهرىّ
وتكشف كل غماء بهدى * حكى هدى النبىّ الهاشمى
أبا اسحق يا ابن أمير ملك * يقصر عنه ملك التبعىّ
ليوسف مفخر يروى ويتلى * كما يتلى الحديث عن النبىّ
ركبت مناهج التقوى ففاقت * أمورك كل أمر معتلىّ
وسرت بسيرة العمرين عدلا * ولم تقعد مضاء عن علىّ
ابا ملك الملوك ادىّ قول * فوطىّ لى على كنف وطىّ
وحسن فضل أخلاق كرام * اذا حييت فعن مسك ذكىّ
لك الفضل الذى أوليتنيه * فأشكره ولى حق الولىّ
وأمرى مظلم بالشرق حتى * تبلجه لدى المولى العلىّ

وهذا وقت خدمة كل آمر * فسبب بي الى السبب الحظي
ومهما دار قول نعقته * رجال لا تضاف الى سري
فلا تسمع لمشاء بسنم * ودع أقوال هما زغوي
دعي في الصفاء وليس يعطي * بقدر الحب والود الخفي
وليت قلوبنا شقت فتدري * بما فضل الخؤن من الوفي
ويهني المجد غزو نلت فيه * جسيم الاجر بالسعي الزكي
كلامي قاده ودي فأهدى * اليك قصيدة مثل الهدي
فخذها كالعروس تفوت طبعا * ويا ويل الشجي من الخلي

(وله) فيه من قصيدة وجه بها اليه في عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمائة (بسيط)

لدى سرالك لعدوا الجرد تصميم * وفي عدالك لبيض الهند تحطيم
وللمكارم لا زالت مخيمة * بساحة الدولة العلياء تخييم
نوى بربعك مل الارض منتظما * من الماآثر منثور ومنظوم
آيات عدلك تتلى وهي معتبر * سر لكم في ضمير الدهر مكتوم
لله فيك حديث سوف يوضحه * وللمعالي على علياك تحويم

(ومنها)

تدبير ملكك بالتأييد مفتتح * مالم يكن هكذا املك مذموم
قسطت عدلك بين الناس فاعتدلوا * وللممالك تقسيط وتقسيم
لله فضلك ما يلقاك مكتئب * الا انثنى وهو مسرور ومعصوم
قضى الاله وجود منك يغمرنا * بان مالك بين الخلق مقسوم
لما سريت الى حص وقد ظمئت * اسرى اليها سحاب منك مركوم
ووافت الريح تستسقي الغمام بها * مهما تهب فللانواء تغييم
كانما المحل والانواء تكنفه * جيشان ذا هازم يلقى ومهزوم
لما اكتسى الدهر وشيا من ازاهره * ومبرم المحل منبت ومفصوم
عاد الزمان ربيعا عند ما طلعت * مني لها في سماء الفضل تعظيم
رق النسيم ورقت كل غادية * فالافق طلق وبرد الارض مرقوم

(ومنها)

قيدتني بأياديك طائلة * شتى فمنهن مجهول ومعلوم
كم منة لك عندي لا ينوء بها * شكري على انه بالمسك مختوم

من

من لى بذالك ولو وافتك تجدنى * السبعة الشهب والسبع الاقاليم

(ومنها)

يخفى منك اعلاء وتكرمة * برجطقة الجوزاء محزوم
من حق من هجر الاوطان من سعة * وقاده نحوكم حب وتتيم
ان يعتلى ويرى فى النجم منزله * يخصه منك تكريم وتنعيم

(ومنها)

بينى وبين النوى دخل فان صدعت * شملى فعندى تفويض وتسليم
وان تكن نازحت سلكى نوى قذف * فان منك رجائى فسلك منظوم
سقيا لعهد خليط لست اذكره * الا سننت سكما قد حنت الهيم
مهما تنسمت من تلقائه نفسا * شوقا فعندى من عينى تسنيم
فالنفس من بعده بجوله صفة * ميم فواو وجيم بعدها جيم
عسى الليالى بسعد الملك تنظمنا * ان انصف الدهر والانصاف معدوم

(الوزير الكاتب أبو محمد بن القاسم رحمه الله)

رجل زهت به السياسة والتدبير وجبل دونه يلملم وثبير ووقار لا يستفزه ولو دارت عليه العقار اذا كتب باهت البدر رقعته وقرطست أفئدة المعانى نزعته وضعته الدولة فى مغربها وأطلعته فى مشرقها فأظهر جمالها وعطر صباها وشمالها فسهل لراجيها حزنها وصاب بأحسن السير مزنها وانضح بشرها ونفح بعرف الامانى نشرها وجادت يده بالحبا وعادت به أيام الفضل بن يحيى الا أن الايام اتقته فما أبقته وخشيه مكرها فغشيه نكرها فتخلت عنه الدولة تخلى العقد عن عنق الحسناء وأعرضت عنه اعراض النسيم عن الروضة الغناء وانها العالمة بسنائه هائمة بغنائه ولكن الزمان لا يريد شفوفا ولا يرى أن يكون بالفضائل محفوفا ويقيم مقام درياق سفوفا وهو اليوم قد انقبض عن أنواع الناس وأجناسهم واستوحش من ايناسهم وأنس بنتائج أفكاره وهام بعيون العلم وابكاره وكلف بفنونه وتصرف من سهوله الى حزونه ونبذ الدنيا نبذ النواة وانتبذ من ملابسة الغواة وصرف وجهه تجاه البر والتقوى وترك ربع الحظوة عافيا قد أقوى وعلم ان الله به حفى وانه له صفى حين أعلقه بأسبابه وصرفه عن باب الملك الى بابه وقد أثبت من نثره المنتخب ونظمه المستحلى المستعذب

ماتعاطيه مدامة ولا يدانيه قدامة (فمن ذلك) ما راجعني به عن رقعة كتبتها اليه
مودعا ووصفت فيها النجوم عذيري من ساحر بيان وناثر جمان ومظاهر ابداع
واحسان ما كفاه أن اعتام الجواهر اعتياما وجلاها في أبهج مطالعها نثرا
ونظاما حتى حشر الكواكب والافلاك وجندها نحوي كتائب من هنا وهنالك
وقدما حمل لواء النباهة وأعجز أدواء البداهة فكيف بمن كل حتى عن الروية
ورفض الخطابة رفضا غير ذي مثنوية وليس الغمر كالنزر ورويدك أبا النصر
فما سمعت قصا التفتح علينا أبواب المعجزات ولا مليت سروا لترتقي علينا الى الانجم
الزاهرات فتأتي بها قبيلا وتريد منا أن نسومها كما سمعت قودا وتذليلا وانى
لنا أن نساجل احتكاما أو نباسل اقداما من أقدم حتى على القمرين وتحكم
حتى في انتقال الفرقدين وقص قوادم النسرين ثم ورد المجرة وقد تسلسلت
غدرانها وتفتح في جاماتها اقحوانها وهنالك اعتقد التخييم واحمد المراد الكريم
حتى اذا رفع قبابه ومد كما أحب أطنابه سئم الدهناء وصمم المضاء فاقتصم
على العذراء رواقها وفصم عن الجوزاء نطاقها وتغلغل في تلك الارجاء
واستباح ما شاء أن يستبيحه من نجوم السماء ثم ما أقنعه أن بهرها دلاله حتى
ذعرها بجياد أقواله وغمرها باطراد سلساله فلهم خيل وسيل لاجلهما شمر عن
سوق التوأمين ذيل وتعلق برجل السفينة سهيل هنالك سلم المسالم وأسلم
المعارض والمقاوم فما الاسد وان لبس الزبرة يلبا واتخذ الهلال مخلبا وانما
انتهض تحت صبا أعنته وقبض على شبا أسنته وما الشجاع وان هال مقتصما
وفغر على الدواهي فما وقد أطرق عما رآه وما وجد مساغا ناباه وما الرامي وقد
أقعس عن مرامه ووجئت لبته بسهامه أو السماك وقد قطر دفينا وغودر
بذابله طعينا وما الفوارس وقد تجللت سربتها عجاجة ومسخت حليتها زجاجة
ولذلك قطب زحل واضطرب المريخ في نار وجده واشتعل ووجل المشتري
فامتقع لونه وضياؤه وشعشع بالصفرة بياضه ولألاؤه وتاهت الزهرة بين دل
الجمال وذل الاستبسال فلذلك ما تتقدم تارة وتتأخر وتغيب ونة ثم تظهر
وأما عطارد فلاذ بكاسه ورد بضاعته في أكياسه وتحجبت الشمس بالغمام
واعتصم بعفره قمر التمام هذه حال النجوم معك فكيف بمن يتعاطى أن يشرع
في قول مشرعك أو يطلع في ثنية فضل مطلعك وقد أدنى وشك اقتضائك

واقتضابك

واقتضابك وبعد من اغضابك فاعتمدت على اغضائك . فخذ السماح من
عفوى وتجاوز عن مقتى وصفوى ثم متعنى بفكرى فقد رجع قليلا ودع لى
ذهنى عسى أن يتودع قليلا وأنى وقد أضله من بشك الشغل الشاغل وودعه
من قربك الظل الزائل ولا أنس بعدك الا فى تخيل معاهدك وتذكر مصادرك
النبيلة ومواردك فسر فى أمن السلامة محافظا وتوجه فى ضمن الكرامة
مشاهدا بالاوهام ملاحظا رعاك الله فى حلك ومرتحلك وقدمت على السنى
من مقتنالك والمرضى من أملك بمن الله وفضله وأقرأ عليك سلاما يلتزمك
فى مقامك وسفرك ويصحبك سرى امامك وتاويا على أثرك ورحمة الله وبركته
(ولما اشتهرت) المخاطبتيو الجواب وبهر الابداع منهما والاغراب وتهاداها كل
ذكى وتعاطاها ونوسد خذ نباهته أبردى أرطاها كتب اليه الاجل الفقيه
الحافظ أبو الفضل بن عياض فى ذلك قد وقفت أعزكما الله على بدائعكما الغريبة
ومنازعكما البعيدة القريبة ورأيت ترقيكما من الزهر الى الزهر وتنقلكما الى
الدرارى بعد الدر فأبحتما حمى النجوم وقذفتماها من ثواقب أفهامكما بالرجوم
وتركتماها بعد الطلاقة ذات وجوم فالتماسيطها غارة شعواء لها ماعوت
أكلب العواء هنالك افترست الفوارس ولم تغن عن السماك الداعس وغودرت
النثرة نثارا وأغشى لألأوها نقعا مثارا كان لكما قبلها ثارا وأشعرت
الشعريان ذعرا قطعت له احداهما أواصر الاخرى فأخذت بالحزم منها الغبور
وبدرت خيلكما وسيلكما بالعبور وحذرت اللحاق عن ان تعوق عن منجى العيوق
تخلفت أختها تندب عهد الوفاء وتجهد جهدها فى الاختفاء وكان الثريا حين
ترتم بقطينها اتقتكم بيمينها فجذذتم بنانها وبذلتم للخضيب امانها فعلدها
استسهل سهيل الفرار فأبعد بمنه القرار وولى الدبران اثره مدبرا وذكر البعاد
فوقف متصبرا وعادت العوائد بنشامها وألقت الجوزاء للأمانة بنطاقها
وتطامها فهلا أعزكما الله سكنا الدهماء فقد ذعرتما حتى نجوم السماء فغادرتماها
بين برق وفرق وغرق أو حرق فترفقا فى مجدكما قليلا واجعلا بعدكما للناس
الى البيان سبيلا فقد أخذتما بآفاق المعالى والبدائع لكما قراها والنجوم
الطوالع (فكتب اليه مراجعا لهما) بمثل نباهتك سارت الاخبار وفيك وفى
بداهتك اعتبار لقد نلت فيها كل طائل وقلت فلم تترك مقالا لقائل وعززت بثالث

هو الجميع وبرزت فأين من شأولك الصاحب والبديع جلاء تبيان فى خفاء
معان هذا أثبت السهى جلالا وأشاد فيه لذوى النهى أمثالا وذلك رفع
للاقمار لواء وألقى على شمس النهار بهجة وضياء أقسم بسبقك ومقدم حقك
لئن أفحمت بما نطقت لقد أفهمت عن أى صبوح رققت ومهما أبهمت تفسيرا
فدونك منه شيأ يسيرا لما اعتمدنا نحن ذلك المظهر فما أبعدنا هنالك الاثر بل
اقتصدنا فى الاصعاد وقدنا من تلك النيرات كل سلس القياد حتى اذا اشمأز
طلقها فعز أبلقها وصحنا مواردها فاقتصنا ما آردها وثنينا عنان الكريمة
وارتضينا اليك بعض الغنيمة هبت أنت هبوب زيد الفوارس وقربت تقريب
الاسد المداعس تومض فى وجوم وتعتصر النجوم فاستخرجتها من أيدينا
وأزعجتها عن نواحينا ثم صيرت اليك شملها وكنت أحق بها وأهلها ومن هنالك
وصلت سرالك فصحت الفيالق وفتحت المغالق وتسنمت تلك الحصون وأقسمت
لتخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون فأذعن لشرو طك الشرطان وازدحمت
بالبطين حلقتا البطان وثار بالثريا ثبور وعصفت بالدبران دبور وهكذا
استعرضت المنازل واستهضم جميعها الخطب النازل ثم تيامنت نحو الجنوب
فواها للمعاصم والجنوب (بسيط)

لم يبق غير طريد غير منفلت * وموثق فى حبال القد مسلوب

استخرجت السفينة من لججها وجالت الناطحة بهودجها وغودرت العقرب
يخفق فؤادها وذعرت النعائم فخاب اصدارها وايرادها ولما مسحت تلك
الآفاق فاثخنت فيها وشددت الوثاق وعطفت الشمال واتبعت أسباب
الشمال فلا مطلع الا ألقى اليك باليمين واستدارت حوله الفكة فسميت قصعة
المساكين وانتهيت الى القطب فكان عليه المدار وتبوأته فقيه من جلالتك
اقتدار ثم أزحت صعادلك وأرحت ممسك الاعنة جيادلك ونعمت بدار مثك
محلالك ثم مانمت عن ذى اكبارك واجلالك تتيمه بسحر الكلام وتجشمه
أن يستقل استقلالك بالاعلام واذ لا يتعاطى مضمارك ولا يشق غبارك
فدونك ما قبلى من بضاعة مزجاة والبك منى معطى طاعة وطالب نجاة ان شاء
الله عز وجل (وكتب) الى الوزير الكاتب أبى بكر بن عبد العزيز مجاوبا عن كتاب
خاطبه به مسليا عن نكبته (متقارب)

ولو

ولو لم أفل شباة الخطوب * بجدّ كحدّ ظبى الصارم
ولم ألق من جندها ما لقيت * بصبر لا يطا لها هازم
ولم أعتبر حادثات الزمان * بخبر خبير بها عالم
لكان خطابك لى ذكرة * تنبه من سنة النائم
وورد أرد صعاب الامور * على عقب الصاغر الراغم

فكيف وقد قرعت النائبات اصغارا ولقيت هبوبها اعصارا ولم أستعن فى شئ منها بمخلوق ولا فوضت فى جميعها الا لاعدل فاتح وأحفظ موثوق أسأله أن يجعلها كفارة للسيئات وطهارة من درن الخطيئات بمنه وكرمه وان خطاب السيد وصل غب ما تجافى ومطل فكان الحبيب المقبل حقه أن يستمال ويستنزل ولا عتب عليه فيما فعل وقد علمت انه أبطار هم متصلة فما أخطأ حفاظا بظهر الغيب وصلة واغا نهنه عن مقتضى نظره لينبه بفحوى تأخره على ان العوائد أحمد من البادئات والفوائد فى النتائج لا فى المقدمات كما ختم الطعام بالحلواء بل كما نسخ الظلام بالضياء وبعث محمد آخر الانبياء وان احتفاءه لمقدور حق قدره ووفاءه لجدير بالمبالغة فى شكره ولقد بلغت مكارمه مداها وسلت مساهمته عما اقتضاها وقد آن أن ندع من ذكرى نهب صبح فى جمراته واستبيح من جهاته وخطب قد صرف الله عداءه وكشف بفضله غماءه ولكن حديثا ما حديث سحر جلوته مقالا وسموت به الى المهج حالا فحالا يخترق الحجب الى صميمها ويرقق الآداب فى نقاسيمها ويخيل بالمعجزات عيانها ويستميل الى غرائب المبتدعات أذهانها أبابل فى ضمن أقلامك وما أنزل على الملكين فى وزن كلامك أم هو البيان لا غطاء دونه وما أحقه أن يكونه فما تسحر الاجلال ولا تذر ثنية العقول الا أطلعتها بأهدى مقال وان قسمك الجل لقدرك وجمعك التناهى فى برك تصفح ثناءك مجدا وطولا واستوضح اخاءك عقدا وقولا وأعطاك صفقة يمينه على المودة والاكبار وولاك صفوة يقينه صادقة الاعلان والاسرار فلن تزال بتوفيق الله تجده حيث تنشده وتعهده على أبر ما تعتقده ان شاء الله (ولما) نفذ فى أمره ما نفذ وانفصل عن أمير المسلمين وانتبذ خبره فى بلاد المغرب فاختار سلا. واعتقد انه يأنس فيها ويسلى بمجاورة بنى القاسم الذين غدوا بدور سمائها وصدور رأسمائها فلما حلها انقبض عنه

أبو العباس إنقباضاً نبا عليه أقبح نبو ونسب فيه إلى قلة الوفاء والرعي وكان بينهما أيام وزارته مودة محمودة التواخي مشدودة الاواخي واشتملت اذ ذاك على أبي العباس سباع ادجت مطلعه وحنت على الوجد أضلعه فجذب فيها أبو محمد بضبعه وألقاه بين بصر العضد وسمعه فلما وردت مشيت اليه ونفثت عليه صدوده وايحاشه لمن كان وده وعرفته بجوملته وأوقفته على مواته فاعتذر بما يخاف من أمير المسلمين ويحذر وكتب اليه (بسيط)

واحسرتا لصديق ماله عوض * ان قلت من هولا يلقاك معترض

ألقاه بالنفس لا بالجسم من حذر * لعلة ما رأيت الحسن ينقبض

فكتب اليه أبو محمد مراجعا (بسيط)

شر الجياد اذا أجريت منقبض * ما اللوم فيه على الميدان معترض

أبلغ الصاحبه فرسان الكلام ومن * غباره في هواديهن ما نفضوا

جرت على مستو من طبعه كلم * هي المشارب لكن مالها فرض

كأنه منشد ها نشوان من طرب * أو بلبل من سقيط الطل ينتفض

تحية من أبي العباس زاويها * طيف من العذر في اثنائها يمض

لا بل جلي فتستو في حقيقته * ويستبان بعين ما بها غمض

لكن أغض عليه جفن ذي مقة * كما يستمسد الجوهر العرض

يا من يعز علينا أن نعاتبه * الا عتاب محب ليس يمتعض

نشدتك الله والانصاف مكرمة * أما الوفاء بحسن الود مفترض

هب المزار لمعنى الريب مرتفع * ما للوداد بظهر الغيب منخفض

أما لكل نبيه في العلا حيل * تقضى الحقوق بها والمرء منقبض

كن كيف شئت فمن دأبي محافظة * على الذمام وعهدي ليس ينتقض

وهمة لم تضق ذرعا بحادثة * ان الكريم على العلات ينتهض

والحر حر وصنع الله منتظر * والذكر يبقى وعمر المرء ينقرض

(الوزير الكاتب أبو عامر بن أرقم رحمه الله تعالى)

فريد الوقت وابن فريده وعميد الكلام وابن عميده كان الوزير الكاتب أبو الاصبغ أبوه قد أربى على أهل أوانه واستقل بكتابة زمانه فنبت أبو عامر في تربة القلم ونشأ في حجره وشدا بين سحر البنان ونحره ثم لم يزل على كد الطلب وتعبه

اصبر

أصبر من عود كد غضت بجنبله بخلبه حتى ارتوى من صافي الادب وغيره واحتجر من مصوّحه ونضيره فجمع حفظه بين الغريب الحوشي والمولد الرياضي وله شعر ونثر يتضحان بسعة باعه ورحب ذراعه ويشهدان انه يغترف من عجاج ويدع مجاريه يعمه في مجاج (فمن ذلك) قوله يمدح الامير عبد الله بن مزدلي (بسيط)

سريت والليل من مسرى السرى وهل * مبرأ العزم من أين ومن [illegible] مثل
وسرت في جحفل يهدي فوارسه * سنا الثقت الرمح والعارض الهطل
والبدر محتجب لم تدر أنجمه * أغاب عن سرر أم غاب عن خجل
هوت أعاديك من سار يؤرقه * ركض الجواد وحمل اللامة الفضل
اذا الملوك نيام في مضاجعهم * مستحسنون بهاء الحلي والحلل
لله صومك برّا يوم فطرهم * وما توخيت من وجه ومن عمل
نحرت فيه الكماة الصيد محتسبا * وحسب غيرك نحر الشاء والابل
اذا صرير المداري هزهم طربا * ألهاك عنه صرير البيض والاسل
وان ثناهم عن الاقدام عاذلة * مضيت قدما ولم تأذن الى العذل
كم ضم ذا العيد من لاه به غزل * وأنت تنشد أهل اللهو والغزل
في الخيل والخافقات البيض لي شغل * ليس الصبابة والصهباء من شغلي
ظللت يومك لم تنقع به ظمئا * وظل رمحك في عل وفي نهل
وكلما رامت الروم الفرار أتت * من كل أوب وضمتها يد الاجل
فصار مقبلهم نهبا ومدبرهم * وعاد غانمهم من جملة النفل
فكم فككت من الاغلال عن عنق * وكم سددت بهذا الفتح من خلل
أنت الامير الذي للمجد همته * وللمساعي يحميها وللدول
وللمواهب أو للحظ اعملة * ما لم تحن الى الخطية الذبل
لمزدلي لواء كان يرفعه * مناسب كالضحى والشمس في الحمل
الجابرين صدوع المعتفى لهم * والكاسرين الظبا في هامة البطل
والعادلين عن الدنيا ونضرتها * والسالكين على الاهدى من السبل
خير التبابع والاذواء من يمن * الغالبين على الآفاق والملل
يسود في آخر الاعصار آخرهم * وساد أولهم في الاعصر الاول
يا أيها الملك المرهوب صولته * والمرتجى غوثه في الحادث الجلل

من كابد العدم لم يكمل له أمل * والعدم من أقطع الاشياء بالامل
لولاه لم تبت الاشعار مرسلة * عنى وحقك لا نقضيه بالرسل
فاصفح لعبدك يامولاى مغتفرا * ما كان من خطأ أو منطق خطل
بقيت للدين والدنيا تحوطهما * اذا حلا الغمض فى الاجفان للمقل

(وكتب الى الوزير الكاتب أبي جعفر بن مسعدة) سيدى الاعلى وعلق الاغلى وذخرى الاجلى أطال الله بقاءك محسود الجناب محمود المقام والمناب من كرم دام عزك خيمه وشرف حديثه وقديمه أمطر قبل ان يستبرق وأغرق قبل ان يستورق وأقبل دون ان يستقبل واحتمل قبل ان يستحمل صحبة نفس توّاقة الى الحسنى نزاعة الى الاعلى من النصار والاسنى وكانت لك أعزك الله فى جاى مجالس ومشاهد ومصادر وموارد وصلت بها جناحى ومددت أوضاحى وتبهت من ذكر البيت فأثقلت ظهرى وأوجبت على الشكر دهرى وما تأخرت عن حضرتك لامحال العزتك وقاضيا حق مبرتك الاعن حال لا تعين على الترحال فعذرا عذرا وغفرا غفرا وعندى ودّ كماء المزن وثناء كروض الحزن جزاك الله ياسيدى جزاء الواصل وقد قطع الالمام المواصر وخولت الايام التناصر واست أجدد الرغبة اليك فى شئ من أمرى جار على التكريم بين يديك فقبل الهز فريت وقبل النزول بساحتك قريت وان مننت بالمراجعة شفعت المكارمة بالمكارمة وأتبعت المساهمة بالمساهمة وتطولت ان شاء الله والسلام العاطر الناضر عليك ورحمة الله (وكتب الى أحد اخوانه شافعا لرجل يعرف بالزريزير) ياسيدى الاعلى وعلق الاغلى وشهابى الاجلى ومن ابقاه الله والامكنة بمساعيه فسيحة والالسنة بمعاليه فصيحة موصله وصل الله جذلك حيوان يصفر كل أوان ويسفر بين الاخوان رقيق الحاشية أنيق الشاشية يعتمد على كدواء ويسمع بجدواه ينظر من عين كأنها عين ويلقط بمنقار كأنه من قار أطبق على لسانه تخاله اغريضة فى ثوب اخريضة يسلى المحزون بالمقطع والموزون وينفس عن المكظوم بالمنثور والمنظوم مسكى الطيلسان تولد بين الطائر والانسان كما سمعت بسمع الفلاة وعمر بن السعلاة قطع من منابت الربيع الى منازل الصقيع ومن مطالع الزيتون الى مواقع السحاب الهتون فصادف من الجليد ما يذهب قوى الجليد ومن

البرد مالا يدفعه ريش ولا برد والحدائق قد غمضت أحداقها والمحسرت أوراقها والبطاح قد قيدت الفور بحبائل الكافور وأوقعت الصرد في شبك الصرد فني البائس عالم يعهده كاوسم بالزرزور ولم يشهده ولما قال رأيه وأخفق أو كاد سعيه التفت الى عطفة أشمط والى أدية أرقط فناح ثم سوّى الجناح وقد نكر مزاجه ونسى ألحانه وأهزاجه ولا شك انه واقع بغنائك وراشف من انائك آمل حسن غنائك واعتنائك وأنت بارق ذلك العارض ورائد ذلك الانف البارض تهي له حبا يجزيك عنه ثناء جميلا رحبا وقد تحفظ يا سيدى رسائل عذاب تسام بها أهل الآداب سوء العذاب ويدعى البطىء منهم الى الاهذاب (بسيط)

وابن اللبون اذا ما لز فى قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

واذا ألقى كتابى اليك يفسر هذه الجملة عليك لازلت منافسا فى العلوم آسيا للاحوال والكلوم ان شاء الله عز وجل وهو المستعان والسلام عليك ورحمة الله (ومن كلامه) فى مقامة انشأها فى الامير تميم بن يوسف أيده الله ووصلها بالقرطبية أولها قال فلان بن فلان ولما اجتليت مانصه واستوفيت ماقصه قلت أحق منزل بترك فعجت الى الرواحل لاطوى المراحل آمل كعبة الآمال وقبلة الآمال فبينا أنا أسير وقد لظى الهجير ولا قعيد ولا ناطح الا الآكام والاباطح ولا سانح ولا بارح الا الآل والبارح اذ رفع لى شخص يقربه ذميل ونص واذا فتى عليه بزة تشهد له بالعزة يركب وجناء كأنها سبيكة لجين قد أخلصتها يد القين ويجنب دهماء تسبح سبحا وكأنها الليل يبارى صبحا فلما دنا وقف فطرف ووضع من لثامه وأوجز فى سلامه فرددت كما يرد المجمل وتوقعت فوته فقلت من الرجل فقال (كامل)

انى امرؤ لا يعترى خلقى * دنس يفنده ولا أفن
من منقر فى بيت مكرمة * والاصل ينبت حوله الغصن
فصحاء حين يقول قائلهم * بيض الوجوه مصاقع لسن
لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جواره فطن

قلت فى كل عود نار واستمجد المرخ والعفار لله أنت فما أصون جارك وأكرم نجارك لم تدب الضراء ولم تمش الخمراء فالتفت نحوى عرضا قائلا النبع يقرع

بعضه بعضا ثم أداه الاهتبال الى السؤال فقال أين أمك ومامهمك قلت غرناطة فقال حيث الامة المشفقة المتناطة والسندى والندى والامجاد والانجاد والاصراخ والاعتاد والغور والنجاد أكرمت فاربط قلت وماعلمك بها فقال هي المطلع والبها بحول الله المرجع قلت دناصرادلك وأجني مرادك وتملت قبلت أرض جاهلها وقبل أرضاعاملها ففهم النزعة فقال سل عما بدالك على الخبير سقطت (طويل)

فأقبلت فى الساعين أسأل عنهم * سؤالك بالشئ الذى أنت جاهله

قلت فسلطانها فقال قصور تقترلها الروم بالقصور وسور أعين الحوادث عنه صور كأنه الثغر المبتسم والسلك المنتظم ومن شعره فيها (متقارب)

فتى الخيل يقتادها ذبلا * خفافا تبارى القنا الذابلا
ترى كل أجرد ساى السليل * تحسبه غصنا مائلا
وجرداء ان أوجست صارخا * تذكرك الظبية الخاذلا
اذا شنهن بأرض العدا * تصير عاليها سافلا
ولم أدر بدر تمام سواه * يسمونه الاسد الباسلا
أقام العجاج سماء عليه * وأقسم أن لا يرى آفلا
ولم تصرف الهول همته * ومن يصرف القدر النازلا

(الوزير الكاتب أبو محمد بن سفيان رحمه الله تعالى)

من بلغت همته السماء وحلت أسرته الظلماء له الرتب المكينة وعليه الوقار والسكينة أخدم يراعه العوالى واستخدم الاحرار والموالى وأقام بدولة آل ذى النون وأقعد وتبوأ سماكها واقتعد فسما به قدرها وهمى بسببه قطرها وحسنت سيرها وأمنت غيرها وحمدت أيامها ووردت جمام الامانى خيامها وله أدب غض المقاطف رطب المعاطف ان نثر فالنجوم فى أفلاكها أو نظم فالجواهر فى أسلاكها قد أخذ بمجامع القلوب كله وأغذ فى طرق الابداع قلمه وقد أثبت له ماتستهديه زهرا وترتديه برداحبرا (فمن ذلك) قوله يخاطب أبا عيسى بن لبون (وافر)

أباعيسى أتذكر حين كنا * على هام الكواكب نازلينا
ندوس بخيلنا زهر الثريا * ونوردها المجرة ان ظمينا

ونترل

ونترل جبهة الاسد اعتسافا * اذا ما البدر مرّ بها كمينا
ونطرق هودج العذراء وهنا * فنبدخله عليها آمنينا
اذا اغنت لنا الجوزاء مددنا * لحل نطاقها منا يمينا
وان عرضت لنا كف الثريا * سلبناها الخلاخل والبرينا
اذا ما غاب من ددنا سهيل * على الشعرى نخلت به حنونا
تجاوزنا العبور الى العميصا * ولم نرهب شجاعهم المبينا

(وله) مراجعا الى الحاجب ذى الرياستين أبى مروان بن رزين رحمه الله (بسيط)

يا ابن الملوك أتتنى عنك معجزة * تنأى وان قربت فى عين رائيها
يشتق سامعها من جيبه طربا * ويسمع الصخرة الصماء راويها
لو أن هاروت يهم لاحت لناظره * نقال ما السحر الا بعض ما فيها
سماءة هى لابل روضة رشفت * ماء الغمامة فاخضرت حواشيها

ومن بديعه الحسن ومطبوعه المستحسن هذه القطعة يخاطب بها القادر بالله يحيى بن ذى النون رحمه الله (كامل)

خطبت بسبقى فى الزمان براعة * صعدت الى كفى وصلى المتصل
أولست من وطئ السماء تأودا * وسما فقد سفل السماك الاعزل
أغشى العوالى والمعالى بأسها * وأقول فى الخطب البهيم فأفصل
ومتى أعد لبلا نهار صحيفة * وضحت كواكبه عليه تهلل
واذا أجلت جياد فكرى فى مدى * سبقت فكبر حاسدون وهللوا
رمدت عيون الحاسدين أما ترى * قمر العلا والمجد ليلة يكمل
ما الذنب عندهم ودونك فاخبرن * الا هوى بالمكرمات موكل
هم الى صرف العلا مصروفة * وجبى أمام وقد تزحزح يذبل
وبلاغة بلغت با آفاق الدنا * وغدت تحية من يقيم ويرحل
ولئن يضع فضلى ويذهب نقصهم * صعدا فأرجح كفة من يسفل
فلا غشين الحادثات بصارم * خدم غراراه سرى مشعل
وبصيرة تذر العقول لواتحا * فكأنها فى كشفهن تنجل
ومشرب كالنار ان يذهب به * حضر وان يسكن فماء سلسل
نهد اذا استنهضته لملة * أعطاك عفوا عدوه ما تسأل

قبد الاوابد والنواظر ان بدا * قلت الجواد أم الحبيب المقبل
ومفاضة زغف كأن قتيصها * ماء الغدير جرت عليه الشمأل
تردا العوالى منه شرعة حتفها * وتعب فيه مناصل فتفلل
وعزائم بيض الوجوه كأنها * سرج توقد أو زمان مقبل
شيم عمرن ربوع مجد قد خلت * فأضاء معتكر وأخصب ممحل

(وكتب) الى الوزير أبى محمد بن القاسم كتبت وما عندى من الود أصفى من الراح وأضوأ من سقط الزند عند الاقتداح وليس فيما أدعيه من ذلك لبس كيف وهو ما تجزى به نفس نفس فان شككت فيه فسل ما تنطوى لى جوانحك عليه أو اتهمته فارجع الى ما أرجع عند اشتباه الامر اليه تجده عند باقرا حاسائل الغرة تياحا ولم لا يكون ذلك وبيننا أذمة تجل أن تحصى بالحساب بيض الوجوه كريمة الاحساب لو كانت نسيما لكانت بليلا أو كانت زمانا لم تكن الا سحرا أو أصيلا (فراجعه أبو محمد برقعة فيها) كتبت عن ود لا أقول كصفو الراح فان فيها جناحا ولا كسقط الزند فربما كان شحاحا ولكن أقول أصفى من ماء الغمام وأضوأ من القمر متوافى التمام (فراجعه عنها) كتبت أدام الله عزك عن ود كماء الورد نفحة وعهد كصفائه صفحة ولا أقول أصفى من صوب الغمام فقد يكون معه الشرق ولا أضوأ من قمر التمام فقد يدركه النقص و محق وليس ما وقع فيه الاعتراض مختصا بصفو الراح ولا بسقط الزند عند الاقتداح فان أمور العالم هذه سبيلها وجياد الكلام تجول كيف شاء مجيلها وانما نقول ما قيل ونتبع ما أجاد التحصيل وحسن التأويل فنستعير ما استعاروا ونسير من التمليح فى القول الى ما ساروا وبين أنا لم نرد من الراح الجناح ولا من الزند الشحاح ولا من ماء الورد ما فيه من مادة الزكام ولا زيادة فى بعض الاسقام (وله متغزلا) وهو مما تبوأ فيه الاحسان منزلا (بسيط)

يا ضرة الشمس قلبى منك فى وهج * لو كان بالنار لم تسكن ذرى حجر
أبيت أسهر لا أغفى فان سنحت * اغفاءة فكمثل اللمح بالبصر
اذا رأيت الدجى تعلو غواربها * والنجم فى قيده حيران لم يسر
أقول ما بال بازى الصبح ليس له * وقع وما لغراب الليل لم يطر
فان سمعت بوصل أو بخلت به * شكوت ليلى من طول ومن قصر

لا أفقد النجم أرعاه وارقبه * في الوصل منك وفي الهجران من قمر

(وله فصل من رقعة) عمادي الاعلى أعزه الله شهاب اذا أظلم أفق ووفاء اذا ضاع عند كريم حتى لا جرم انه للسرو منار ولمسيل الصفو قرار به أنار ما أظلم واستكمل ما نقص من بهاء أدب واستتم هذا ولم يبلغ أشده ولا استوفى فيما كمال جده فكيف اذا أثمر زهره وأبدر قمره وتجاوز في الانتهاء رتبة وحاز الى الطبع الكريم دربة قسما بمحرزن المعالي وليخدمن اليراع العوالي وان أبي ذلك آب أو نبا فيه عن فهم الحقيقة ناب ومجده أنا ان لم أراجعه عما نبه به أسعدي واثقب بتواخي الفضل منه ازندي فلان القلم جمح في ميدان ما شرع والكلم تعلق بأفنان ما اخترع فكان كالزهرة قطفت من رياضه والنغبة ارتشفت من حياضه ومحال ان أدعي مصاصة صناعته أو أهدي اليه بضاعته وله متغزلا (كامل)

نفسي فداء الموعد تني بزيارة * فظللت أرقبها الى الامساء
حتى رأيت قسيم وجهك طالعا * لم تنتقصه غضاضة استحياء
فعلمت أنك قد جنيت وأنه * لو راء وجهك ما سري بسماء

(وله) الى أبي أمية ابراهيم بن عصام يعرض بأحد الملوك رحمهم الله (منسرح)

امر ربقاضي القضاة ان له * حقا على كل مسلم يجب
وقل له ان ما سمعت به * عن سر من راء كله كذب
قد غرني مثل ما غررت به * فجئته يستخفني الطرب
حتى اذا ما انتهيت صرت الى * سراب قفر من دونه حجب
وملة للسماح ناسخة * لها ني الهه الذهب

(وله) الى أبي أمية وقد كتب اليه عين زمانه فوقعت نقطة على العين فتوهمها واعتقدها وعددها وانتقدها (كامل)

لا تلزمني ما جنته براعة * طمست بريقتها عيون ثناني
حقدت على لزامها فتحولت * أفعى تمج سمامها بسخاء
غدر الزمان وأهله عرف ولم * أسمع بغدر براعة واناء

(ذو الوزارتين أبو الحسن بن الحاج رحمه الله)

شيخ الجلالة وفتاها ومبدأ الفضائل ومنتهاها مع كرم كانسجام الامطار وشيم

كالنسيم المعطار أقام زمانا على المدامة معتكفا ولثغور البطالة مرتشفا لا يفيق والأثملا ولا روح الا بنشوة مشتملا وجوده أبدا هاطل وجيده الامن المعالى عاطل ثم فاء عن تلك الساحة واختار تعب النسك على تلك الراحة فراح حليف خشوع وأصبح بين سجود وركوع وله شعر له فى النفس شروق وكأن الحسن منه مسروق وقد أثبت منه أنواعا يضم عليها الاستحسان جوانح واضلاعا ويحلها من تجويده منازل ورباعا (أخبرنى الوزير) أبو عامر بن يشتغير أنه حضر معه فى مجلس ابن لبون فى يوم صرف عنه الزمان صرفه وغمض فيه الحدثان طرفه وزفت اليه الامانى أبكارها وأطلعت عليه شموسها وأقمارها وهزت فيه المدام أعطاف ندامه وصار السعد من خدامه وذو الوزارتين أبو الحسن بن الحاج قد نسك وعف وأمسك عن الشهوات وكف ولم تبق فيه للطرب الا بقية لا تقبل انسا ولا تستحسن من أجناس اللهو جنسا فحياه فتى وسيم بكاس متهتكا عليه ومتواقعا وطامعا أن يخرق من توبته ما غدا له راقعا وأطمعه بفتور لحظ حسب أنه يفتنه وتشور فيه فتنه فأعرض عنه اعراض زاهد غير كلف بالمحاسن ولا واجد وقال (كامل)

ومهفهف مزج الفتور بشدة * وأقام بين تبذل وتمنع
يثنيه من فعل المدامة والصبا * سكران سكر طبيعة وتطبع
أوما الى بكاسه فرددتها * ودنا فشفعها بلحظة مطمع
والله لولا أن يقال هوى الهوى * منه بفضل عزيمة وتورع
لذهبت من تلك السبيل بمذهبى * فيما مضى ونزعت فيه منزعى

وله فى أبى أمية بن عصام (كامل)

لى صاحب عميت على شؤنه * حركاته مجهولة وسكونه
يرتاب بالامر الجلى توهما * واذا تيقن نازعته ظنونه
مازلت أحفظه على شرق به * كالشيب تكرهه وأنت تصونه

وله فى ذلك اليه (منسرح)

أسهر عينى ونام فى جذل * مدرك حظ سعى الى أجل
دنياه مقصورة عليه فما * يطوى بها طائر الى أمل
قد لفقت بالمحال فاجتمعت * من خدع جمة ومن حيل

كم

كم محنة قد بليت منه بها * وهو يرى انها يد قبلى

وله فى ذلك (وافر)

أخ لى كنت آمنه غرورا * يسر بما أساء به سرورا
هو السم الذعاف لشاربيه * وأن ابدى لك الارى المشورا
ويوسعنى اذى فأزيد حلما * كما جذ الذبال فزاد نورا

وله فى الغزل (خفيف)

من عذيرى من فاتر ذى جفون * صلن فى صولة القدير الضعيف
علق مجد علقته وقديما * همت بالحسن فى النصاب الشريف
يطلع الشمس فى المساء ويهدى * زاهر الورد فى زمان الخريف
يامديرا من مصر عينيه خمرا * أنا مما أدرت جد نزيف
علل المستهام منك بوعد * واليك الخيار فى التسويف

وله فى مثل ذلك (سريع)

أما ماضمت عليه الجيوب * من زفرات وقلوب تذوب
جاء بى الحب الى مصرعى * فى طرق سالكها الايؤب
واستلبت عقلى خمصانة * نابت مناب الشمس عند الوجوب
يسحرنى منها اذا كلمت * وجه مليح ولسان خلوب
تقول ان أشكو اليها الهوى * سبحان من ألف بين القلوب

وله فى مثل ذلك (طويل)

أزورك مشتاقا وأرجع مغرما * وأفتح بابا للصبابة مبهما
أمدعى السقم الذى آدجله * عزيز علينا أن تصح وتسقما
منعت محيا منك أيسر لحظة * تبل غليل الشوق أو تنقع الظما
ومارد ذاك السيف حين رميته * عن القلب سيفا من هواك مصمما
هوى لم تعن عين عليه بنظرة * ولم يك الا سمعة وتوهما
وملتقطات من حديث كانما * تثير به سلك الجمان المنظما
دعون اليك القلب بعد نزوعه * فأسرع لما لم يجد متلوما

وله الى القاضى أبى أمية (طويل)

تقلص ظل منك وازور جانب * وأحرز حظى من رضاك الاجانب

وأصبح طرفا من صفاتك مشرعى * وأى صفاء لم تشبه الاشائب
ورويدا فلى قلب على الخطب جامد * ولكن على عتب الاحبة ذائب
وحسبك اقرارى بما أنا منكر * وانى بما اسلفت أعتل تائب
أعد نظرا فى سالف العهد انه * لأوكد مما تقتضيه المناسب
ولا تعقب العتبى بعتب فانما * محاسنها فى أن تتم العواقب
وأغلب ظنى أن عندك غيرما * ترجه تلك الظنون الكواذب
لك الخير هل رأى من الصفح ثابت * لديك وهل عهد من السمح آيب
فحث ركابى أننى بك هائم * وثق عنانى اننى لك هائب
وان سؤتنى بالسخط فى غير معظم * فها أنا منك اليوم نحوك هارب

(وله الى ذى الوزارتين أبى بكر بن رحيم) فى محرم سنة سبع عشرة وخمسمائة (منسرح)

يادوحة ماربيعها غمر * وروضة كل نبتها زهر
يامزنة لا تغب نافعة * والمزن فى طول صوبه ضرر
يامنهلا قد صفا فلا كدر * يصد عن ورده ولا حظر
ياعصرة الحرجين لا عصر * يوجد فى حادث ولا اسر
برك ذاك الخفى أثقلنى * وحمل ما لا أطيقه خطر
فلتعفنى من نداك تتبعه * حسبك ما لقيت يا عمر
قد ذهبت جلة الوفاء فما * فى الناس خيرلها ولا خبر
وصرت فى معشر حقودهم * تبدو اذا كلموك أو نظروا
بنى رحيم ركبتم سننا * فى المجد لا يقتفى له أثر
كل أفانين بركم عجب * وكل أيام دهركم غرر

وله (كامل مجزو)

عجبا لمن طلب المحا * مد وهو يمنع ماالديه
ولباسط آماله * فى المجد لم يبسط يديه
لم لا أحب الضيف أو * أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه * عندى ويحمدنى عليه

(وله رمل)

كل من تهوى صديق محض * لك ما لا تتقى أو ترتجى
فاذا حاولت نصرا أو جدا * لم تقف الاسباب مرتج

وله يتغزل (طويل)

وبيضاء يخبو اللحظ عند التفاتها * وهل تستطيع العين تنظر فى الشمس
وهبت لها نفسا على كريمة * وقد علمت ان الضنانة بالنفس
أعالج منها السخط فى حالة الرضا * ولا أعدم الايحاش فى ساعة الانس

وله مع تفاح أهداه (وافر)

بعثت بها ولا آلوك حمدا * هدية ذى اصطناع واعتلاق
خدود أحبة وافين صبا * وعدن على ارتماض واحتراق
فحمر بعضها خجل التلاقى * وصفر بعضها وجل الفراق

وله فى زرزور (كامل)

يارب أعجم صامت لقنته * طرف الحديث فصار أفصح ناطق
جون الاهاب أعير فوه صفرة * كالليل طرزه وميض البارق
حكم من التدبير أعجزت الورى * ورأى بها المخلوق لطف الخالق

وله يعاتب المعتمد بن عباد لما أجرى مرتبه على يد ابن ماض (وافر)

عدمت بصيرتى وسداد رأيى * ولوعا بالحديث المستفاض
وصرت مؤملا أملا لحص * وورود الهيم مسفرة الحياض
وردناها فالفينا أمورا * مصرفة على رأى ابن ماض
كأن رئيسها الاعلى يتيم * يدور عليه منه حكم قاض
وان من الغرائب أن مثلى * يحل بهم فيرحل غير راض

وله عند انفصاله من اشبيلية (طويل)

تعز عن الدنيا ومعروف أهلها * اذا عدم المعروف فى آل عباد
أقمت بهم ضيفا ثلاثة أشهر * بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد

وله (بسيط)

كم بالمغارب من اشلاء محترم * وعاثر الجد مصبور على الهون
أبناء معن وعباد ومسلمة * والحميريين باديس وذى النون
واخوالهم فى هضاب العزابية * وأصبحوا بين مقبور ومسجون

وله (طويل)

كفى حزناأن المشارع جمة * وعندى اليهاغلة وأوام
ومن نكد الايام أن يعدم الغنى * كريم وأن المكثرين لئام

وله يتغزل فى معذر (متقارب)

اباجعفر مات فيك الجمال * فأظهر خدك لبس الحداد
وقد كان ينبت زهر الرياض * فاصبح ينبت شوك القتاد
ابن لى متى كان بدر السما * يدرك بالكون أو بالفساد
وهل كنت فى الملك من عبد شمس * فأخفى عليك ظهور السواد

وله يتغزل (كامل)

ومعذر رقت محاسن وجهه * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه صباغها الاحداق

(ابنه ذو الوزارتين أبو محمد أبقاه الله تعالى)

له بدائع مائسات الاعطاف مستعذبات الجنى والقطاف تتنسمها زهر كمام وتتوسمها بدر تمام وترودها روضة ممطورة وتراها الى الاعجاز مجبولة مفطورة وتخالها كواعب فى خيام الافهام مقصورة وتنشيها ليك افنانا بأيدى الاذهان مهصورة مع تفاوت علواته وتهافت أدواته وكرمه المنسجم الغمائم وهممه السامية مذ نيطت عليه التمائم فمن ذلك رقعة خاطبنى بها ياسيدى ابا النصر ألمى العصر منتقى الوزارة وسنى الامارة كيف أساجلك فى الادب وانت تملأ الدلو الى عقد الكرب وأنا امتاح من وشل وأستنجد بفشل وأستعين بنفس قد شعب الدهر اجتماعها وقصر باعها وأخلها عظيمة كريمة عندما أظهر ...واها الشيمة ذميمة وهى الايام جربها الكرام ولا أبعد وأنت الماجد الاصيد تخلفك فيما تعد والدول تتقول لو حلى عاطل أجيادنا وتولى تصريف انجادنا وجيادنا لكان اشراقنا بروق كما لمعت البروق فهى تعترف والحظ لا ينصف وعساها تلين ولعل اسعادها يبين فتستنجز المطلوة وعدا ونرد لندائها معدّا ان شاء الله (ووافيت بلنسية) صادرا عن سرقسطة فكتب الى مستدعيا فسرت الى مجلس منضد بالآس مشيد بالايناس معزز الجلاس معطر الانفاس متناثر الانس وتعاطاه وقد وسد السرور خدود نا ابرذى ارطاه فلما كان

من الغد كتب الى * واحدى أبا النصر منى الوزارة كيف استقى لموضع احتلالك وحسبه صوب نوالك وامترى الغمام لمنازلك وكفاها فيض أناملك ترسل من نوافلها دررا وتنظم فى لبات الزمان من محاسنها دررا فسحا لولا وقفة حنت عليها من وداعك عطفة انهزتها مولعا بجلالك صبا وقد يؤخذ العلق الممنع غصبا مالاح للانس علم ولاسكن لنوالك ألم فانما ألمت بساعات قربك الماما ملأت بها عيونا وأسماعا ومددت فيها للادب والبحث باعا وساعا لم تمتع بحفظها حتى جعلت تسلمها وداعا فلئن رحلت فان هذه نفوس تشيع وقلوب تذوب فتبدمع وما هى أبا نصر الابديهة خاطر فى التعرض لك مخاطر ارجو لكف شباة تقدلك عنها فضل وذلك ولمأمول اغضائك باهر علائك فلازالت حلالك رائقة وعلالك شائقة ان شاء الله

(الوزير الكاتب أبو محمد بن عبدون رحمه الله تعالى)

منتمى الاعيان ومنتهى البيان المطاول لسحبان والمعارض لصعصعة بن صوحان الذى أطلع الكلام زاهرا ونزع فيه منزعا باهرا نخبة العلاء وبقية أهل الاملاء الشامخ الرتبة العالى الهضبة الذى فاق الافراد والافذاذ ومشى فى طرق الابداع الوخد والاغذاذ وراقت رقة مايحويه العراق وبغداذ له الادب الرائق البهيج والمذهب العاطر الاريج فاز بعقاد الانتقاد وأمسك عن عنان الافتنان وقد أثبت له من البدائع الروائع ماهو أصفى من ماء الوقائع وأبهى من الشمس فى المطالع حللت بيابرة فأنزلنى واليها بقصرها ومكننى من جنى الامانى وهصرها فأقمت ليلى أجر على المجرة ذيلى وتطارد فى ميدان السرور خيلى فلما كان من الغد باكرنى الوزير أبو محمد مسلما ومن تشكى عنى متألما ثم عطف على القائد عاتبا عليه فى كونى لديه ثم انصرف وقد أخذنى من يديه فحللت عنده فى رحب وهمت على من البر أمطار سحب فى مجلس كأن الدرارى فيه مصفوفة أو كأن الشمس اليه مزفوفة فلما حان انصرافى وكثر تطلعى الى قيامى واستشرافى ركب معى الى حديقة نضرة مجاورة للحضرة فأنخنا عليها أيدى عيسنا ونلنا منها ماشئنا من تأنيسنا فلما امتطيت عزمى وسددت الى غرض الرحلة سهمى أنشدنى (طويل)

سلام يناجى منه زهر الربا عرف * فلا سمع الا ود لو أنه أنف

حنيني الى تلك السجايا فانها * لآثار أعيان المساعي التي أقفو
دليلي اذا ماضل في المجد كوكبي * وان لم يعقه لا غروب ولا كسف
نأى لا نأى عهد التواصل بيننا * فجد به رسم التواصل لا يعفو
وأطلعه يستام العقول كأنما * يلاحظنا من كل حرف له طرف
تقابلنا منه السطور بواسما * أثغر تفرّى عن لمى الطرس حرف
معان وألفاظ كمارق زاهر * من الروض أو دارت معتقة صرف
تحل حبا الاحلام هزا كأنما * لسامعها في كل جارحة عطف
يود بجدع الانف شانيك أنها * لناظره كحل وفي اذنه شنف
فأنت الذي لولاه ما فاه لي فم * ولا جمست نفس ولا كتبت كف
نصيري أبا نصر على الدهر لا النوى * فمنك لنا نصر وأنت لنا كهف
رحلت ولا شيء ولا امر كي دمي * فلا حافر يقضي ودادي ولا خف
ولست على التشييع ان سرت قادرا * فلا عيشة تصفو ولا ريشة تضفو
عزيز على الدنيا وداعك لي غدا * فلا أدمع تهمي ولا أضلع تهفو
سأشكو اليك البين حسبي وبا له * ولو غيره ما ضاق عدل ولا صرف
اقلني بلى أشكو اليك لياليا * مضت وعلى اظفارها من دمي وكف
وان حبيبا بنت عنه لعاطل * وان عرينا غاب عنك لمنتف

وله (متقارب)

سقاها الحيا من مغان فساح * فكم لي بها من معان فصاح
وحلى أكاليل تلك الربا * ووشى معاطف تلك البطاح
فلا أنس لا انس عهدي بها * وجرى فيها ذيول المراح
ونومي على حبرات الرياض * يجاذب بردي مرّ الرياح
بحيث لم أعط النهى طاعة * ولم أصغ سمعا الى لحي لاح
وليل كرجعة طرف المريب * لم أدرله شفقا من صباح

وله (وافر)

أخلائي وفي ترب الصدور * طلبا تقضي على قمم الدهور
وقد ضمت جوانحنا قلوبا * أبت غير القبور أو القصور
اذا الكرماء بانت تحت ضيم * فما فضل الكبير على الصغير

فقبل أبي الدنية قيس عبس * ولم يصغ الى قول العشير

وله (متقارب)

وما أنس ليلتنا والغنا * فقد مزج الكل منا بكل
الى ان تقوس ظهر الظلام * واشمط عارضه واكتهل
ومس رقيق رداء النسيم * على عاتق الليل بعض البلل

وله (كامل)

هل تذكر العهد الذي لم أنسه * ومودتي مخدومة بصفاء
ومبيتنا في نهر حمص والحيا * قد حل عقد حبابها بالصهباء
ودموع طل الليل تخلق أعيننا * ترنو الينا من عيون الماء

وله (طويل)

وما أنس بين النهر والقصر وقفة * نشدت بها ما ضل من شارد الحب
رميت بعينى رمية جحت بها * فلم انتهى الا وبجروحها قلبي

وله (وافر) أقول لصاحبي قم لا بأس * تنبه ان شانك غير شان
لعل الصبح قد وافى وقامت * على النيل النوائح بالاذان

وله (طويل)

مررت على الايام من كل جانب * أصعد فيها تارة وأصوب
ينيرني الثغران صبح وصارم * ويكتمني القلبان ليل وغيهب
وقد لفظتني الارض الا تنوفة * يحدثني فيها العيان فيكذب

وله والقسم الاول للمتوكل بن الافطس (مجتث)

الشعر خطة خسف * لكل طالب عرف
للشيخ عيبة عيب * وللفتى طرف ظرف

(وكتب) الى مراجعا قد رماني على فوت من بياني بيانك وقد تولى احساني وارجحن احسانك بعينين من النظم والنثر تجلاوتين لو رمقهما نوء الثريا لتهلل برقها واستهل ودقها وفصلين من در وياقوت بل أصلين من سحر هاروت وماروت اذا لمحت النثر قلت لو تنظم هذا العقد واذا تصفحت النظم قلت لو نثر هذا التبدد ولئن أشرعت الى من البيان رماحا فيه نصلان ما من طرفيه الا عاليه ركب فيه سنان قاض ولا من شفرتيه الا فاريه لا يثبت لها جنان ماض

وما يلتحق من كتائب الكتابة ومقانب الخطابة بطفيلها وبابنه عامر قائد خيلها وبأبي براء ملاعب أسنتها وبابن الصماء صاحب أعنتها ودريدها بن قبيبه وزفرها كثرة لعدة منها وكتيبه فالى أي لامة تسددرماحك وعلى أي هامة تجرد صفاحك هل بجد الامن يمر بين يديك فى شخص ضئيل ويتطرالبك من طرف كليل وهل تجس الاضلوعا من ساكنيها قفارا أودموعا من التأسف على التخلف حرارا ولا تستعد الا بالتسليم لسبقك والتعظيم لحقك انصارا بأدنى لمحة من شررمنك أو تطير فيرتمى من الاوهام والافهام كل لقمة ولوكانت من نارابراهيم وتركد من البصائر والخواطر كل نفحة ولوكانت من الريح العقيم دع ذا وعد القول فى هرم هذا الزمان معلى هم الاعيان جمال الدين والدنيا الرئيس الاسنى أبى يحيى وأقسم بمساعيه العظام وأياديه الجسام الحلية لاعناق الكرام المزرية باطواق الحمام لقد نشرت عليه ثوب احسان تقصرعنه صنعة قس وسحبان وانه لا بصر بكرامة الضيفان من ندمان العامة بعسكر حسان واماذلك المصحف المبدل للمعانى والاغراض المقابل لمن لا يفهمه بالاعتراض فالحساب لما طن الذباب اذا طن لا يشاور به بصفيرالعصفور فكيف يجاوبه بزئيرالليث الهصور ولولا تعريث الزمان بذكره وتلويث الاوانى بقبيا نحوه ونكره لا ريتك من خطله وزلله ما يضحك الثكلى ويستدرك به الجاحظ باب النوكى دع عنك رواحل الضليل والاشتغال بالاباطيل من الاقاويل ألحق الله ثانية ابن أبي سلمى بخيار أهل ملته فلقد اتبع السلف والخلف بحكمته ونادى عليه لسان الزمان فأسمع من كانت له اذنان وكأنه ما عنى غير ذلك الانسان وان كان فى غير هذا الاوان (طويل)

وذى خطل فى القول يحسب أنه * مصيب فما يلمم به فهو قائله
عبأت له حلما وأكرمت غيره * وأعرضت عنه وهو باد مقاتله

وفى القطر الذى انت فيه أدام الله بسطة ناصره وحاميه ووصل عزة حاضره وباديه شرف قديم وسلف كريم وآداب وعلوم وألباب وحلوم وأودية يجتابها الفضل والطول عذاب واندية يتنابها القول والفعل رحاب وعليك سلام الله مالاح شهاب ووكف سحاب

(الوزراء بنو القبطرنية من أهل بطليوس)

هم للمجد كالاثافى ومابينهم الاموفورالقوادم والخوافى ان ظهروا زهروا

وان

وان تجمعوا تضوعوا وان نطقوا صدقوا ماؤهم صفو وكل واحد منهم لصاحبه كفو أنارت بهم نجوم المعالي وشموسها ودانت لهم أرواحها ونفوسها ولهم النظم الصافي الزجاجة المصقول الجاجة وقد أثبت منه ما ينفح عطرا ويسفح قطرا فمن ذلك ما كتب به الى أبو محمد منهم (طويل)

ابا النصر ان الجد لاشك عاثر * وان زمانا شاء بينك جائر
فلا توجت من بعد بعدك راحة * براح ولا حنت عليها المزاهر
ولا اكتحلت من بعد نايك مقلة * بنوم ولا ضمت عليها المحاجر
ولى رغبة جاءتك وهى مدلة * تسوق اليك الجد وهو أزاهر
لتعلم أنى عن جوابك عاجز * ومعتذر فيه فقل أنا عاذر
وكيف اجارى سابقا لم تقم له * هبوب الصبا والعاصفات الخواطر
اذا قيل من هذا يقولون كاتب * وان قيل من هذا يقولون شاعر
وان أخذ التحقيق فيه بحقه * وقيل ومن هذا يقولون ساحر
تشبهك الالباب وهى أوانس * وتبعك الالحاظ وهى مواطر

وله (كامل)

ياصاحبى تنبها المدامة * صفراء تجلى فوق كف أحمر
واستقبلا برد النسيم وطيبه * تحت الدجى فوق الكثيب الاعفر
واستعملاها سكرة قروية * قبل الصباح وقبل صوت العصفر
فاليوم بين محدث ومخبر * وغدا ترى أحدوثة المستخبر

وله (رمل مجزوء)

ياخليلى لقلب * نيل من كل الجهات
لم ان هام بريا * بالبنين والبنات
وبان صادته سمر * بين بيض خافرات
بلحاظ ساحرات * وجفون فاترات
وبجيد الظبية ارنا * عت فظلت فى التفات
وبعينى مغزل تر * عى غزالا فى فلاة
تمشى بين أترا * ب لها حور لذات
وعليها الوشى والخز وبرد الحبرات

راعها لما التقينا * مادرت من فتكات
صفرت ذعرا فقلنا * ولعا للعاثرات
ضحكت عجبا وقالت * لا اخص الفتيات
راجعيه ثم قولى * ائتنا فى السمرات
وارقب الاعداء واحذره لعيون الناظرات
فاذا أعلق فيها النوم اشراك السنات
وعلا البدر جلابيب لباس الظلمات
فاطرق الحى تجدنا * فى ظهور الحجرات
فالتقينا بعد يأس * بدليل النفحات
وتلازمنا اعتناقا * كالتواء الالفات
وبتثنان بيننا نجو اكنفت الراقيات
وبردنا لوعة الحب بماء العبرات
وتشاغلنا ولم نعلم بأن الصبح آت
وبدت منه تباشير مشيب فى شبات

وله (طويل)

ومنكرة شيبى لعرفان مولدى * ترجع والاجفان ذات غروب
فقلت يسوق الشيب من قبل وقته * زوال نعيم أو فراق حبيب

وله يخاطب الوزير أبا محمد بن عبدون (بسيط)

ياخابط الليل فوق الفوق الجون * مسهد الجفن يحد والبين بالبين
يكابد النوم قد مالت عمامته * أبلغ معطرة عنى ابن عبدون
مسكية ربعت فى حومل وشتت * بالجزع مابين قيصوم ونسرين
وزاوت الغور مطورا وساربها * سارى الجنوب على اكتاف دارين
تذكر العهد قد شدت أواثله * ووراثة عن مطاعيم مطاعين
وتحمل الود قد صانت أواخره * اصالة من مناجيب ميامين
ورغبة تخجل العليا متوجهة * اليك عن صاحب بالغيب مأمون

وله (وافر مجزوء)

اذا ما الشوق أرقنى * وبات الهم من كثب

فضضت الطينة الحمرا * عن صفراء كالذهب

(وله) فى زوجه وقد أقلقه الحزن وتدفقت دموعه مثل المزن (بسيط مخلع)

يا كوكب أسعدا حزينا * اسهر ليل القريض عينه

يا ويلتى كان لى حبيب * فرق بينى المدى وبينه

أهون وجدى على نواه * وجد جميل على بثينه

وله فيها أيضا (وافر)

معاذ الله أن اسلو ببدر * وأن أصبو الى كأس وخمر

ولا لا راكة نهضت بحقب * ولا لروادف وهضيم خصر

ولا تفاحة طلعت بخد * ولا رمانة نبتت بصدر

وان ألهو من الدنيا بشئ * وأم الفضل يا أسفى بقبر

(وبات) مع أخوته فى أيام صباه واستطابة جنوب الشباب وصباه بالمنية المسماة بالبديع وهى روض كان المتوكل يكلف بموافاته ويبتهج بحسن صفاته ويقطف رياحينه وزهره ويقف عليه اغفاءه وسهره ويستفزه الطرب متى ذكره وينتهز فرص الانس فيه روحاته وبكره ويدير حمياه على ضفة نهره ويخلع سره فيه لطاعة جهره ومعه أخواه فطاردوا اللذات حتى أنضوها ولبسوا برود السرور ومانضوها حتى صرعتهم العقار وطلتهم تلك الاوقار فلما هم رداء الفجر أن ينتدى وجبين الصبح ان يتبدى قام الوزير أبو محمد فقال (خفيف)

يا شقيقى وافى الصباح بوجه * ستر الليل نوره وبهاؤه

فاصطبح واغتنم مسرة يوم * لست تدرى بما يجى مساؤه

ثم استيقظ أخوه أبو بكر فقال (خفيف)

يا اخى قم ترى النسيم عليلا * باكر الروض والمدام شمولا

فى رياض تعانق الزهر فيها * مثل ما عانق الخليل خليلا

لا تنم واغتنم مسرة يوم * ان تحت التراب نوما طويلا

ثم استيقظ أخوهما أبو الحسن وقد ذهب عن عقله الوسن فقال (بسيط)

يا صاحبى ذرا لومى ومعتبتى * قم نصطبح خمرة من خير ما ذخروا

وبادرا غفلة الايام واغتنما * فاليوم خمر ويبدو فى غد خبر

وللوزير أبى بكر منهم مراجعات (طويل)

الى الله مـــى ما لقيت برقعـــة * ورتى وأ أحـت فى ضـلوعى مكاويا
أتتـنى أبا نصر وأنسى معرّس * عـزائم عزت فى نوالك عزائيا
بطرس وحـبر راقتـين تطلعا * من الحسن اسطارا فغدن افاعيا
لدغن فؤادى اذ بثثن لى النوى * فأصـبحت لا الق لبينى راقيا
فهذى دموعى تستهل صبابة * ونفسى من وجـد تحل التراقيا

وله يستدعى (متقارب)

دعاك خليلك واليوم طل * وعارض خد الثرى قد بقل
لقـدرين فاحا وشمامة * وابريق راح ونعم المحـل
ولوشاء زاد ولكنه * يلام الصديق اذا ما احتفل

وله فى مثل ذلك (متقارب)

هلمّ الى روضنا يا زهـر * ولح فى سماء المنا يا قمر
هلمّ الى الانس سهم الاخاء * فقـد عطلت قوسـه والوتر
اذا لم تكن عنـدنا حاضرا * فما الغصـون الامانى ثمر
وقعت من القلب وقع المنى * وحسنت فى العين حسن الحور

وله الى الوزير أبى الحسن بن سراج بقرطبة يذكر له من اخوانه (كامل)

يا سيدى وأبى هدى وجلالة * ورسول ودّى ان طلبت رسولا
عرّج بقرطبـة اذا بلغتهـا * بأبى الحسـين وناده تمويلا
فاذا سعدت بنظرة من وجهه * فاهد السـلام لكفه تقبيلا
واذكر له شوقى وشكرى مجملا * ولو استطعت شرحته تفصيلا
بتحية تهدى اليه كأنما * جرّت على زهر الرياض ذيولا
وأشم منها المصحفى على النوى * نفسا ينسى السوسن المبلولا
والى أبى مروان منها نفحة * تهـدى له نور الربا مطلولا
واذا لقيت الاخطل فأسقه * من صفو ودّى قرقفا وشمولا
وأبا عـلى بل منها ربعه * مسـكا بماء غمامة محلولا
واذكرلهم زمنا يهب نسيمه * أصلا كنفث الراقيات عليلا
مولى ومولى نعمة وكرامة * وأخا اخاء مخلصا وخليلا
يا لحبز لاعدمـت هناك غمامة * الا تضاحك اذخرا وجليلا

يوما

يوما ولــيلا كان ذلك كله * سحرا وهذا بكرة وأصيلا
لا أدركت تلك الأهلة دهرها * نقصا ولا تلك النجوم أفولا

الحير الذى ذكره هنا هو حير الزجالى خارج باب اليهود بقرطبة الذى يقول فيه أبو عامر بن شهيد (متقارب)

لقد أطلعوا عند باب اليهو * د شمسا أبى الحسن أن تكسفا
تراه اليهود على بابها * أميرا فتحسبه يوسفا

وهذا الحير من أبدع المواضع وأجلها وأتمها حسنا وأكملها صحنه مرمر صافى البياض يخترقه جدول كالحية النضناض به جابية كل لجة فيها كابية وقد قرنست بالذهب واللازورد سماؤه وتأزرت بهما جوانبه وأرجاؤه والروض قد اعتدلت أسطاره وابتسمت من كمائمها أزهاره ومنع الشمس أن ترمق ثراه وتعطر النسيم بهبوبه عليه ومسراه شهدت به ليالى وأياما كأنما تصورت من لمحات الأحباب أو قدت من صفحات أيام الشباب وكانت لأبى عامر بن شهيد به فرج وراحات وغدو وروحات أعطاه فيها الدهر ما شاء ووالى عليه الصحو والانتشاء وكان هو وصاحب الروض المدفون بإزائه أليفى صبوة وحليفى نشوة عكفا فيه على جريالهما وقصرا بين زهوهما واختيالهما حتى رداهما الردى وعداهما الحمام عن ذلك المدى فتجاوروا فى الممات تجاورهما فى الحياة وتقلصت عنهما وارفات تلك الفيئات والى ذلك العهد أشار وبه عرض وبشوقه صرح وما مرض حيث يقول عند موته يخاطب أبا مروان صاحبه وأمر أن يدفن بإزائه ويكتب على قبره (بسيط مخلع)

يا صاحبى قم فقد أطلنا * أنحن طول المدى هجود
فقال لى لن نقوم منها * ما دام من فوقنا الصعيد
تذكركم ليلة نعمنا * فى ظلها والزمان عيد
وكم سرور همى علينا * سحابة ثرة تجود
كل كأن لم يكن تقضى * وشؤمه حاضر عتيد
حصله كاتب حفيظ * وضمه صادق شهيد
يا ويلنا ان تنكبتنا * رحمة من بطشه شديد
يا رب عفوا فأنت مولى * قصر فى شكرك العبيد

(وله) يخاطب الوزير أبا محمد بن عبدون رحمه الله ويستدعي منه شوذانقا (طويل)

اغادية بانت مع الروض والنقت * على الغور ريح الفجر مرت بدارين
خطت فوق أرض من عرار وحنوة * وحطت بروض من بهار ونسرين
وباتت بوادي الشحر تحت ندى الصبا * الى الصبح فيما بين رش وتدخين
ومرت بوادي الرند ليلا فأيقظت * به نائمات الورد بين الرياحين
اذا ملت عن مجرى الجنوب فبلغي * سلامي مبلول الجناح بن عبدون
وبين يدي شوقي اليه لبانة * تخفق من قلب للقباه محزون
* مضى الانس الا لوعة تستفزني * الى الصيد الا انني دون شاهين
فمن به ضافي الجناح كأنه * على دستبان الكف بعض السلاطين
اذا أخذت كفاه يوما فريسة * نمن عقد سبعين الى عقد تسعين

وله يرثي زوجه (بسيط)

يا ربة القبر فوق القبر ذو حرق * يرثي له القبر من شجو ومن شجن
تباينت فيك أحوالي أسى فمضى * الى لقائك صبري طالب الوسن
وخالف القلب فيك العين من كمد * فاسود بالغم وابيضت من الحزن

(وله مراجعا لابي الحسن بن الرماد عن قطعة كتبها اليه من السجن) وذلك أن أهل أشبونة ثاروا بأبي زكريا يحيى بن تين ابراهيم وأصحوه من ظلالها ورموه بصائبات نبالها وانتزوا على أمير المسلمين فيها وغزوا واصلها ومواقيها وأوقدوا نارا صلوا بحرها وأقاموا حربا عادوا واغرقي بحرها وكان أبو الحسن من أصلبهم فيها عودا واثقبهم بروقا وأصولهم رعودا فلما انجلى لباها وتقلص ذيلها وظفر الامير رحمه الله بيطلهم ومقدامهم وأخذهم بنواصيهم وأقدامهم وعاقبهم على جرأتهم واقدامهم بعثه الامير الى بطليوس مصفودا ووجه اليه من النكايات وفودا فكتب الى أبي بكر يسترجع منه ويريح نفسه بنفثه فراجعه (طويل)

أتتني على رغمي فما شئت عبرة * أرشت بها عيناي طلها وابل
ومن زفرة أمسكتها لو بعثتها * لذاب لها النكلان قيدك والقفل
تساوت بنا حال وان كنت سارحا * فداري بكم سجن ونعلي بكم كبل
عن المجد عاق الخيل رجلك والعلا * كما حبست دون المدى السابح الشكل

ولاعجب ان ضمك السجن انه * لعمر العلا غمد وأنت له نصل

ولاخيه أبى الحسن (متقارب)

ذكرت سليمى وحر الوغى * كجسمى ساعة فارقتها
وأبصرت بين القنا قدها * وقد ملن نحوى فعانقتها

(وركب الى سوق الدواب بقرطبة) ومعه أبو الحسين بن سراج فنظر الى أبى الحكم ابن حزم غلاما كماعق تمائمه وهو يروق كأنه زهر فارق كمائمه فسأل أبا الحسين ابن سراج أن يقول فيه فأرتج عليه فثنى عنان القول اليه فقال (طويل)

رأى صاحبى عمرا فكلف وصفه * وحملنى من ذاك ماليس فى الطوق
فقلت له عمرو كعمرو فقال لى * صدقت ولكن ذا أشب عن الطوق

(الوزير الكاتب أبو محمد بن الحبير رحمه الله تعالى)

شيخ الاوان القاعد على كيوان الذى بهر بابداعه وظهر على الصبح عند انصداعه وعطل العوالى ببراعه وأطلع الكلام رائقا وجاء به متناسقا وقد أبت من محاسنه ما تخال الروض عنه مبتسما وترى الاحسان فى زمانه مرتسما نزلت عنده فى احدى سفراتى نزولا أجنانى أزاهر مسراتى وأولانى كل مستحسن سهل وأرانى أيام ابن الجهم مع الحسن بن سهل وأقطفنى كل نضر يانع وأباح لى كل أمل لم تعقه أيدى الموانع فلما أردت الانصراف أنشدنى (طويل)

يذكرنى نبل الهمام أبى نصر * زمان اهتمامى بالقريض وبالنثر
على حين خليت البراعة غاضبا * عليها وأخليت الدواة من الحبر
ومالى لا أهدى الملام اليهما * وقد رفعا من قدر كل عز غمر
فلله مايسدى ويلحم طبعه * وينثر من شذر وينظم من در
ولله منه همة عربية * أبت أن ترى الاعلى قمة النسر
لقد أحرزت علياه كل فضيلة * مطرزة الابراد عاطرة النشر
الى حسب كالماء يصقله الصبا * وعرض كعرف الروض غب حيا يسرى

وله أيضا (وافر)

بدار الملك من صرف الزمان * حوادث تجتليها الناظران
تبدلت الحوافر من خدود * وغر الخيل من غر الغوانى
مطالع أوجه الغيد الحسان * غصصن بكل يعبوب حصان

كأنّ نسور أيديهنّ فيها * يطأن غراب عيني أو جناني

وله (بسيط)

يا هاجرين أضل الله سعيكم * كم تهجرون محبيكم بلا سبب
ويا مسرين للاخوان غائلة * ومظهرين وجوه البرّ والرحب
ما كان ضركم الاخلاص لو طبعت * تلك النفوس على علياء أو أدب
* أشبهتم الدهر لما كان والدكم * فأنتم شرّ أبناء لشرّ أب *
ما زدتمو قدرى أيام وصلكم * نباهة لا ولا ذكرى ولا حسبي
ولا ازدريتم به أيام هجركم * فلستم من صعودى لا ولا صببى

وله (متقارب)

رأيت الكتابة والجاهلو * ن قد لبسوا عزها الامة
فقلت لكل فتى كاتب * بديع الفصاحة علامة
اذا عز غيركم بالمداد * فلا أنبت الله أقلامه

وله أيضا (كامل)

أركابكم شطر العزيب تساق * يوم النوى أم قلبي المشتاق
عجبت على عيون رأيي في الهوى * لله ما صنعت بي الاشواق
ولقد أقول لصاحب ودعته * وقد استهل بدمعي الاهراق
يا قافلا تقبل برؤية دوحة * أضفت ظلال فروعها الاطواق
من تغلب الحرب التي ان غولبت * شقيت بحد سيوفها الاعناق
فهم اذا ما جالسوا أو واكبوا * أخذوا بحقهم الصدور فراقوا
قاض كأن الليث حشو بروده * وكأن ضوء جبينه الاشراق
بالله ربك خصه بتحية * من ذى خلوص قلبه تواق
يصبو الى تلك العلا فكأنه * صب أصابت لبه الاحداق
ثاو بأرض بداوة لكنها * بالمالكين الكرام عراق
قوم اذا ومضت بروقهم همى * صوب الحيا وأنارت الآفاق
واذا استقل بنانهم بيراعة * لبست وشيع برودها الاوراق
واذا انتدوا وتكلموا أنسيت ما * صاغته من أعلاقها الاحقاق
أنصاركم وحماة مجدكم وما * أولاكموه من العلا الخلاق

بلقالق ذلق كان حديثها * درر يفصل بينها النساق
فهم اذا ألقوا حبال بنانهم * غلبوا جهابذة الكلام ففاقوا
لما جروا وشأوا ونالوا ما اشتهوا * وثنوا أعنتهم وهم سباق
نصبت لهم حسدا على ما خولوا * من سودد ونفاسة أوهاق

وكتب أيضا

يا أيها القمر الذى يجلو دجى الخطب البهيم لناسناه
هل لامرئ ألقت اليك به يد التأميل ان يلقى مناه

مع انه لا يحاول غاليا ولا يطاول عاليا وانما يطلب ما طف ويخطب ما خف وذلك لاحتشاد الكساد فى اسواق صناعته وائتمار البوار باعلاق بضاعته التى هى جواهر فى أعناق حبا آذر وقلائد على أطواق خرائد وخود مفصلة العقود وقدود موشاة البرود وخمائل مصندلة الغلائل ومجاب مطاولة الاثمار ومجان معسولة الثمار من أدب كالذهب وكلام كالمدام يسكر مما يسحر ان من البيان لسحرا ولكنها أطواق اختطف عمرها وأعلاق خسف بدرها فجهلت قيمتها وجعلت تلو الخرز يتيمتها ولولا هذه البقية التقية العادلة الفاضلة الزكية الشريفة المنيفة التغلبية أعلى الله قدرها وأوزعنى وجميع الآملين شكرها مابقى لصناعة البراعة رسم الادثر (كامل)

بل بدلت أعلى منازلها * سفلى وأصبح سفلها يعلو

لتمحق فتلحق من الداثر المعدوم بسدوم (طويل)

وذلك أن الدهر يحسد نفسه * على كل فضل أو يؤب به خسرا

ولا لصناعة البلاغة اسم الا بشر بدالة أهله واذاله فضله ليخفى فيلفى من الغابر المفقود كثمود هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا فبالدرر الآداب واستعبار تجارها من بوارها وبالغرر نتائج الالباب واستنثار أقمارها فى احتقارها وبالفصاحة تستطير الاقلام وزجاجة تقصر الافهام وقد * أخنى عليها الذى أخنى على لبد * فلا دار ولا سند ولا نوى ولا مظلومة جلد (خفيف)

كل شئ مصيره للزوال * غير ربى وصالح الاعمال

* على مثله فليبك من كان باكيا * ثم يرجع الحديث الى ابن اسحق فانى والله ما قصدت

الذى سردت من تأبين هذه المعادن لكن الحديث ذو شجون (كامل)

ولربما ساق الحديث بعض ما * ليس الندى اليه بالمحتاج

ولاأردت الذى أوردت من الاعلان بهذه الاشجان

* ولكن تفيض العين عند امتلائها * وأما الذى أردته فهو أمر أورده على الخبير ابنى وعبده ثم حدثت له أن لايخرج عنه الابين يدى مجده ان حل من عقد لسانه التقريب واستقل بعين بيانه الترحيب ولئن كان ذلك فلا حلين ماهنالك من سلف كريم وشرف صميم وهم نفوس أبية وشم أنوف تغلبية بشذور منثور هى الغناء المعبدى وعيون موزون هى السناء الابدى (بسيط)

انى اذا قلت قولا مات قائله * ومن يقال له والقول لم يمت

وان أخذ باذيال حسن الاصغاء والاتقع عوامل تأميلى عنده دام عزه فى باب الالغاء وجد ذلك الاحسان جواهر تقرط بها الآذان ومسكا يفتق وعنبرا يحرق ان شاء الله تعالى (وكتب) اليه أيضا (كامل)

قولوا الخضرة اذ تسائل حرمها * جيئى جهينة ترجعى بيقين

اقذيت عينى بالزمان وأهله * حتى نظرت الى بنى حمدين

الوارثين المجد عن آبائهم * والحاملين العلم عن سحنون

قوم اذا حضروا الندى تميزوا * بعلو همة ونور جبين

متزلفين الى الاله فشأنهم * اصلاح دنيا أو اقامة دين

بمحمد لله در محمد * من مستهام بالعلا مفتون

قاضى القضاة المستضاء بمسفر * من رأيه مثل الصباح مبين

طود من الفضل استقل زماعه * باغاثة الملهوف والمحزون

وبأحمد البانى العلا نلت المنى * وأخذت رايته بغيتى بيمينى

قاض كأن الحق نور ساطع * يغشى الورى من وجهه الميمون

قراكواكب تغلب ابنة وائل * ذات الغنى والايد والتمكين

الوارثين كليبهم فهم اذا * مانوزعوا فى المجد أسد عرين

واذا يلينهم خضوع منازع * فلواله من غسره باللين

أهل الرصانة والفطانة والنهى * والعلم بالتقليد والتدوين

فعليهم منى السلام تحية * كالفاغم المجلوب من دارين

أيد الله الفقيه الاجل والغيث الواكف المنهل قاضي الجماعة وسيدها وعاضدها ومؤيدها انه أعلى الله قدرك وأوزعني وأهل هذا العصر شكرك لما أذابتني لفحات الاشواق الى تلك الآفاق التي تشرقون بها أقمارا وتفهقون فيها بحارا (وافر)

وما دهري بحب تراب أرض * ولكن حب من سكن الديارا

وانما هو كما قيل (طويل)

أحب الحمى من أجل من سكن الحمى * ومن أجل أهليها تحب المنازل

ورابتني غمرات الوجد بذلك المجد العالية قلله الغالية حلله الرائع تطريزها الخالص ابريزها كما * راب العليل لغامز العوّاد * عاينتها نفسا صبة وقلبا قد حشي محبة بمعاريته لعلالئ من برود كصفحات الخدود (كامل)

جادت عليها كل عين ثرة * فتركن كل حديقة كالدرهم

ونظمته من حلالك كلاما لو شرب لكان مداما ولو ضرب به لكان حساما ثم أنهيته بعدما أمهيته (طويل)

ليعلم مولاى بأنى عبده * وأن فؤادى عنده وهو فى صدرى

وأنى لا أنفك أخدم مجده * بكل بديع من قريضى ومن نثرى

ويأخذ باذيال ما وصفته من هذه الحال (متقارب)

انه رمانى الزمان باحداثه * فبعضا أطقت وبعض فدح

ومن أثقلها وأفدحها وأعلنها وأفضحها وأغلبها وأعزها وأسلبها وأبزها ومن عز بز أنه كان لى نسيب قريب وربيب حبيب (بسيط)

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه * أم الطعام ترى فى ريشه زغبا

فلما شب دب ليلقط الحب فما خص حتى قنص ولا أخذ فى الحركة حتى وقع فى الشركة * ويعدو على المرء ما يأتمر * وذلك انه أم قرطبة حرسها الله طالبا جدم مال كان قد تصدق به عليه جده رحمه الله فاذا به قد ألفى هنالك عاصبه وهو قد نصب له مجانبه وفتح أشراكه وبسط تحت هذا المطمع شباكه فما نزل حتى كتف ولا خصل حتى نتف فأصبح مغلوبا مسجونا محزونا مشجونا (طويل)

اذا قام غنته على الساق حلية * بها خطوه وسط البيوت قصير

هكذا أعزك الله أورد بعض من ورد وبه أخبر بعض من استخبر

* وفي النوى يكذبك الصادق * فانه قد حدث غيره أنه في وثاق لكنه غير محلي الساق وتحت اعتقال شديد ولكنه بغير حديد (طويل)

ومن يسأل الركبان عن كل غائب * فلا بد ان يلقى بشيرا وناعيا

فلو ترى أمه أمتك سترها الله وهي من اليم اشفاقها وعظيم وجدها وانطباقها قد ذهبت أو كادت بل قاربته وزادت لولا ناظر غريق بطرف وعين سخينة تذرف و * رب عيش أخف منه الحمام * لاحتدمت فارحمت ولا استعبرت فما أبصرت وهذا المظلوم المسجون المكظوم المحزون الذي غلب صبرها همه وملأ صدرها امله فقتلها بما أذهلها فتى يعرف بفلان أقال الله عثرته وأزال غمرته فهل لك أن تتدارك هذه المسكينة بحسنة تعدل عند الله عبادة ألف سنة لقوله عز وجل ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعا لتبهت المخبر أهله حيث خاطبت مولاي فهززت فضله ومن به عمر نام ومثله أعزه الله ممن بذ الكرام وشح في مثلها بالحسام ثم أمر كاسلا للاجلام (طويل)

والا فلم قالوا عتيبة فارس * يشب وقود الحرب بالحطب الجزل

فعل ان شاء الله تعالى ما هو أهله وعند ربه من حسن الثواب عدله انه لا يضيع أجر من أحسن عملا بحوله وطوله ومنه ويمنه والسلام

(الوزير الكاتب أبو محمد بن عبد الغفور رحمه الله تعالى)

قد كنت نويت أن لا أثبت له ذكرا ولا أعمل فيه فكرا وأدعه مطرحا وأقطعه الاهمال مسرحا لتهوره وكثرة تقعره فانه بادي الهوج واعر المنهج له الفاظ متعقدة وأغراض غير متوقدة لا يفك معماها ولا يعلم مرماها مع نفس فاسدة الاعتقاد نابتة الاحقاد تتكد بالافراح وتحسد حتى على المياه القراح وتغص بفارس براعة وتتربص الدوائر بحامل يراعة الى لسان لا ينطق الا هجرا وأجفان لا ترمق من توقد الحقد فيها جمرا فهي ترى الظلم مكان الانوار وتود أن ترى النجاد كالاغوار أستغفر الله الا تطمه فربما ألم فيه بالبدائع الملما وملك لها زماما وصرف فيها السنا ناصنا عا وأسال لها بالمحاسن تلاعا وله سلف نبيه أعقله في حبالة هذا الديوان وألحقه بأعيان الاوان وربما ندرت في نثره ألفاظ سهلة الفرض مستنبلة الغرض سلسة القياد وارية الزناد تقرب مما جمعت وتتزحزح بما رقت وشعشعت لئلا أكون ممن قصد اغفالا واعتقد اهمالا

العبارة وقد أثبت منه فنونا يكحل بها الاستحسان جفونا فمن ذلك قوله يخاطب أبا بكر بن اللبانة وكان على طريقين فلم يلتقيا (طويل)

تشرّق آمالي وسعدي يغرّب * وتطلع أوجالي وأنسي يغرب
سريت أبا بكر البدر وانما * أنا الكوكب الساري تخطاه كوكب
فبالله الا ما منحت تحية * تكرّ بها السبع الدراري وتذهب
وبعد فعندي كل علق تصونه * خلا ثق لا تبلى ولا تتقلب
كتبت على حالين بعد وعجمة * فياليت شعري كيف يدنو فيعرب

(وللماءات بن لبون) صاحب لورقة ووصل أمرها اليه وحصل تدبيرها في يديه طلب ملكا يعطيه صفقتها ويعطيه صهوتها اذ لم يصح لتوليها والعدو يلبطها براوحها بالغارة ويغاديها فوصل الى المعتمد رحمه الله ملقيا اليه تلك المقاليد ومجنيا له أفنانها الاماليد فتلقى بالبر وفادته وصلته وأنزل عليه أعيانه وجلته (وأخبرني الوزير أبو الحسين) بن سراج والوزير أبو بكر بن القبطرنة أن المعتمد أمرهما بالمشي اليه والنزول عليه تنويها لمقدمه وتنبيها على حظوته لديه وتقدمه فسارا الى بابه فوجداه مقفرا من حجابه فاستغربا خلوه من خول وظن كل واحد منهما وتأول ثم أجمعا على قرع الباب ورفع ذلك الارتياب فخرج وهو دهش وأشار اليهما بالتحية ويده ترتعش وأنزلهما مجلا ومشى بين أيديهما مجلا وأشار الى شخص فتوارى بالحجاب وبارى الريح سرعة في الاحتجاب فقعدا ومقلة الخشف ترمق من خلل السجف فانصرفا عنه وعزما أن يكتبا اليه بما فهماه منه فكتبا اليه (وافر مجزوّ)

سمعنا خشفة الخشف * وشمنا طرفة الطرف
وصدّقنا ولم نقطع * وكذّبنا ولم تنف
وأغضينا لاجلالك * عن الاكرومة الظرف
ولم تنصف وقد جئنا * وما تنهض من ضعف
وكان الحكم أن تحمل أو تردف في الردف

فراجعهما في الحين بقطعة منها (وافر مجزوّ)

أيا أسفا على حال * سلبت بها من الظرف
ويا لهفي على جهلي * بضيف كان من صنف

[illegible]

[illegible]

[illegible]

عليه فاعتذرت له وشكرت تطوّله وتفضله فما كان غير بعيد حتى وافانى
مسليا لى ومؤنسا وأعاد لى المكان مكتسيا وبتنا بليلة لم أجد للدهر غيرها
ولم أحمد الا طيرها ولما كان الغلس تركنى مزمعا وانفصل عنى مودّعا فلما حل
بموضعه كتب الى استكمل الله تعالى لمثنى الوزارة سعادة واستوصله من سموّها
عادة وأسأله المسرّة بدنوّها معادة كيف لا أراقب مراقى النجوم وأطالب
مآقى العين بالسجوم وقد أنذر بالفراق منذر وحذر من لحاق البين محذر
ويا ليت ليلتنا غير محجوب وشمسنا لا تطلع بعد وجوب فلا نروّع بانصداع
ولا نفجع بوداع حسبنا الله كذا بنيت هذه الدار وأبى سبحانه أن تصل شمس
انسنا الاقدار ولعلها تجود بعد لأى وتعود الى أحسن رأى فننتظر رحيلا
وتعمر ربعا محيلا وكنت كثيرا ما أخاطبه على البعد وأواصله بتجديد العهد
فوافى بلنسية فلم يمكن لقاؤه ولم يتمكن بقاؤه فارتحل وكتب الى يا سيدى
المخوّل كريم الصفاء المفضل فى زمرة ذوى الاخاء المؤهل للمحافظة على الوفاء
ومن لاعدمت من أمره انصافا ومن برّه اسعافا ودّنا كالسراب بعده أنس
وقربه يأس وعهدنا كالشباب حظه مبخوس وفقده تتوجع منه النفوس
فنحن نقنع بالسؤال ونتمتع بالخيال ونلتقى على النأى تمثلا ولا نبتغى فى الحى
تأملا وما كذا ألفت الحميم ولا على هذا خلفت الرأى الكريم ولا أدرى لعل
للأقطار خواص تغير وللأحرار أخلاق تسير فيجب ان أعد لكل خلق خلقا
وأسلك فى معاشرة الناس طرقا مقال لو كان حقا وأنى من قائله صدقا
وأنى وهو بالاحتمال قمين وبحسن التأويل ضمين ولكنها زفرة شوق لاعج
وهجرة توق هائج تثور ثم تسكن وتتأمل عينها فتحسن وحبذا فعل الصديق
كيف تقلب ومذهبه حيث ذهب وأكرم بقدره ما أنجب وبذكره ما أطيب
وأعذب لازلت أتمتع ببقائه ولا أمنع من لقائه بمنه (وكتب) الى الرئيس أبى
عبد الرحمن بن طاهر وقد وصل بلنسية ليلا لا أشتكى من الليل طولا ولا أذم
جنحه موصولا وقد زادت بى حال صباحه وكالفنى أشد كفاحه ووصلت
البارحة على حين هجيع السمير وامتنع الى حضرة الجد المسير وفى يومنا للترجاء
امتداد وللوفاء ميعاد ولدى شوق يطير بى اليه مطارا ولا يوجد من دونه
لمستقرارا فسكنت من استطارته قليلا وبردت من برحائه غليلا وعبرت

رتبة ولا كانت الايام قبل رفعته بوزارة ولا كتبة فهو المرء يرفعه دينه ولبه وينفعه لسانه وقلبه ويشفع له علمه وحسبه وتسمو به همته وأدبه ويضوي بين يديه شانيه وحاسده ويثبت في أرض الكرم حين يريد أن يجتثه حاسده ويفديه بالفضل من لا يوده وينصره الله باخلاصه حين لا ينصر سواعه ولا وقه (طويل)

وان أمير المسلمين وعتبه * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وما هو أدام الله عزه الا نصل أغمد ليجرد وسهم سدد طريقه ليسدد وجواد ارتبط ليخلي عنانه وقطر تأني سحابه وسيسيله بنانه وان المهارق لتلبس بعده ثياب حداد وان ألسنة الاقلام لتخاصم عنه بألسنة حداد وسينجلي هذا القتام عن سابق لا يدرك شمله ويجدد الملك الهمام باكرام لا يكتر منهله ويونس ربع الملك الذي أوحش ويؤهله ويرقيه أيده الله الى أعلى المنازل ويؤهله وينشد فيه وفي طالبيه (كامل)

وسعى اليّ بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالا

وأنا أعلم انه أعزه الله سيبرم بهذا الكلام ويوليني جانب الملام ويعد قولي مع السفاهات والاحلام فقد ذهب في رفض الدنيا مذهبا وجلا التوفيق عن عينيه غيهبا وترك اعبيد الشهوات تمسك بحطامها وترتع في حطامها وأسأل الله عملا صالحا وقلبا مصالحا ويقينا نافعا واخلاصا شافعا بمنه ان شاء الله

(الوزير الكاتب أبو جعفر بن أحمد رحمه الله تعالى)

كاتب مجيد وفاضل مجيد انخفض عن الارتفاع ونفض يده من الانتفاع فلم يلج في سماء ولم يرد مورد ماء وكانت له نفس علية تزهو بها الجوانح والضلوع وسجية سنية يعبق منها الفضل ويضوع ومازال يغص بالايام وحالها ويتنغص بباطنها ومحالها حتى أضله الحمام وغشاه وأجنه التراب في حشاه وقد أثبت من كلامه ما تنشرح له النفوس ويلذ بسماعها الجلوس دخلت جبة بجانة ليلا وجفونها بالظلام مكحلة ومتونها من الانس ممحلة فتشوقت مستوحشا ووقفت منكمشا لا أجد أين أريح ولا أدري مع من أستريح فبعد ونية لقيني من أنزلني بها في منية نائية عن الديار خالية من الصار فاحططت حتى وافاني رسوله يحمل رغبته في الانتقال اليه والنزول

فاذا ماسألته كان سمحا * واذا ماهززته كان لدنا
مؤثرا أحسن الخلائق لا يعـرف ضنا ولا يكذب ظنا
أنت ماء السماء أخصب واديـه ورقت رياضـه فانتجعنا
نزعت بي الى ودادك نفس * قل ما استصحبت سوى الفضل خدنا

وله يودع الوزير أبا محمد بن عبدون (بسيط)

فى ذمة المجد والعلياء مرتحل * فارقت صبرى اذ فارقت موضعه
ضاءت به برهة أرجاء قرطبة * ثم استقل فسد البين مطلعه

(وكتب الى الوزير أبى محمد بن القاسم) كيف رأى مولاى فى عبده وهو أبارى الوفاء دينا وملة ولا يعتقد فى حفظ الاخاء ملة قصرته الاقدار عن رأيه وأخرته الايام عن سعيه فادرع العقوق ولبست الخلة وضيع الحقوق ولم يضع الخلة أترده بعيب ما جنته الدهر أم يسعه فشيمته الصبر بل يعفو ويصفح ولو كان الغضب يفيض على صدره ويطفح فلمه أعزه الله العقل الارجح والخلق الاسجح والاناة التى يزل الذنب عن صفحاتها ولا يتعلق العيب بصفاتها وان كتابه العزيز وردنى مشيرا الى جملة تفصيلها فى يد العواقب والزمان المتعاقب ولقد اتفقت فى أمر مشافهات انجلت عن تخيير فى الاقطار واتباع الخصب فى مواقع القطار حاشى ما استثنى من الجمع وأفردنا بالحظر والمنع وفلان أيده الله كما يدريه يردد محاسنه ويرويها وينشر فضائله ويطويها الا ان الامور انقلبت عليه فى هذه البلاد فلا تعرف له حالة الا وقد داخلتها استحالة وربما عاد ذلك الى نقصان فى الوفاء وان كان باطنه على غاية الاستيفاء ولله تعالى نظر وعنده خير منتظر ويشهد الله أنى أفردنا بالجلال واتخذ نفسى من أشياعه وأتباعه فى كل الاحوال (متقارب)

فلا تلزمنى ذنوب الزمان * الى أساء واياى ضارا

فسح الله مدته وجازى مودته وأعلى رتبته وأحسن فى كل حال وترحال صحبته لارب سواه (وكتب اليه مسليا عن نكبته) الوزير الفقيه أدام الله عزه وكفاه ما عزه أعلم بأحكام الزمان من ان يرفع اليها طرفا أو ينكر لها صرفا ويطلب فى مشارعها مشربا زلالا أو صرفا فشهدها مشوب بعلقم وروضها مكمن لكل صل أرقم وما لجأته أعزه الله الحوادث بنكبة ولا حطته النائبات عن

رتبة

أو عالج شعر المولود لاصبح أسوده البهيم ناصلا (كامل مجزوّ)

فليهننا انا خصـــصـنا منه بالعلق الخطير * يربو على ملء العيو ن اذا بدا ملء الصدور

لو جاور البحر الخضمّ ألمّ بالنزر اليسير * أوديـــة وطفاء لم تنسب الى مطر غزير

ان لم يقع شكري لكم * أذكى من الزهر المطير

لانلت من زمني سرو * را أرتجيه ولا حبور

و عليه مني ما حييـ * ـت تحية الروض النضير

وكتب اليه في غزاة غزاها (كامل)

سر حيث سرت تحله النوّار * وأراد فيك مرادك المقدار

واذا ارتحلت فشيعتك سلامة * وغمامة لاديمة مدرار

تنفي الهجير بظلها وتنيم بالرّش القتام وكيف شئت تدار

وقضى الالهان تعود مظفرا * وقضت بسيفك نحبها الكفار

هـذا ما اغتناه الولي لا ما اغتناه الجعفي فانه قال حيث ارتحلت وديـعة وما تكاد تنفذ معها عزيمة واذا سفحت على ذي سفر فما احراها بأن تعوق عن الظفر ونعتها بعدرار فكان ذلك أبلغ في الاضرار (وافر)

فسر ذا راية خفقت بنصر * وعد في جحفل بهج الجمال

الى حصن فانت بها حليّ * تغار فيه ربات الحجال

(الوزير الاجل أبو بكر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى)

ماضي البراعة مشهور البراعة محقق بالادب ينسل اليه من كل حدب وله سلف يقصر عن مداناته الاقدار وشرف تمكن فيه القطب المدار مع سالفة يتفق عليها ولا يختلف ومنزلة يتطلع اليها ويستشرف وهمة طالت كالسماك وطاولته وتناولت كل ما حاولته وبنو عبد العزيز بنو سبق وتبريز ما منهم الاعلام مناظر ولا فيهم الامن هو للدهر ناظر وقد أثبت لهما يبهر النفس وبروقها ويحسده طلوع الشمس وشروقها فمن ذلك قوله (خفيف)

قد هززناك في المكارم غصنا * واستلناك في النوائب ركنا

ووجدنا الزمان قد لان عطفا * وتأتى فعلا وأشرق حسنا

قـرت به أعين الرعايا * فأعملوا أكؤس السرور
وأصبح الشرك فى ثبات * يدعون بالويل والثبور
يا أيها الملك اقبلنهم * على يعابيبك الذكور
وانهد اليهم بكل نهد * يأبى عن الاين والفتور
وشن غاراتها عليهم * مثل العراجين من ضمور
أهلة لا تزال تسرى * لتحرز الحظ من ظهور
أصدرك الله ذا انتقام * من العدى شافى الصدور

وله فيه حين ارتحل الى قصر اشبيلية (كامل مجزو)

هـذا محلك يا أمير * فاعمره متصل السرور
قصر تضاءلت القصو * ر له ودانت بالقصور
فاسحب به ذيل العلا * مدى الليالى والدهور
وانعم باحراز الاما * نى فى الوفود وفى الظهور

لا تزال به أبدا رئيسا ولا زال للمن كل ليث ضبارم خيسا تداس فيه بين يديك جماجم الاعداء حتى تكل أنامل العد والاحصاء ويتردى من قادة ذويك واخوتك السادة وأقربيك بنجوم رجال كالجبال أنت بدرها المنير ورضوى ماثلا بينها أو ثبير ان دنا من علائك شيطان فتنة رجمته بمشرعات الاسنة وان زحم ركن سنائك منكب عظيم حطمته بمقرطات الأعنة تطيع الخامها باللجم وتفهم عن أهلة لثم كأنما اقتعدت من صهواتها بروجا واعتقدت الى حيث المنازل المقدرة لاشباهها عروجا لتتم هنالك بدورا وتمثل قدرا مقدورا وتحدق بك فى الهيجاء احداق مقلة العين بانسانها وتجرى فى اللقاء على سنن أولياتها واستنانها (كامل مجزو)

وبمثل قومك جالت الـ خيل اليعابيب الذكور
وحكت سماوتنا السما * ء بهم نجوما أو بدور
وبمثل رأيك آذنت * دهم الحوادث بالسفور
ماض اذا أعملته * أغناك عن عضب ذكير
وأراك من صور العوا * قب كل محتجب ستير

تفل الصوارم ولا يفل وتحل العزائم ولا يحل لو ضرب بالعود لعاد أبيض فاصلا

وتعصب باطلا وترك مكان الحلى عاطلا فقد علم الله أنى انحرف عن التعليل وأغفر الكثير للقليل واتغافل فى الهنات لذوى الهيئات وآخذ الحسنة من اثناء السيئات وقد أثبت له ماشذ من ابداعه ولم أبخل بتضمينه فى هذا التصنيف وايداعه ورفضت كثيرا من كلامه فقليلا ما يتوضح فجر احسانه فى ظلامه فما انتخبت له قوله يمدح الامير يحيى بن سير ويذكر فرسا أشهب جاء سابقا (بسيط مخلع)

يا ملكا لم يزل قديما * بكل علياء جد وامق
وسابقا فى الندى أتتنا * جياده فى المدى سوابق
تضمنها أسيل خد * أهديت شدقه كالجوالق
حديد قلب حديد طرف * ذو منكب يشبه البواسق
ذو وحشة فى الصهيل دلت * منه على أكرم الخلائق
أشهب كالرجع مستطير * كأنه الشيب فى المفارق
خب غداة الرهان حتى * أجهد فى اثره البوارق
ما أنس لا أنس اذ شآها * مشربات مثل البواشق
وبذها ضربا عتاقا * لم ترض عن خصرها العواتق
فقمن يسعين منه رشحا * مطيبات به المخانق
أفديه من شافع لبيض * قد كن عن بغيتى عوائق
انصع منه لرأى عينى * سود عذار الفتى الغرانق

وله فى الامير يحيى (بسيط مخلع)

ان الامير الاجل يحيى * نجل الامير الاجل سير
بدر تمام بلا محاق * يجل عن هذه البدور
حف به كل ذى سناء * أبهى من الكوكب المنير
كالنجم فى رجمه عداه * بكل ماضى الشبا طرير
أرعى من النجم للرعايا * أروع سام عن النظير
لذت به من صروف دهرى * فكان من جورها مجيرى
ومد نحوى يدا بجود * أهمى من العارض المطير
ألقى شعاعا على ليلا * تخلتنى فى سنا منير
حتى فأرضى الالٰه ثغرا * حتى له لذة الثغور

(وأخبرني الوزير) أبو الحسين بن سراج أنه ركب معه في عشية الشك من شعبان ومعه لمة من أعيان قرطبة وقد غلبوه على المسير معهم وألزموه مجتمعهم فخرج وهو مكره لا يتطلع الى ذلك ولا يشره ونفسه متعلقة بنشوة أطمعها بها وسلوة أطلع لها كوكبها فكان يروم التفلت ويكثر التلفت وكلهم قد حف به ووقف دون مذهبه حتى أخذ معهم في أمر جواده وعتقه وبالغ في وصف مباراته وسبقه ثم قام على متنه يريهم أنه يجريه ويعرض عليهم تباريه فطار بجناح وصار الى بغيته دون جناح فانتظروه ليسفر عنه العجاج وتطلعه تلك الفجاج فلم يروا الامنهجه ولا اقتضوا عوضا منه الارهجه فعلم أبو الحسين ما حنه وأشاعه فيهم وبثه فما انصرفوا الا وهلال رمضان لائح وهو على راحه رائح فكتب اليه أبو الحسين بن سراج (كامل)

عمري أبا حسن لقد جئت التي * عطفت عليك ملامة الاخوان
لما رأيت اليوم ولى عمره * والليل مقتبل الشبيبة دان
والشمس تنفض زعفرانا في الربا * وتفت مسكتها على الغيضان
أطلعتها شمسا وأنت عطارد * وحففتها بكواكب الندمان
وأتيت بدعا في الانام مخلدا * فيها قرنت ولات حين قران
ولهوت عن خلى صفاء لم يكن * يلهيهما عنك اقتبال زمان
غنيا بذكرك عن رحيق سلسل * وحدائق خضر وعرف قيان
ورضيت في دفع الملامة ان ترى * متعلقا بالعذر من حسان

فكتب اليه مراجعا قطعة منها (كامل)

وأنا أسأت فأين عفوك مجملا * هبني عصيت الله في شعبان
لو زرتني والآن تحمد زورة * كنت الهلال أتى بلا رمضان

وكتب في حينه ذلك الى أبي بكر بن القبطرنة (طويل)

فديتك لا عرف لدي ولا نكر * ولا حجة لي قد أبى ذلك السكر
اذا قلت جئ ماذا يقول محمد * وليس له في أن يجيب بلا عذر

(وأخبرني الوزير) أبو بكر بن القبطرنة أنه كان قاعدا ببابه ببطليوس في غدوة الجمعة وقد اجتمعت العساكر وروعت تلك الكنائس والدساكر ولا أحد الاراغب في الشهادة مؤمل موته هنالك واستشهاده اذا برجل قد وضع بيده رقعة لاعنوان

لها فلما تأملها وجد فيها (طويل)

عطشت أبا بكر وكفاك ديمة * وذمت اشتياقا والمزار قريب
فخفف ولو بعض الذى أنا واجد * فليس بحق أن يضاع غريب
ووفرلنا من تلك نحظى بها * تساوى وبعد الغزو سوف نتوب

فقال له ابن اليسع صاحب هذه الرقعة أو قد حل فى هذه البقعة فقال له نعم فاستغرب ما قصد اليه وذهب ووجه اليه من التضييف ما وجب وقرن به خمرا وكتب معه (طويل)

أبا حسن مثلى بمثلك عالم * وعندك بعد الغزو ليس يتوب
فخذها على محض الصفاء كأنها * سنا مالها بعد الحساب تتوب

(الوزير المشرف أبو محمد بن مالك)

ورد نهر المجد علاء وقلد نحره الزمان ولاء مع همم أنافت على الكواكب وكرم صاب كالغمام الساكب ووقار لا تحيل الحركة سكونه ومقدار تمنى مخبر أن يكونه وشيم كصفو الراح أو الماء القراح لو كانت فى الروض ما ذوى أو ظهرت للخلق ما ارتد أحد بعد ما شوى ولم يزل بعد ما استقل من الاصالة والنهى ينقل من سماك الى سها حتى أقطعه أمير المسلمين وناصر الدين خلد الله ملكه ماله بالاندلس من حصة وأقعده على تلك المنصة وبوأه المراتب اللائقة بها المختصة وله أدب زاخر اللجة باهر الحجة لائح البهجة واضح المحجة يروق مجتليه ويزف زهره لمجتنيه وقد أثبت من فائق كلامه ورائق نثره ونظامه ما تديره الاوهام راحا وتتعاطاه وتوسد النباهة خدها أبردى أرطاه فمن ذلك قوله فى مجلس أطرب سماعه وبسطه احتشاد الانس فيه واجتماعه (خفيف)

لا تلمنى بأن طربت لشدو * يبعث الانس فالكريم طروب
ليس شق الجيوب حقا علينا * انما الحق أن تشق القلوب

(ولما كثر) اختلال الشرق وفساده وظهر استفحال العدو فيه واستنساده صرف أمير المسلمين اليه وجه اهتمامه وجد فى صرف الشوائب عن جمامه وجعل رأيه فيه سميره وأنعل نظره له جده وتشميره ووجه أمواله لرم خلته وحسم علله واقامة ميله وانتعاش رجله وخيله ثم خاف أن ينتهبها العمال وتتعذر تلك الآمال فقلده طوقها وحمله أوقها ووجهه لبناء الاقطار ونبهه

لقضاء تلك الاوطار فاستقل بها أحسن استقلال ونظم مصالحها نظم اللآل فاجتزت عليه بطرطوشة فألفيته مباشر اللامور بنفسه هاجر الها مواصلة انسه فأقمت معه أياما وأوردت منهل بدائعه جوانح كانت عليه حيلما وأنشدني كل مستحسن وأسمعني كل مستطاب استطابة العين للوسن فمن ذلك قوله (بسيط)

سالت بي صروف الدهر والنوب * وبان حظك منها وانقضى السبب
فما حزنك في الخدين منسجم * ونار وجدك في الاحشاء تلتهب
تعجب الناس من حاليك واعتبروا * وكل أمرك فيه عبرة عجب
ضدان في موضع كيف التقاؤهما * النار مضرمة والماء منسكب

(وخرجت باشبيلية) مشيعا الاحد زعماء المرابطين فألفيته معه مسايرا له في جملة من شيعه فلما انصرفنا مال بنا الى معرس أمير المسلمين أدام الله تأييده الذي ينزله عند حلوله اشبيلية وهو موضع مستبدع كان الحسن فيه مودع ماشئت من نهر ينساب انسياب الاراقم وروض كما وشت البرود بد راقم وزهر يحسد المسك رياه ويتمنى الصبح أن يبسم به محياه فقطف غلام وسيم من غلمانه نورة وملي بيده الى وهي في كفه فعزم علي أن أقول بيتا في وصفه فقلت (طويل)

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه * وفي كفه من رائق النور كوكب

فقال أبو محمد (طويل)

يروح لتعذيب النفوس ويغتدي * ويطلع في أفق الجمال ويغرب
ويحسد منه الغصن أي مهفهف * يجيء على مثل الكثيب ويذهب

(وكتبت اليه) يوما مودعا فجاوبني جوابا مستبدعا وأخبرني رسولي أنه لما قرأ الكتاب وضعه وسوى وكتب وما فكر ولا روى ياسيدي الاعلى جرت الاقدار بجمع افتراقك وكان الله جارك في انطلاقك فغيرك من روع بالظعن وأوقد للوداع جاحم الشجن فانك من أبناء هذا الزمن خليفة الخضر لا تستقر على وطن كأنك والله يختلف الاسماع تأتيه وتدعه موكل بفضاء الارض تذرعه فحسب من نوى بعشرتك الاستمتاع ان يعتد لمن العواري السريعة الاسترجاع فلا يأسف على قلة الثوى وينشد وفارقت حتى ما أبالي من النوى

(الوزير الكاتب أبو القاسم بن السقاط)

مستعذب المقاطع كأنما صوّر من نور وساطع أبهى من محيا الظبي الخجل وأحلى من الامن عند الخائف الوجل يهب عطرا نشره ولا يغب حينا بشره تجتليه بساما وتنتضيه حساما ان واخاك أبرم عقد اخائه وأعفاك من زهوه واتخائه ماصفائه وارف يكاد يقطر وسماء احتفائه واكفة أبدا تمطر وله أدب لو نشر لكان بردا محبرا أو تنسم لهب مسكا وعنبرا وأما الخطابة ففي يده صار عنانها وعليه وقف عنانها وقد أنبت من نظمه ونثره ما ينظمه الزمان عقدا في نحره فمن ذلك قوله يصف أيام إيناسه وما كيف له الشباب من أنواع الوصل وأجناسه (متقارب)

سقى الله أيامنا بالعذيب * وازماننا الغر صوب السحاب
اذا الحب يا بثن ريحانة * تجاذبها خطرات العتاب
واذ أنت تو ارة تجتني * بكف الهنا من رياض التصابي
ليالي والعيش سهل الجني * نضير الجوانب طلق الجناب
وميلك طيرا بدوح الصبا * وصيدك ظبيا بوادي الشباب

(وله) يصف يوما أطربته فيه الاماني وهزته المثالث والمثاني وجرى الدهر به طوعا في أزمته وانقاد اليه الانس برمته وسقته الراح صفوها وأقطعته الايام طربها ولهوها (طويل)

ويوم ظللنا والمنى تحت ظله * تدور علينا بالسعادة أفلاك
بروض سقته الحاشرية مزنة * لها صارم من لامع البرق فتاك
توسدنا الصهباء أضغاث آسه * كأنا على خضر الارائك أملاك
وقد نظمتنا للرضا راحة الهوى * فنحن اللآلي والمودات أسلاك
تطاعننا فيه ثدي نواهد * نهدن لحربي والسنور أفتاك
وتجلى لنا فيه وجوه نواعم * يخلن بدورا والغدائر أحلاك

(وكتب يشفع) لمدل بذمام شباب صوح نوره وبرح به غدر الزمان وجوره ياسيدي الاعلى وظهيري ومنجدي في الحلا ونصيري المنيف في دوحة النبل فرعه الحنيف في ملة الفضل شرعه ومن أبقاه الله لرحم أدب مجفوة يصلها وحرمة مقطوعة يلحمها ألوفا لمحاسن الاخلاق وقى الله جديد أنعمك من الدروس والاخلاق كالقلم المذهب والخضاب الموشى لراحة الحسب يستفيد به بهجة

التكميل فى العين ورونق التشبيب فى مصوغ التبر واللجين وقد رتبته النهى أشرف ترتيب وبوبته العلا أبدع تبويب فما أحقه بصدر النادى وأسبقه الى المرتبة بشرف المنادى رعاية لاوامر الآداب والمحافظة على الخلة الواشجة فى أعصر الشباب وتذكار الربوع الصبا وأطلاله وعهود اللذات المتنابة فى بكره وآصاله وما سحبت الليالى فى ميادينه من لبوس نعيم وبوس وأجنت الايام فى بساتينه من زهرات أتراح ومسرّات حذو المخلق الاكمل وأخذا بقول الاوّل (بسيط)

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وموصله وصل الله سراءك وأتأل علاءك أبو فلان ذاكر مشاهدك الغرّ الحسان وناشر ما تعتمد فى صلته من مقاصد الحسن والاحسان أبقاه الله ما انطلق معه سمط ناد ولا احتوانى واياه مضمار شكر واحماد الا وأثبت من مآثرك خليطى الدرّ والمرجان وجاء بطليعة السوابق فى احصاء مفاخرك رخىّ اللبب مرخىّ العنان ولقد فاوضنى من أحاديث ائتلافكما فى العصور الدارسة العافية وانتظامكما فى زهرات الانس فى ظلال العافية واتساقكما فى حبرات العيش الرقاق الضافية وارتشافكما لسلافة النعيم المزة الصافية بأفانين الغيطان والنجود وزخارف الروض المجود ومعاطف الطرر بين خيلان الخدود ما لو لقيت بشاشته الصخر الملح بهجة الابراق ولو ألقيت عذوبته فى البحر لاصبح حلو المذاق ولو رقى به البدر لوقى آفة المحاق ولو مرّ ببيداء لعادت كسواد العراق وأزمع ان يسير بنواعج لواعجه فى طرقه ومناهجه ويطير بجناح الارتياح فى الدوّ الى متقاذف ذلك الجوّ ليكحل بالتماحك جفونه ويجلو بوضاحك دجونه ويجدد بلقائك عهد النهج البين رسمه ويشاهد بمشاهدة علائك سرورا محت يد البعد وسمه ويحط من افنائه بشرك بالاهل العامر ويسقط من أنواء برك على الحافل الغامر فخاطبت معرضا عن التعريض ومجتزيا بنبذ العرض ولمح التعريض وتابعاله باسرارك تلك الخطرات ذكر العهود القديمة وارتياحك للقاء مثله من أعلاق العشرة الكريمة وأنت ولىّ ما تتلقاه به من تأنيس ينشر ميت رجائه ويعمر مقفر أرجائه لازلت عاطفا على الاخلاء بكرم الودّ قاطفا زهر الثناء من كمام الحمد بحول الله وقوته

وله (طويل)

ويوم لنا بالخيف راق أصيله * كما راق تبر للعيون مذاب

نعمنا به والنهر ينساب ماؤه * كما انساب ذعرا حين زيع حباب
والموج تحت الريح منه تكسر * يولد فوق المتن منه حباب
وقد نجمت قضب ادان بشطه * حكتها قدود للحسان رطاب
بما شيع مخضر النبات خلالها * كما أقبلت نعمى وراق شباب

(وكتب) عن أحد الامراء الى قوم علية شفعوا والجناة طاعتكم أبقاكم الله ثابتة الرسوم واضحة الوسوم وضمانتكم بالسلطان عصمه الله ضمانة الجبان بالجنة واعدادكم للمكافحة عن الدولة وطدها الله اعداد المهلب للبيات فمالكم والشفاعة لرعاع ندوا عن عصبة الجماعة ونفروا وخاسوا بذمام الطاعة وخفروا ثم ودوا لو تكفرون كما كفروا فارفضوهم عن جماعتكم وذودوهم عن حياض شفاعتكم ذياد الاجرب عن المشرب فنحن لا نقبل على توسل مستخف بالنفاق مستبصر ولا نقبل الخدعة من متماد على الغواية مصر ان شاء الله (وله) فصل من رسالة في اهداء فرس وقد بعثت اليك ايدك الله بجواد يسبق الحلبة وهو يرسف ويتمهل متى ترمق العين فيه تسهل يزحم منكب الجوزاء بك منكبه وتزل عن متنه حين تركبه ان بدا قلت ظبية ذات غرارة تعطو الى عرارة أو عدا قلت انقضاض شهاب أو اعتراض بارق ذي التهاب فاضممه الى أرى جيادك واتخذه ليومي رهانك وطرادك ان شاء الله عز وجل (وأصبحت) يوما منبسط النفس معترض الانس فتربى فارس يحمل كتبا اليه وينفض للسرعة من ذوبه فحملته بيتين يضعهما في يديه وهما (طويل)

عسى روضة تهدي الي انيقة * تدبج اسطارا على ظهر مهرق
أحلي بها نحري علاء وسوددا * وأجعلها تاجا بهيا بمفرقي

فكتب الي مراجعا (طويل)

اتتني على شخص العلاء تحية * كرأد الضحا في رونق وتأنق
انم من الريحان ينضح بالندى * واطرب من سجع الحمام المطوق
سطيران في مغزاهما أمن خائف * وسلوة مشغوف وأنس مشوق
نصرت أبا نصر بها همم العلا * وأطلقت من آمالها كل موثق

(وحللنا) الوزير القاضي أبو الحسن بن أضحى الى احدى ضياعه بخارج غرناطة ومعنا الوزير أبو محمد بن مالك وجماعة من أعيان تلك المسالك فحللنا ضيعة لم

ينحت

ينحت المحل أثلهما ولم ترمق العيون مثلها وجلنابها فى أكناف جنات الفاف فاشتت من دوحة لفاء وغصن يميس كعطفى هيفاء وماء ينساب فى جداوله وزهر يضمخ بالمسك راحة متناوله ولما قضينا من تلك الحدائق أربا واقتضضنا منها اترابا عربا حللنا الى موضع المقيل ونزلنا عن منازه تزرى بمنازه جذيمة مع مالك وعقيل وعند وصولنا بدا الى من أحد الاصحاب تقصير فى المبرة عرض لى منه تكدير لتلك العين القرة فأظهرت التثاقل أكثر ذلك اليوم ثم عدلت عنهم الى الاضطجاع والنوم فاستيقظت الا والسماء قد نسخ صحوها وتغيم جوها والغمام منهمل والثرى من سقياه ثمل فبسطنى بتحفيه وأبهجنى ببر لم يزل يتممه ويوفيه وأنشدنى (بسيط)

يوم تجهم فيه الافق وانتشرت * مدامع الغيث فى خد الثرى همﻻ

رأى وجومك فارتدت طلاقته * مضاهيا لك فى الاخلاق ممتثلا

(وكتب) يستدعيها الى مجلس أنس يومنا أعزك الله يوم قد نقبت شمسه بقناع الغمام وذهبت كأسه بشعاع المدام ونحن من قطار الوسمى فى رداء هدى ومن نضير النوار على نطاء النطار ومن بواسم الزهر فى لطائم العطر ومن غرر الندمان بين زهر البستان ومن حركات الاوتار خلال نغمات الاطيار ومن سقاة الكؤس ومعاطى المدام بين مشرقات الشموس وعواطى الآرام فرأيك فى مصافحة الاقمار ومشافهة الانوار واجتلاء غرر الظباء الجوازى وانتقاء درر الغناء الحجازى موفقا ان شاء الله تعالى

(ذو الوزارتين الكاتب أبو عبد الله بن أبى الخصال أعزه الله)

حامل لواء النباهة الباهر بالروية والبداهة مع صون ووقار وشيم كصفو العقار ومقول أمضى من ذى الفقار وله أدب بحره يزخر ومذهب يباهى به ويفخر وهو وان كان خامل المنشا نازله لم ينزله المجد منازله ولا افترع العلاء هضابا ولا ارتشف الثناء رضابا فقد تميز بنفسه وتحيز من جنسه وظهر بذاته وفخر بأدواته والذى الحقه بالمجد وأوقفه بالمكان النجد ذكاء طبع عليه طبعه ونجم فى تربة النباهة غربه ونبعه وتعلق بأبى يحيى بن محمد بن الحاج وهو خامل الذكر عاطل الفكر فلك قيادا ما موله وهب من مرقد خموله وقدح استعماله اياه زناد ذكائه وأبدى شعاع زكائه ولم يزل عنه رامعه ومستقلا ومثريا حينا وحينا

مقلا الى أن تورطوا فى تلك الفتنة التى الفوا حائلها . وما لمحوا مخايلها وطمعوا ان يغتالوا من أمير المسلمين ملكا معصوما وابرموا من كيدهم ما غدا بيد القدرة مفصوما وفى أثناء بغيهم وخلال حربهم الوبيل وسعيهم كانت ترد عليهم من قبله ايده الله كتب تحل ما ربطوه وتروعهم مما تأبطوه فلم يكن لهم بد من ادنائه لحسن منابه فى المراجعة عنهم وغنائه فورد عليهم ليلة كتاب راعهم وانساهم جلادهم وقراعهم وهم بمجلس أنس فصحوا من حياه ومحوا منه عبق الانس ورياه فاستدعاه فى ذلك الحين للمراجعة عن فصوله والمعارضة لفروعه واصوله فأبان عن الغرض وخلص جوهره من كل عرض وأبدع فى احكامه وبرع فى قضاياه واحكامه فحمل ابا يحيى بن محمد استحسان ما كتبه ان خططه لليمين ولقبه والمدام لرأيه البائل مالكة وبعقله فى طرق الخبال سالكة فلم يعمل فيها فكرا ولم يتأمل أعرفا أتى أم نكرا فجرت عليه لقبا وأعلته من الاشتهار مرقبا وصار مرتسما فى العلية متسما بتلك الحلية وما زالت الدول تستدنيه نائيا وتتنبه دانيا ولا تجعله مجنبا عليه ولا جانيا فما بيده رفع شومه ولا محو وشومه وقد أثبت له ما تجتليه فتستحليه وتلمحه فتستملحه فمن ذلك قوله فى مغتر زار بعد ما أغب وشط منه المزار (كامل)

وافى وقد عظمت على ذنوبه * فى غيبة قبحت بها آثاره
فمحا اساءته بها احسانه * واستغفرت لذنوبه أوتاره

(وكتبت اليه) عندما وصل امير المسلمين وناصر الدين الى اشبيلية صادرا عن غزوة طلبيرة سنة ثلاث وخمسمائة ووصل فى جملته ونزل بمحلته واتفق لى شغل توالى واتصل الى أن رحل أمير المسلمين أيده الله وانفصل فسألت عنه فاعلمت انه سار معه وما فارق مجتمعه فكتبت اليه مستدعيا من كلامه ما أثبته فى الديوان وأثبته فيه زهر بستان فوافاه رسولى من البلد على مرحلة فى ليلة من ضياء البدر محلة فكتب الى مراجعا الحذر أعزك الله يؤتى من الثقة والحبيب يؤذى من المقة وقد كنت أرضى من ودك وهو الصبح بلمحة وأقنع من ثنائك وهو المسك بنفحة فما زلت تعرضنى للامتحان وتطالبنى بالبرهان وتأخذنى بالبيان وأنا بنفسى أعلم وعلى مقدارى أحوط وأحزم والمعيدى يسمع به لا أن يرى وان وردت أخباره تترا فشخصه مقتحم مزدرى ولا سيما من لا يجلى

ناطقا ولا يبرز سابقا فتركه والظنون ترجمه والقال والقيل يقسمه والاوهام تجيله وتحرمه وتخفيه وتحترمه أولى به من كشف القناع والتخلف عن منزلة الامتاع وفي الوقت من فرسان هذا الشان وأذمار هذا المضمار وقطان هذه المناهل وهداة تلك المجاهل من تحسد فقره الكواكب ويترجل اليه منها الراكب فأما الازاهر فلقاة في رباها ولو حلت عن المسك حباها وصيغت من الشمس حلاها فهي من الوجد تنظر بكل عين شكرا لا نكرا واذا كانت أنفاس هؤلاء الافراد مبثوثة وبدائعهم منثوثة وخواطرهم على محاسن الكلام مبعوثة فما غادرت متردما ولا استبقت لمتأخر متقدما فعندها يقف الاختيار وبها يقع المختار وأنا أنزه ديوانه النزيه وتوجيهه الوجيه عن سقط من المتاع قليل الامتاع ثقيل روح السرد مهلهل صرّ البرد الآن يعود به جماله ويحرس نقصه كماله وهبه أعزه الله قد استسهل استلحاقه وطامن له اخلاقه أترانى أعطى الكاشحين في اثباته يدا وأترك عقلى لهم سدا وما خالك ترضاها لى مع الود خطة خسف ومهواة حتف لا يستقل غبينها ولا يبل ظعينها (وله فصل منها) فلم نحل بطائل وصرنا تحت قول القائل (كامل)

ترك الزيارة وهى ممكنة * وأنا الذى من مصر على جمل

الزيارة ههنا أعزك الله مثل لا لفظ محتمل لانى أوجبها ولا استوجبها وأفرضها ولا أفترضها والتأويل على كل حال لا يتعدى الجميل مذهبا ولا يتخذ ليل الشك مركبا وأنت المفتتح للصلة المولى للمنة المشتملة وان رسولك وافانى بكتابك الخطير والشمس واجبة سقوط منازع وحياة الذى يقضى حشاشة نازع والبيت قد غص ببانيه وضاق لفظه عن معانيه فاختلست أحرف هذه اختلاس مسارق والتماح بارق والخاطر مخاطر والشغل مساهم مشاطر يصدر فكرى اليه ويطلع فقرى عليه الاصبابة لا ترد صبابة ورسيسا لا يشفى نسيسا فدونك واهن الدعائم واهى العزائم يتبرأ تابعه من متبعه ويفر سامعه من مسمعه ولولا أن الجواب فرض يجرح معطله ويخرج عن ملة التصافى مبطله لاعتذرت واقتصرت واكنى أوثر حقك وان أبقى على دركا وبوأنى دركا وقد حلت فلا نامًا سمح به الوقت وان اشتبه على القصد والسمت وحاضرت بما يسرت الى ذكره على شريطة كتمانه وستره انقيادا الى أمرك وتصديا الى عقوقك ببرك (وله) أيضا

ابدك الله ليست الاذناب كالاعراف ولا الانذال كالاشراف ولا كل اشراف باشراف فثم من يصم ماولى ويعمى عن الصبح وقد جلى ان ذكرنسى وان عدل فكانما أغرى وكثيرا ما يمتد شططه فتحذف نقطه ويهجر غلطه وان سامحناه فى الضبط وأمتعناه بالنقط نبذ الوفاء فحذفنا القفاء وجفا الكريم فألفينا اللئيم (وله بعد ما بقى ما ألفى) وان أشرف فعلى الخطر العظيم وان اطلع ففى سواء الجحيم ورب طويل النجاد غريق فى الاتهام والانجاد ولا بيته أمان وعمله جنان وخلقه رضوان تود النجوم ان ينظمها فى كتاب أو نسقها نسق حساب قد ارتقى بخطته باذخ السناء وأخذ بضبعها رافعا الى السماء فهنالك وأنت ذاك طاب الجنى ودنت المنى وأيقن الشرف انه فى حرم وحمى اقسم بالمبتسم البارد والحبيب الوارد قسما تبقى على الشيب جدته ويعز على المشيب حدته ذكرى من ذلك العهد مدت بسببه ومتت الى القلب بنسبه ليحتوين على الكرام وليجترئن على الانام وليأخذن فوق أيديهم وليكفن من تعديهم مالهم تحت انثلاثهم وتسمهم بغير سماتهم وتصفهم بصفاتهم وتعلمهم بعلاتهم فأين أنت من الذنب وسنام قد استوصل بالجب وكيف ارتياحك بغير خزان دارت ولمكرمة كالشمس أشرقت وأنارت لاجرم انك منها على ذكر وبعد رجعة حمد وشكر وما هو الا الشريف الاوحد ومن لا ينكر فضله ولا يجحد أبو بكر أعزه الله وناهيك ثناء وحسبك علاء وسناء فتى دهى فى صنعته هنالك بدواه ورمى بخطوب غير ريوث ولا سواه ورأيك أصاب الله برأيك وجبر الاولياء بسعيك فى تحصين مراعاته وترفيهه ومحاشاته ولولا عذر منع لكان على أفقك النير قد طلع ولكنه استناب فلانا وحسبه ان يؤدى كتابا ويقتضى جوابا ويتصرف على حكمك جيئة وذهابا ان شاء الله (وله) يعتذر من استبطاء المكاتبة (طويل)

ألم تعلموا والقلب رهن لديكم * يخبركم عنى بمضمره بعدى

ولو قلبتنى الحادثات مكانكم * لا نهبتها وفرى وأوطأتها خدى

ألم تعلموا أنى وأهلى وواحدى * فداء ولا أرضى بتفدية وحدى

(ولما نكب) الوزير أبو محمد بن القاسم النكبة التى أنبأت بتعذر الاوطار لذوى الاخطار وأعلنت بكساد الفضائل والمعالى واستيثار الوضيع على الماجد العالى لانه كان طود كمال وبحر اجمال وناظم خلال وعالم جلال وحين ثل الدهر

عرشه

عرشه وأحل سواه فرشه خاطبه كل زعيم مسليا عن نكبته وانتقاله من رتبته فكتب اليه هو في جملة من كتب وان كان نازلا عن تلك الرتب برقعة مستبدعة وهي مثلك ثبت الله فؤادك وخفف عن كاهل المكارم ما أدهى بك وآدك يلقى دهره غير مكترث وينازله بصبر غير منتكث ويبسم عند قطوبه ويغفل شباة خطوبه فما هي الا غمرة ثم تنجلي وخطرة يليها من الصنع الجميل ما يلي لاجرم أن الحر حيث كان حر وان الدر برغم من جهله در وهل كنت الا حساما انتضاه قدر أمضاه وساعد ارتضاه فان أغمده فقد قضى ما عليه وان جرده فذلك اليه أما انه ما اثلم حده ولبس جوهر الفرند خده لا يعدم طبنا يشترطه ويمينا يخترطه هذه الصمصامة تقوم على ذكرها القيامة طبقت البلاد أخباره وقامت مقامه في كل أفق آثاره فأما حامله فنسي منسي وعدم منهي كلا لقد فنيت الحقائق وأنهيت تلك العلائق فلم يصحبه غير غرار ومتن عار وكلاهما بالغ ما بلغ ووالغ معه في الدماء أي ولغ وما الحسن الا المجرد العريان وما الصبح الا الطلق الاضحيان وما النور الا ما صادم الظلام ولا النور الا ما فارق الكمام وما ذهب ذاهب أجزل منه لعوض واهب وممن قضى حق المساهمة في هذه الحال التي النوى عرضها وتأخر للاعذار القاطعة فرضها أسف يردد وارتماض يجدد وذنوب على الايام تحصى وتعدد وحباء اللئام منها تحل وتعقد فيعلم الله عز وجهه لقد استوفيت فيك هذه الايام ونهيت فيك حق المزن عن الابتسام انتهى (وقال) أبو نصر وفي أيام مقامي بالعدوة اتفقت بيني وبين أبي يحيى محمد بن الحاج سقى الله مصرعه وأورده منهل العفو ومشرعه مودة استحكم تواخيها وشدت أواخيها وغدونا بها حليفي صفاء واخلاص وأليفي اخاء واختصاص والزمان مساعد وصرفه متباعد والشباب خضل يانع والدهر مبيح ما هو له اليوم مانع والدنيا سرور وايناس والارض ظلباء وكاس فوقع بيني وبينه في بعض الايام تنازع أدى بنا الى الانفصال وتعطيل تلك البكر والآصال ثم نمي الي عنه قول ضاق به ذرعي واجتثت منه أصلي وفرعي فكلما صدني عن الرحلة صممت ونكثت من عرى التلوي ما كنت أبرمت وبعد انفصالي علمت ان ذلك القول غدا زورا ووشي به من غص ان يرانا زائرا ومزورا فانقشعت تلك المخيلة وتحركت لوعة مودته الدخيلة وأكدت تجديد ذلك العهد الرائق وكف أيدي

تلك العوائق فكتبت اليه (طويل)

اكعبة علياء وهضبة سودد * وروضة مجد بالمفاخر تمطر
هنيأ لملك زان نورك أفقه * وفي صفحتيه من مضائك أسطر
وانى لخفاق الجناحين كلما * سرى لك ذكرا ونسيم معطر
وقد كان واش هاجنا للتهاجر * فبت واحشائى جوى تتفطر
فهل لك في ودذوى لك ظاهرا * وباطنه يبدى صفاء ويقطر
ولست بعلق يبع بخساوانني * لارفع اعلاق الزمان وأخطر

(فأمره بمراجعتى) فكتب عنه بقطعة منها (طويل)

ثنيت أبانصر عنانى وربما * ثنت عزمة الشهم المصمم أسطر
ونالت هوى مالم تكن لتناله * سيوف مواض أوقنا متأطر
وما أنا الا من عرفت وانما * بطرت ودادى والمودة تبطر
نظرت بعين لونظرت بغيرها * أصبت وجفن الرأى وسنان أشطر
وقد ما بذلت الود والحب فطرة * وما الود الا ما يمحض و يفطر

(وكتب) الى الوزير المشرف أبى بكر بن رحيم يهنئه بولاية خطة الاشراف بحضرة اشبيلية وذواتها في شوال سنة خمس عشرة وخمسمائة (وافر)

اذا ما شرف الاشراف قوما * فانّ بنى رحيم شرفوه
ومن يعرف به لهم قديما * وان رغمت أنوف عرّفوه
كفاة للملوك على سبيل * ودين نصيحة ما حرفوه
أبو بكر له ولهم كفيل * بكل كفاية اذ صرّفوه
وما الاشراف الاعبد قنّ * لهم فتى تولى استصرفوه

(هذه) أعزك الله بديهة البشرى وعجالة كعجالة القرى وبريد الى أم تلك القرى فانالها بالاقبال ضمين وعلى آليته وبين لتحوطنها أقلامك وليحمدن فيها مقامك ولتعرفن بالغرر والحجول أيامك فخالفك البعد ولاعدمك الملك الجعد وأبل وأخلق مثلها جددا بعد وما حق من بشر باعتلائك وسرى بأنبائك الى أوليائك ان يؤخر مراده ويضيع عمله واعتقاده وان الحاج أبا عبد الله بن شقران آملك الداعى لك أبقاه الله وجبره أشعرنى بهذه المسرة والديمة الثرة ولقد هممت على هذا البرد بخلع البرد وحل العقد وفض النقد فدأفعنى

انقباضا

انقباضا وأعلمني ان له في عملك انعاه الله أغراضا تكون على ذلك أثمانا وأعواضا وأراني عقدا يشهد بعدمه وصحة ما استحثه في مقدمه وانه ليس له سوى غرس قد صار عليه كلا بل استدار في ساقيه كبلا والتوى في عنقه غلا وآض له غلا لا مغلا ولك الطول ان تفتح نظرك وفقه الله بالتخفيف على مثله من الضعفاء ومن لا قدرة له على الاداء وحمل الاعباء فان ذلك تذكر في العاجل وأجر في الآجل ان شاء الله تعالى

(ذو الوزارتين الكاتب أبو محمد بن عبد البر رحمه الله)

بحر البيان الزاخر وفخر الاوائل والاواخر وواحد الاندلس الذي فاز فيها بحظ الظهور وحاز قصب السبق بين ذلك الجمهور وامترى اخلاف اسعادها وسقى صوب عهادها واستقر في مراتب رؤسائها استقرار الفلك عند ارسائها الا انه حصل في لهوات الاسد وصار الى موضع النفاق فكسد ووافى المعتضد بالله في طالع استوبله ونحس استقبله فكانت ايامه لديه حسرات ولم تومض له فيها بروق مسرات الى أن لاذ بالفرار وتخلص من يديه تخلص البدر من السرار وأبوه أبو عمرو كان سبب نجاته وخروجه من لهواته ولولاه لورد مشرع الحمام وكرع في ماء الحسام فقليلا ما هم عبادا فأقصر ولا توهم الاوكانه أبصر ولكن امامة أبيه الشهيرة دفعت في صدر احتدامه وشفعت له عند اقدامه وقد أثبت له ما يتبين انه بحر ويتزين به للسناء نحر فمن ذلك ما قاله في رجل مات مجذوما (رمل)

مات من كنا نراه أبدا * سالم العقل سقيم الجسد
بحر سقم ماج في أعضائه * فرمى في جلده بالزبد
كان مثل السيف الا أنه * حسد الدهر عليه فصدي

وله (كامل مجزوّ)

لا تكثرنّ تأملا * واحبس عليك عنان طرفك
فلربما أرسلته * فرماك في ميدان حتفك

(وكتب) الى أحد اخوانه وقد نال الدهر من اجماله وامتهانه من صحب الدهر أعزك الله وقع في أحكامه وتصرف بين أقسامه من صحة وسقم وغنى وعدم وبعاد واقتراب وانتزاح واغتراب واتفق لي ما قد علمت من الانزعاج والاضطراب والتغرب والاياب لا والله ما جرى من حركاتي شيء على مرادي واعتقادي وانما

هيأتها الاقدار والآثار وعندورودى أعلمت بما أصابتك به صروف الايام من الامتهان والايلام فيعلم الله لقد ألمت نفسى وساءبه أثر الزمان عندى وقلت هذا اعدل ماتهيأ من جلدى وبعدى فقد جمعتنا حوادث الايام وصروفها وان اختلفت أنواعها وصنوفها على أن الذى أصابك أثقل عبأ وأعظم رزأ والله يعظم أجرك ويجزل ذخرك ويجعل هذه الحادثة آخر حوادثك وأعظم كوارثك حتى تستديم عزك فى سراء سابغة تنعم بالك وخاطرك وتقر عينك وناظرك وتلحظ خطوب الدهر وأنت عنها فى حماية من الكفاية مكينة ودرع من الحماية حصينة ان شاء الله (وكتب عن الموفق أبى الجيش مهنئا للمعتضد بأخذ شلب) كتابى اعزك الله تعالى عن حال قد طال جناحها وآمال قد أسفر صباحها وبد قد اشتد زندها ونفس قد انتجز بنجح كل مأمول وعدها بما اوردنى به كتابك الكريمان أعزبهما من جميل صنع الله لك بحصول قاعدة شلب وذواتها فى قبضتك واستيزاء ذلك الافق بظل طاعتك وخروج صاحبها عنها من غير عقد عاصم ولا عهد لازم قد كذب به ظنه فى التماسك وأخلفه أمله فى التهالك ورغم به أنف من بعد عنه وجدع به أنف من لم يوضع الميسم عليه فاى نعمة ياسيدى وأعلى عددى ما أجلها وأجزلها وأى جنة ما أتمها وأكملها على حين تضاعف حسن موقعها وبان لطف محلها وموضعها ولاح عنوانها فى صحيفة مساعينا وبرهانا بحول الله على تأتى راجينا فالحمد لله ثم الحمد لله على ما من به وأحسن فيه حمدا يؤدى الحق ويقضيه ويحتوى المزيد ويقتضيه وهو المسؤل عزاسمه ان يتبع ذلك باشكاله ويشفعه بأمثاله ويهنئ ذلك النجح سلما وحربا وشرقا وغربا والظهور بعدا وقربا فظهورى منوط بظهورك وسرورى موصول بسرورك واتصال حالى بأحوالك وحبلى بحبالك هنالك الله واياى ما خولك وقرن بالزيادة آلاءه قبلك بمنه (وكتب فى عناية) أتم الله أيها الامير الجليل محتده الجميل معتقده المشهور فضله وسودده عليك نعمه ظاهرة وباطنة وأجزل اليك قسمه متوافية وراهنة وآتاك من كل حظ أجزله ومن كل صنع أجله ومن كل خير أتمه وأكمله ان الايام قد وصلت بيننا الى التراسل سببا وجعلت فى التواصل أربا فاذا أمكن سبب قدمته واذا تهيأ رسول اغتنمته توكيد الاتصال معك وتجديد العهد بينى وبينك فمثل الحظ منك لا يهمل وشبه الحق الذى لك لا يغفل ومكاتبة الصديق عوض من لقائه اذا

امتنع اللقاء واستدعاه لانبائه اذا انقطعت الانباء وفيها أنس تلذ به النفس وارتياح تنتعش به الارواح وارتباط يتصل به الاغتباط وانعقاد يتبين به الاعتقاد والوداد ومثل خلتك الكريمة عمرت معاهدها ومثل عشرتك الجميلة شدت معاقدها ومثل مكارمك البرة جدت مصادرها ومواردها واذ قد نسبت لى أسبابها فلا أقطعها واذ قد انفتحت بيننا أبوابها فلا أدعها وأنا أستدعيك مثل هذا اذا أسفر لك وطر وعن لك أمر فانى متطلع الى أخبارك أراعيها وحريص على أوطارك أقضيها ومستقطر لكتبك الكريمة أجتليها وأشاهد نعم الله منها وفيها قد صدر عنى فلان لم أتلق لك خبرا ولم الحظ من تلقائك أثرا وذلك لاستحالة لامتناع البحر وارتجاجه وتعذر المسلك وارتتاجه واذ قد ذل صعبه لراكب وهان خطبه على هائب فانى اعتقد ان كتابك بازاء كتابى وخطابك يستلق خطابى ولما تهيأ سفر فلان صفينا سلمه الله الى الافق الذى أنت عماده والقطر الذى بيدك زمامه وقياده وقد تقدم فيك أمل قد استشعره وشكر لك قد بثه ونشره أصحبته كتابى هذا مجددا عهدا وممهدا عنه حمدا فانه ما دخل تارة الينا ولا تكرر ثانية علينا الاوذكرك الجميل فى فمه يبديه ويعيده وأثرك الحسن عليه يلهج به وينشده يتلو بذلك كله معالمك المحمودة ومحافلك المشهودة فى شكر الامير الاجل أخيك أطال الله بقاءه والاشادة بتعظيم أمره وتفخيم قدره فانه لا يغدو عندنا الا باسمه ولا يناضل الا بسهمه ولا يجاهد الا عنه ولا يحتسب الا فيه ومن جرى على البعد هذا المجرى وشكر شكره النعمى لخقيق بالانعام خليق بالاكرام وقد استضاف الى هذه الحقوق التى مثلها رعى وشبهها قضى انه ضيف لى وآثر من عندى أختصه بأتم العناية وأعتمده بأجمل الرعاية وأشفع له الشفاعة الحسنة وأستظهر له المعونة التامة والمشاركة البينة وأنت بفضلك تلقى أمله بالتحقيق ورجاءه بالتصديق وتصل فضلك عليه حتى يكون قليبا يروى وسقاء يشفى وورد اينهل وسببا يتصل ان شاء الله عز وجل

(الوزير الكاتب أبو الفضل بن حسداى رحمه الله)

سابق فبرز وأحرز من البلاغة ما أحرز وجرى فى ميدانها الى أبعد أمد ورمى أغراضها بالصفاح والعمد فغبر وجوه سوابقها وظهر أمام وجيهها ولاحقها اذا كتب اتسب اليه السحر أصح انتساب ونسق المعجزات نسق حساب وأرى

البدائع بيض الوجوه كريمة الاحساب وقد كانت الذمة تقعده عن مراتب اكفائه وتجد في طموس رسمه وعفائه وتصرفه تصريف المهيض وتقعده في ذلك الحضيض حتى ألحقه الله باقرانه وأقاله من متجر خسرانه فتطهر من تلك السمة واستظهر بعقيدته التي قيدت في ديوان الحق مرتسمة وبدت محاسنه سافرة القناع كافرة بذلك الدين الذي عدل بها عن الاقناع وقد أثبت له من ذلك مالا يرجى لحاقه ولا يخشى تمامه محاق فمنها هذه القطعة التي أطلعها نيرة وترك الالباب بها متحيرة في يوم كان عند المقتدر بالله مع علية قد اتخذوا المجد حلية والامل قد سفر لهم عن محياه وعبق لهم رياه فصافحه الكل منهم وحياه وشمس الراح دائرة على فلك الراح والملك ينشر فضله ويترواه وطله يسدى الغلاء ويهب الغنا والغناء فصدحت الغوانى وأفصحت المثالث والمثانى بما استنزل من موقف الوقار وسرى في النفوس مسرى العقار (بسيط)

وَرِيدُ خَدِّكَ للاحداق لذات * عليه من عنبر الاصداغ لامات
نيران هجرك للعشاق نار لظى * لكن وصلك ان واصلت جنات
كانما الراح والراحات تحملها * بدور تم وأيدى الشرب هالات
حشاشة ما تركنا الماء يقتلها * الا لتحيا بها منا حشاشات
قد كان في كاسها من قبلها ثقل * فخف اذ ملئت منها الزجاجات
عهد للبنى تقاضته الامانات * بانت وما قضيت منها لبانات
يدنى التوهم للمشتاق منتزحا * من الامور وفى الاوهام راحات
تقضى عدات اذا عاد الكرى واذا * هب النسيم فقد تهدى تحيات
زور يعلل قلب المستهام به . * دهرا وقد بقيت في النفس حاجات
لعل عتب الليالى أن يعود الى * عتبى فتبلغ أوطار ولذات
حتى نفوز بما جاد الخيال به * فربما صدقت تلك المنامات

(ولما) أعرس المستعين بالله بنت الوزير الاجل أبى بكر بن عبد العزيز احتفل أبوه المؤتمن بالله في ذلك احتفالا اشهره وأبدع فيه ابداعا راق من حضره وبهره فانه أحضر فيه من الآلات المبتدعة والادوات المخترعة مابهر الالباب وقطع دون معرفتها الاسباب واستدعى اليه جميع أعيان الاندلس من دان وقاص ومطيع وعاص فأتوه مسرعين ولبوه متبرعين وكان مدير تلك الاراغة

ومدبرها ومنشئ مخاطباتها ومحبرها الوزير الكاتب أبو الفضل وصدرت عنه في ذلك الوقت كتب ظهر اعجازها وبهر اقتضابها وايجازها (فمن ذلك) ماخاطب به صاحب المظالم أبا عبد الرحمن بن طاهر محلك أعزك الله في طي الجوانح ثابت وان نزحت الدار وعيانك في أحناء الضلوع باد وان شحط المزار فالنفس فائرة منك بتمثل الخاطر بأوفر الحظ والعين نازعة الى أن تمتع من لقائك بظفر اللحظ فلا عائدة أسبغ بردا ولا موهبة أسوغ وردا من تفضلك بالخفوف الى مأنس يتم بمشاهدتك التئامه ويتصل بمحاضرتك انتظامه ولك فضل الاجمال بالامتاع من ذلك بأعظم الآمال وأنا أعزك الله على شرف سودد لشاكم وعلى مشرع سنائك حائم وحسبي ما تحققه من نزاعي وتشوقي وتتيقنه من تطلعي وتتوقي وقد تمكن الارتياح باستحكام الثقة واعترض الانتزاح بارتقاب الصلة وأنت وصل الله سعدك بسماحة شيمك وبارع كرمك تنشئ للموانسة عهدا وتوري بالمكارمة زندا وتقتضي بالمشاركة شكرا حافلا وحمدا لازلت مهنأ بالسعود المقتبلة مسوغا اجتلاء غرر الاماني المتهللة بمنه (وله) مراجعا للوزير أبي محمد بن سفيان بقطعة منها (كامل)

قابلت بالعتبي كتابك حافظا * للعهد حفظ العين بالاجفان
وبسطت أوضح من زياد عذرة * لولم تكن أقسى من النعمان
أسقيك عذبا باردا وسقيتني * اذ جاش حملك من حميم آن
أعضبت جهلا ان نسبت الى الصبا * فافرح فانك منه في ريعان

(وركب) المستعين بالله يوما نهر سرقسطة يريد طرادلذته وارتياد نزهته وافتقاد أحد حصونه المنتظمة بلبته واجتمع لمن أصحابه من اختصه لاستصحابه وفيهم أبو الفضل مشاهد الانفراجهم سالكا لمنهاجهم والمستعين قد أحضر من آلات ايناسه وأظهر من أنواع ذلك وأجناسه ماراق من حضر وفاق حسنه الروض الانضر والزوارق قد حفت به والتفت بجوانبه ونغمات الاوتار تحبس السائر عن عدوه وتخرس الطائر المفصح بشدوه والسمك تثيرها المكائد وتغوص اليها المصائد فتبرزها للعين قضبان در وسبائك لجين والراح لا يطمس لها لمع ولا يبخس منها بصر ولا سمع والدهر قد غضت صروفه واقتص من منكره معروفه فقال (بسيط)

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء اعتبنا * فيه بعتبى وأبدى صفح معتذر
نسير في زورق حف السفين به * من جانبيه بمنظوم ومنتثر
مد الشراع به نشرا على ملك * بذ الاوائل فى ايامه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى * علياء مؤتمن عن هدى مقتدر
تحوى السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار فى نهر
تثار من قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللندامى به عب ومرتشف * كالريق يعذب فى ورد وفى صدر
والشرب فى وذ مولى خلقه زهر * يذكو وغرته أبهى من القمر

(الوزير الجليل أبو عامر بن ينق)

بهر ذكاء وطبعا وعمر للمحاسن ربعا فأقام للاعجاز برهانا وتيم الباباوأذهانا لولا عجب استهواه وأخل بما حواه وزهو ضفا على أعطافه وأخفى نور انصافه الا أن حسنة احسانه لتلك السيئة ناسخة وفى نفس الاستحسان راسخة وقد أثبت له ما تستبدعه ويفتتك منحاه فيه ومنزعه فمن ذلك قوله يمدح (بسيط)

حسبى من الدهر ان الدهر ينتج لى * بكر الخطوب وانى عاثر الامل
دعنى أصادى زمانى فى تقلبه * فهل سمعت بظل غير منتقل
وكلما راح جهما رحت مبتسما * والبدر يزداد اشراقا مع الطفل
فلا يروعنك اطراقى لحادثة * فالليث مكمنه فى الغيل للغيل
فما تأطر عطف الرمح من خور * فيه ولا احمر صفح السيف من خجل
لاغرو أن عطلت من حليها هممى * فهل يعير جيد الظبى بالعطل
ويلاه هلا أنال القوس باريها * وقلد السيف جيد الفارس البطل

ومنها فى المديح

أغر ان تدعه يوما لنائبة * جلا ولا يكشف الجلى سوى جلل
قد أوسع الارض عدلا والبلاد ندى * فالروض طلق الربى والشمس فى الحمل
يرعى الممالك فى قرب وفى بعد * ويأخذ الامر بين الريث والعجل
ذو عزمة لخطوب الدهر جردها * أمضى من الصارم المطرور فى القلل
وذو أياد على العافين جاد بها * أشفى من البارد السلسال للغلل

مصرّف قصب الاقلام نال بها * مناله بشبا الخطية الذبل
من كل أهيف مافى متنه خطل * والسمهرية قد تعزى الى الخطل
دع عنك ماخلدت يونان من حكم * وسار فى حكماء الفرس من مثل
وانظر اليها تجدها أحرزت سبقا * فى الجهد منها وحاز السبق فى مهل

وله يتغزل (طويل)

وهيفاء يحكيها القضيب تأوّدا * اذا ماانثنت فى الريط أوحبراتها
يضيق الازار الرحب عن ردفها كما * تضيق بها الاحشاء عن زفراتها
وماظبية اذ ماتألف وجرة * ترود ظلال الغيل أوأثلاتها
بأحسن منها يوم أومت بلحظها * الينا ولم تنطق حذار وشاتها

(الوزير الكاتب أبو بكر بن قزمان رحمه الله تعالى)

مبرز فى البيان ومحرز الخصل عند تسابق الاعيان اشتمل عليه المتوكل على الله اشتمالا أرقاه الى مجالس وكساه ملابس فاقتطع اسمى الرتب وتبوّاها ونال اسنى الحظوظ وماتملاها فان دهره كرّ عليه بخطوبه وسفر له عن قطوبه فكدّر عيشه بعد ماصفا وقلص برده الذى كان ضفا وتجرع آخر عمره من كؤس الذل أبشعها ذوقا ولبس من ملابس الهوان أشوهها طوقا فى قصة أساء بها ابن حمدين وما أجمل وجاء بها شوهاء لاتتأمل وأخلاقه هى التى فلت من غربه وكانت سببا لطول كربه فانها كانت تحتدم فى جوانحه احتدام القيظ تكاد تميز من الغيظ وكان رحمه الله ظاهر الصواب متقمص طاهر الاثواب من كل دنس معجزا ببيانه موجزا فى كل أحيانه وقد أثبت له ماتعلم به حقيقة قدره وتعرف كيف أساء الزمان اليه بغدره فن ذلك قوله (كامل)

ركبوا السيول من الخيول وركبوا * فوق العوالى السمر زرق نطاف
وتجللوا الغدران من ماذيهم * مرتجة الاعلى الاكتاف

(الوزير الكاتب أبو بكر بن الملح)

حل كنفى العلم والعليا وأخذ بطرفى الدين والدنيا فهصر أفنان الفتوّة واقتصر برهة على اجتلاء غرر الامانى المجلوة لم يتأنس بها الابنشوة ولم يتنفس فيها الاعن صبوة ولا طاف مدتها بركن استتار ولاعاف مورد استهتار والدين يلحظه بطرف كاف وقاب عليه مؤتلف الى أن أقصر باطله واستبصر مسوّفه ومماطله

فعرى من ذلك اللبوس وبرى من تلك الكؤس وأصبح ثانى الاكابر وراقى أعواد المنابر وقد أثبت له مايستجاد ويرتاد له تهائم ونجاد فمن ذلك قوله (كامل)

والروض يبعث بالنسيم كأنما * أهداه يضرب لاصطباحك موعدا
سكران من ماء النعيم فكلما * غناه طائره وأطرب رددا
يأوى الى زهر كأن عيونه * رقباء تقعد للاحبة مرصدا
زهر يبوح به اخضرار نباته * كالزهر أسرجها الظلام وأوقدا
ويبيت فى فنن توهم ظله * يمسى ويصبح فى الغلالة مرودا
قد خف موقعه عليه وربما * مسح النعيم بعطفه فتأودا

وله يتغزل (خفيف)

حسب القوم اننى عنك سال * أنت تدرى صبابتى ما أبالى
قمرى أنت كل حين وبدرى * فتى كنت قبل هذا هلالى
أنت كالشمس لم تغب لى ولكن * حجبت ليلها احذار الملال

وله يتغزل أيضا (منسرح)

ظبى يبوح الهوى بناظره * حتى اذا مارمى به انبعثا
مبتدع الخلق لاكفاء له * يعد شكوى صبابتى رفثا
أنكر سقمى وماقصدت له * وماتعرضت للهوى عبثا
أقسم فى الحب ان أموت به * فما قضى برّه ولا حنثا

تم القسم الثانى من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان
المضمن غرر علية الوزراء ونقر الكتاب البلغاء

القسم الثالث من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان
فى لمع اعيان القضاة ولمع اعلام العلماء السراة

(الفقيه القاضى أبو الوليد الباجى رحمه الله تعالى)

بدر العلوم اللائح وقطرها الغادى الرائح وثبيرها الذى لايزحم ومنيرها الذى ينجلى به ليلها الاسحم كان امام الاندلس الذى تقتبس أنواره وتنتجع انجاده

وأغواره رحل الى المشرق فعكف على الطلب ساهرا وقطف من العلم أزاهرا وتفنن فى اقتنائه وثنى اليه عنان اعتنائه حتى غدا مملوء الوطاب وعاد بلح طلبه الى الارطاب فكر الى الاندلس بحر الاتخاض لجه وبحر الايطمس منهجه فتهادته الدول وتلقته الخيل والخول وانتقل من محجر الى ناظر وتبدل من يانع بناضر ثم استدعاه المقتدر بالله فسار اليه مرتاحا وبدا فى أفقه ملتاحا وهنالك ظهرت تأليفه وأوضاعه وبدا وخده فى سبل العلم وايضاعه وكان المقتدر يباهى بانحياشه الى سلطانه وايثاره لحضرته باستيطانه ويحتفل فيما يرتبه له ويجريه وينزله فى مكانه متى كان يوافيه وكان له نظم يوقفه على ذاته ولا يصرفه فى رفث القول وبذاذاته (فمن ذلك) قوله فى معنى الزهد (متقارب) .

اذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتى كساعه

فلم لا أكون ضنينا بها * واجعلها فى صلاح وطاعه

(وله يرثى ابنيه) وماتا مغتربين وغربا كوكبين وكانا ناظرى الدهر وساحرى النظم والنثر (طويل)

رعى الله قبرين استكانا ببلدة * هما اسكناها فى السواد من القلب

لئن غيبا عن ناظرى وتبوآ * فؤادى لقد زاد التباعد فى القرب

يقر بعينى أن أزور ثراهما * وألزق مكنون الترائب بالترب

وأبكى وأبكى ساكنيها العلى * سأنجد من صحب وأسعد من سحب

فما ساعدت ورق الحمام أخا أسى * ولا روحت ريح الصبا عن أخى كرب

ولا استعذبت عيناى بعدهما كرى * ولا ظمئت نفسى الى البارد العذب

أحن ويثنى اليأس نفسى عن الاسى * كما اضطر محمول على المركب الصعب

(وله) يرثى ابنه محمدا (كامل)

أمحمد ان كنت بعدك صابرا * صبر السليم لما به لا يسلم

ورزئت قبلك بالنبى محمد * ولرزؤه أدهى لدى وأعظم

فلقد علمت بأننى بك لاحق * من بعد ظنى اننى متقدم

لله ذكر لا يزال بخاطرى * متصرف فى صبره متحكم

فاذا انظرت فشخصه متخيل * واذا أصخت فصوته متوهم

وبكل أرض لى من اجلك لوعة * وبكل قبر وقفة وتلوم

فاذا دعوت سوالك حادعن اسمه * ودعاه باسمك مقول بك مغرم
حكم الردى ومناهج قدسنها * لأولى النهى والحزن قبل متمم

(الوزير الفقيه أبو مروان بن سراج رحمه الله تعالى)

أحد أعيان البيان وخاتم أعلام الكلام ومعين الانتخاب والانتداب على طموس رسم اللغات والآداب فانه أودى فطويت المعارف وتقلص ظلها الوارف لانه كان لجة بحر وكان بالاندلس كعمرو بن بحر وزانها بمعرفته كدر بنحر وكانت دواوين العلم مقفلة ففتحها ومبهمة فأوضحها وشرحها وجاء ابنه بعده فصارت رباعه به أواهل ولم تعد معالمه بعده مجاهل الاان أبا مروان كان دوح ذلك الفرع ومدر ذلك الضرع وصحب شيوخا درجة أبي الحسين أن يحمل عن طلبتهم وينزل عن مرتبتهم وكان في ضبطه وتقييده وحله لتشبك الغرض وتعقيده في حدلا يأتى عليه تحديد ولا يعبر عنه لسان حديد الاانه كان يضجر عند السؤال فما يكاد يفيد ويتفجر غيظا على الطالب حتى يتبلد ولا يستفيد وقد أثبت من بدائع أقواله ماتعيد القول فى استحسانه وتبديه وتلحف سمناه وترتديه (فمن ذلك) قوله يمدح المظفر بن جهور رحمه الله (كامل)

اماهو الدنفى أعز مكان * كم صارم من دونه وسنان
بين حروب لم تزل تغذوهم * حتى الفطام ثديها بلبان
فى كل أرض يضربون قبابهم * لايمنعون تخير الاوطان
أوماترى أوتادها اقصد القنا * وحبالهن ذوائب الفرسان
عجبا لاسد فى القباب تكلفت * برعاية الظبيان والغزلان
ولقد سريت وماصحبت على السرى * غير النجوم ارادة الكتمان
فى ليلة نظرت الى نجومها * أتقحم الغمرات غير جبان
قالت فتاتهم وقد نبهتها * والليل ملقى كلكل وجران
كيف اجترأت على تجاوز من ترى * من نائم حولى ومن يقظان
أولست انسانا ومان تنتهى * هذى النهاية جرأة الانسان
فاجبتها ان ابن جهور الرضى * منع المخوف أن تحل جنانى

ومنها فى العتاب والاستمناح

أتعود دلوى من بحور سماحكم * صفرا وليست رثة الاشطان

ويكون ربعى مستبينا جدبه * حتى أهيم بنجعة البلدان
قسنى بمن يناى برفع مكانه * بنديك العالى وخفض مكانى
أمن السوية أن يحلوا بالربى * من أرضكم وأحل بالغيطان
ان ترخصوا خطرى فكم مغل به * يستام فيه بأرفع الاثمان

(الوزير الفقيه أبوعبيد الله البكرى رحمه الله تعالى)

عالم الاوان ومصنفه ومقرط البيان ومشنفه بتآليف كانها الخرائد وتصانيف أبهى من القلائد حلى بها من الزمان عاطلا وارسل بها غمام الاحسان هاطلا ووضعها فى فنون مختلفة وأنواع وأقطعها ماشاء من اتقان وابداع واما الادب فهو كان منتهاه ومحل سهاه وقطب مداره وفلك تمامه وابداره وكان كل ملك من ملوك الاندلس يتهاداه تهادى المقل للكرى والآذان للبشرى على هناة كانت فيه فانه رحمه الله كان مباكرا للراح لا يصحو من خمارها ولا يمحو رسم ادمانه من مضمارها ولا يريح الاعلى تعاطيها ولا يستريح الا الى معاطيها قد اتخذ ادمانها هجيره ونبذ من الاقلاع نبذ عاصم بن الايمن مجيره فلما حان انقراض شعبان وانصرامه كانت فيه مستبشعة الذكر مستشنعة النكر تمحوها الاوهام والخواطر ويثبتها السماع المتواتر وقد أثبت له مايشهد له بتقدمه ويريك منتهى قدمه رأيته وأنا غلام ماأقر هلالى ولا نبع فى الذكاء كوثرى ولا زلالى فى مجلس ابن منظور وهو فى هيئة كانما كسيت بالبهاء والنور وله سبلة يروق العيون ايماضها ويفوق السواد بياضها وقد بلغ سن ابن محلم وهو يتكلم فيفوق كل متكلم فجرى ذكر ابن مقلة وخطه وأفيض فى رفعه وحطه فقال (بسيط)

خط ابن مقلة من أرعاه مقلته * ودت جوارحه لو أصبحت مقلا
فالدر يصفر لاستحسانه حسدا * والورد يحمر من ابداعه خجلا

(وله فصل من كتاب راجع به الفقيه الاستاذ أبا الحسن بن درى رحمهما الله) وتالله انى لا أنطم جنى محاورتك فيقف فى اللهاة وأجد لتخلل مجالستك مايجده الغريق للنجاة واعتقد فى مجاورتك مايعتقده الجبان فى الحياة (طويل)

متى تخطئ الايام فى بأن أرى * بغيضا يناءى أو حبيبا يقرب

ورأيت رغبتك فى الكتاب الذى لم يحرر ولم يتهذب وكيف التفرغ لقضاء أرب

والنشاط قدولى وذهب فما أجده الا كما قيل (كامل)

نزرا كما استكرهت عائر نفحة * من فارة المسك التى لم تفتق

وان يعن الله على المراد فبك والله يستفاد وبرغبتك أخرجه الى الوجود من العدم واليك لا يصل أدنى ظلم بحول الله (وله فصل من رقعة يهنى بها الوزير الاجل أبا بكر بن زيدون بالوزارة) أسعد الله بوزارة سيدى الدنيا والدين وأجرى لها الطير الميامين ووصل بها التأييد والتمكين والحمد لله على أمل بلغه وجذل قد سوغه وضمان حققه ورجاء صدقه وله المنة فى ظلام كان أعزه الله صبحه ومستبهم غدا شرحه وعطل نحر كان حليه وضلال دهر صار هديه

فقد عمر الله الوزارة باسمه * وردّ اليها أهلها بعد اقصار

(الفقيه الاجل قاضى الجماعة أبو عبد الله بن حمدين رحمه الله)

حامى ذمار الدين وعاضده وقاطع ضر المعتدين وخاضده ملك للعلوم زماما وجعل العكوف عليها لزاما فجاز رسمها وأعلى اسمها وخاصمت الملحدين منه ألسن لدّ وتهدلت به على العالمين أغصن ملد وكف أيدى الظالمين فلم تكن لهم استطالة وأرهف خواطر المجتهدين فلم تسنح لهم بطالة فأصبح أهل مصره بين دارس علم ولابس حلم وآيس ظلم ناهيك من رجل كثير الرعى لاهل المعارف مؤوٍ من برّه الى ظل وارف أعتّ الورى منة وأعظم خلق الله منة أقام وأقعد وأدنى وأبعد وأنحس وأسعد فتقلصت به الظلال وفاءت وحسنت به الايام وساءت وأعمل للضر والنفع لسانه ويده وشغل بالرفع والوضع يومه وغده وعمر بهما فكره وخلده حتى هدّ الجبال الشوامخ واجتث الاصول الرواسخ ولما أدار ابن الحاج من خلاف سنة تسع وتسعين ما أدار واتفق هو ومن واطأه على ما فسحته الاقدار استشير فى الخلع فما استساغه وأذيع خبره فلم يكن فيمن راعه وعرض على الحمام فما هابه ووالى فى نقض ما أبرم جيئته وذهابه وسمح فى ذلك بنفسه وقنع من غده بذكر أمسه فلما انجلت ظلماؤه وتحلت بنجوم ظفره سماؤه أغرى بالمطالبين اهتضامه وحيفه وسرى مكره سرى قيس بحمل وحذيفة وأعلن لمن أسر اغراءه ولم ينظر بالمكروه نظراءه فأخل منهم اعلاما وأورث نفس الدين منهم آلاما وألبسهم ما شاء ذمًّا من الناس وملاما فدجت مطالع شموسهم وخلت مواضع تدريسهم فأصبحوا ملتحفين بالمهانة متشوفين الى الاهانة يروعهم الرواح

والغدو

والغبوق ويمحصون كل جمعة عليهم هزو المدق ويذعرهم طروق النوم للاجفان ويذكرهم النائبات الغرثان قد فقدوا واحبوا وعادت منازلهم قبورا الى ان نفس مختنقهم بعد أحوال وخلا افقهم من تلك الاهوال فتنشقوا ريح الحياة وأشرقوا من تلك الظلمات بعد ان أحال اليوس نعيمهم وأخذ الحمام زعيمهم وكان رحمه الله متضح طريق الهدى منفسح الميدان فى العلم والندى مع أدب كالبحر الزاخر وتبر كالدر الفاخر وقد أثبت له منه ما تعذب مقاطعه وتلين معاطفه (فمن ذلك فصل راجع به ابن شماخ) عمر بابك وأخصب جنابك وطاوعك زمانك ونعم بك أوانك (كامل)

وسقى بلادك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

فادرج لسبيله من كنت سلالة سليله ووارث معرسه ومقيله وما حام وضرع نخر ومى عن وتر قوسك ونزع فلم يهلك هالك ترك مثل مالك فتركت المهاد وألفت السهاد وتقيلت الآباء والاجداد فأسرجت فى ميدان المجد براقا اتخذ الريح خافية وساقا فاحتل من شعاب المجد صقعا أثار به نقعا ودوم فى أفق السماء تدويم فرخ الماء حتى كأنه على قمة الرأس ابن ماء فأخلق لباهر فضلك أن يطول فيقول (خفيف)

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى * وبنفسى فخرت لا بجدودى

أو يتنزل فيتمثل (كامل)

لسنا وان كرمت أوائلنا * يوما على الاحساب نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

كم متعاط شأو طلقك سولت له نفسه شق غبارك واقتفاء مناهج آثارك فما أدرك وطلح بعيره وبرك (وفى فصل منها) بيننا وسائل أحكمتها الاوائل ما هى بالانكاث والوشائج الرثاث من دونها عهد جناه شهد أريج عرف النسيم مشرق جبين الاديم رائق رقعة الجلباب مقتبل رداء الشباب كالصباح المنجاب تروق أساريره وتلقاك قبل اللقاء تباشيره (وافر)

ورثناهن عن آباء صدق * ونورثها اذا متنا بنينا

(الفقيه الاستاذ أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى)

عليه رحمة الله وجزيل غفرانه

شيخ المعارف وامامها ومن فى يديه زمامها لديه تنشد ضوال الاعراب وتوجد شوارد اللغة والاعراب الى مقطع دمث ومنزع فى النفاسة غير منتكث وكان له فى دولة بنى رزين مجال عمد ومكان معتمد ولما رأى الاحوال واختلالها والاتوال واعتلالها وتلك الشموس قدهوت ونجوم الآمال قد خوت أضرب عن سواه ونكب عن نجواه واغترب بلوعة ابن رزين وجواه ونصب نفسه لاقراء علوم النحو وقنع بتغييم جوه بعد الصحو وله تحقق فى العلوم الحديثة والقديمة وتصرف فى طرقها القويمة ما خرج بمعرفتها عن مضمار شرع ولا نكب عن أصل للسنة ولا فرع وتآليفه فى المشروحات وغيرها صنوف وهى اليوم فى الآذان شنوف وقد أثبت لها يك شفوفه وتجد على النفس حفوقه (فمن ذلك) قوله فى طول الليل (طويل)

ترى ليلنا شابت نواصيه كبرة * كما شبت أم فى الجو روض بهار

كأن الليالى السبع فى الافق علقت * ولا فصل فيما بينها بنهار

(وأخبرنى) انه حضر مع المامون بن ذى النون فى مجلس الناعورة بالمنية التى تطمح اليها المنى ومرآها هو المقترح والمتمنى والمأمون قد احتبى وأفاض الحبا والمجلس يروق كأن الشمس فى أفقه والبدر كالتاج فى مفرقه والنور عبق وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق والدولاب يئن كناقة اثر الحوار أو كثكلى من حر الاوار والجو قد عنبرته أنواؤه والروض قد وشته امطاره وانداؤه والاسد قد فغرت أفواهها ومجت أمواهها فقال (منسرح)

يا منظرا ان نظرت بهجته * أذكرنى حسن جنة الخلد

تربة مسك وجو عنبرة * وغيم ند وطش ماء ورد

والماء كاللازورد قد لفظت * فيه اللآلى فواغر الاسد

كأنما جائل الحباب به * يلعب فى جانبيه بالنرد

(ومنها) تخاله ان بدا به قمرا * تمام بدا فى مطالع السعد

كأنما ألبست حدائقه * ما حاز من شيمة ومن مجد

كأنما جادها فروضها * بوابل من يمينه رغد

لا زال فى عزة مضاعفة * ميمم الرفد وارى الزند

(وله رقعة يصف فيها هذا التصنيف) تأملت فسح الله لسيدى وولي فى أمد بقائه

كتابه الذى شرع فى انشائه فرأيت كتابا سينجد و يغور و يبلغ حيث لا تبلغ البدور وتبين به الذرى والمناسم وتغتدى له غرر فى أوجه ومواسم فقد أسعد الله الكلام لكلامك وجعل النيرات طوع أقلامك فأنت تهدى بنجومها وتردى برجومها فالنثرة من نثرك والشعرى من شعرك والبلغاء لك معترفون و بين يديك متصرفون وليس يباريك مبار ولا يجاريك الى الغاية مجار الا وقف حسيرا وسبقت ودعى أخيرا وتقدمت لا عدمت شفوفا ولا برح مكانك بالآمال محفوفا بعزة الله (وله) يراجع الاستاذ أبا محمد بن جوشن على شعر كتب به اليه وتضمن غزلا فى أول القصيدة فحذا حذوه (طويل)

حلفت بثغر قد حوى ريقه العذبا * وسل عليه من لواحظه عضبا
وفرحة القبا أذهبت ترحة النوى * وعتبى حبيب هاجر أعقبت عتبا
لقد هز عطفى بالقريض ابن جوشن * سرورا كما هزت صبا غصنا رطبا
كسانى ارتياح الراح حتى حسبتنى * حليف بعاد نال من حبه قربا
وأطربنى حتى دعانى الورى فتى * وقالوا كبير بعد كبرته شبا
كأن المثانى والمثالث هيجت * سرورى ولم أسمع غناء ولا ضربا
فيا مزمع الترحال قل لابن جوشن * مقال محب لم يشب جده لعبا
أمهدى سجاياه التى ونظمها * لى الشهب عقدا راقنى نظمه عجبا
وما خلت اهداء الشمائل ممكنا * لمهد وأن الدهر ينتظم الشهبا
فهل نال عبد الله من سحر بابل * نصيبا فأربى أو حوى الدهى والاربا
ليهنك فضل حزت من خصله المدى * ونظم بديع قد غدوت له ربا
وهاك سلاما صادرا عن مودة * عمرت بها منى الجوانح والقلبا

(وله) فى الزهد من لزوم ما لا يلزم (طويل)

أمرت الهى بالمكارم كلها * ولم ترضها الا وأنت لها أهل
فقلت اصفحوا عمن اساء اليكم * وعودوا بحلم منكم ان بدا جهل
فهل لجهول خاف صعب ذنوبه * لديك أمان منك أو جانب سهل

(وله) فى التوحيد والرد على من قال بغيره (طويل)

الهى انى شاكر لك حامد * وانى لساع فى رضاك وجاهد
وانك مهما زلت النعل بالفتى * على العائد التواب بالعفو عائد

تباعدت مجدا واذنيت تعطفا * وحلمافأنت المدنى المتباعد
ومالى على شئ سواك معوّل * اذادهمتنى المعضلات الشدائد
أغيرك أدعو لى الها وخالقا * وقدأوضح البرهان أنك واحد
وقدما دعا قوم سواك فلم يقم * على ذاك برهان ولالاح شاهد
وبالفلك الدوّار قد ضل معشر * وللنيرات السبع داع وساجد
وللعقل عباد وللنفس شيعة * وكلهم عن منهج الحق حائد
وكيف يضل القصد ذو العلم والنهى * ونهج الهدى من كان نحوك قاصد
وهل فى الذى طاعوا له وتعبدوا * لامرك عاص أولحقك جاحد
وهل يوجد المعلول من غير علة * إذا صح فكرا ورأى الرشد راشد
وهل غبت عن شئ فينكر منكر * وجودك أم لم تبد منك الشواهد
وفى كل معبود سواك دلائل * من الصنع تبدى أنه لك عابد
وكل وجود عن وجودك كائن * فواحد أصناف الورى لك واحد
سرت منك فيها وحدة لو منعتها * لاصبحت الاشياء وهى بوائد
وكم لك فى خلق الورى من دلائل * يراها الفتى فى نفسه ويشاهد
كفى مكذبا للجاحدين نفوسهم * تخاصمهم ان أنكروا وتعاند

(وله) يجيب شاعرا قرطبيا مدحه (بسيط)

كل الذى غاص فى بحر من الفكر * بذهنه خوى ماشاء من درر
لله عذراء زفت منك رائعة * تختال من حبرها المرقوم فى حبر
صداقها الصدق من ودّى ومنزلها * بصيرتى وسواد القلب والبصر
هزت بدائعها عطفى من طرب * لحسنها هزة المشغوف بالذكر
كأنما خامرتنى من بشاشتها * راح وسكر بلاراح ولاسكر
ماكنت أحسب ان النيرات غدت * يصيدها شرك الاوهام والفكر
ولا توهمت أيام الربيع ترى * فى ناضر غضة الانوار والزهر
أما الجزاء فشئ لست مدركه * ولو بدرت الى التوجيه بالبدر
لكن جزائى صفاء الودّ أضمره * اذا القلوب انطوت منه على كدر
جاراك ذهنى فى مضمارها فكبا * ذهنى وفزت بخصل السبق والظفر
وهل بطليوس فى نظم مناظرة * يوما القرطبة فى حكم ذى نظر

(وله)

(وله) يصف زبرطانة ملغزا (وافر)

وذات عمى لها طرف بصير * اذا رمدت فأبصر ما تكون
لها من غيرها نفس معار * وناظرها لدى الابصار طين
وتبطش باليمين اذا أردنا * وليس لها اذا بطشت يمين

(وكتب الى الاستاذ أبي الحسن بن الاخضر رحمه الله) ياسيدى الاعلى وعمادى الاسنى وحسنة الدهر الحسنى الذى جل قدره وسار مسير الشمس ذكره ومن أطال الله بقاءه للفضل يعلى مناره وعلم يحيى آثاره نحن أعزك الله نستند الى اخلاصنا وان كانت تتنائى أشخاصنا ويجمعنا الادب وان فرقنا النسب فالاشكال أقارب والآداب مناسب وليس يضر تنائى الاشباح اذا تقاربت الارواح وما مثلنا في هذا الانتظام الا كما قال أبو تمام (طويل)

نسيبي في رأيي وعلمي ومذهبي * وان باعدتنا في الاصول المناسب

ولو لم يكن لما تركت ذاكر ولا لمفاخرك ناشر الاذو الوزارتين أبو فلان أبقاه الله لقام لك مقام سحبان والمثل وأغناك عن قول كل قائل فانه يجد في مضمار ذكرك باعا رحيبا ويقوم بمفاخرك في كل ناد خطيبا حتى يثنى اليك الاحداق ويلوى نحوك الاعناق فكيف وما يقول الا بالذى علمت سعد وما تقرر في النفوس من قبل ومن بعد فذكرك قد أنجد وأغار ولم يسر فلك حيث سار وان لم يجهل أطلعت فيه فجر تبصيرك بجدير بان يصير نهارا وان سمح فكر قد حسبه بتذكيرك لحقيق أن يعود مرخا وعفارا فهنيئا لك الفضل الذى أنت فيه راسخ القدم شامخ العلم منشور اللواء مشهور الذكاء ملأت الآداب عمرك ولا عدمت الالباب ذكرك ورقيت من المراتب أعلاها ولقيت من المآرب أقصاها بفضل الله

(وكتب مراجعا الى الوزير أبي محمد بن سفيان رحمه الله) ياسيدى الاعلى وعمادى الاسنى ومشربى الاصفى أدام الله عزته وحمى من النوائب حوزته وافانى لك كتاب سرى الموضع سنى الموقع أطال الله على ايجازه وأطمع على اعجازه وقابلت الرغبة التى ضمنتها فيه بما تقتضيه جلالة مهديه ولئن تراخى الكتاب عن حسن في ذلك العتاب فان المودة لم يقدح فيها من الملل قادح ولم يسنح لها من الخلل سانح بل كانت كالبرد تطوى على غره الى أوان جلائه ونشره وقد علم علام الضمائر والذى يكلف غائبا وهو حاضر انى أعتقد لك القدح المعلى

وأضرب بك المثل الاعلى وأرى انك تحجيل واضح فى دهمة الزمان وعلق راجح فى كفة الامتحان وبقية سنخ كريم ماعهدهم عند نابنميم (طويل)

عليهم سلام الله مادر شارق * ورحمته ماشاء أن يترحما

وما أدعى لك جانبا من السيادة الاولك عليه أعدل الشهادة ولكن خدعا سفل ذوالرجحان وعاد الكمال على أهله بالنقصان وكبت الاعالى بارتفاع الاسافل حتى اقتضى ذلك قول القائل (طويل)

فواعجبا كم يدعى الفضل ناقص * وواأسفا كم يظهر النقص فاضل

وقال المذحر للناعجين متى ذمرت قبلى الارجل وقد جاريتك أعزك الله فى ميدان من البلاغة أنا فيه كمن كاثر البحر والمطر وجلب التمر الى هجر والذى حدانى اليه انه مرلى زمن ألهى خاطرى عنك فيه وسن فقلت قد كان من العقوق ترك رعاية الحقوق فلا ستمطرن مزن القول فقد كنت عهدتها تنسجم فتغدق ولاستسقين جابية الشيخ العراقى فقد كانت تطم فتنفهق أيام كنت أسحب ذيل الشباب وأسلك مسلك الكتاب ويعجبنى سلوك سهل الكلام وحزونه والتصرف بين أبكاره وعونه أستن استنان الطرف الجامح ولاأثنى عنان الطرف الطامح وأروى هامتى وأقول عاصبت على عمامتى الى ان نعم مفرقى بالقتير وعلتنى أبهة الكبير وودعت زمنى الزائل وعادت سهامى بين رث وناصل وعريت أفراس الصبا ورواحله وسدت على سوى قصد السبيل معادله فلئن هريق ماء الشباب واستشن الاديم وأقشع السحاب وتجلت الغيوم فلعل فى الافق رباية وفى الحوض صبابة وعسى أن يكون فى اخلاف المقالة در يرضع وفى حقاق البلاغة در يرصع ولازفنها عذراء لا ترتضى الا الاكفاء فليس يلين الصعد الافى مارق الهيجاء ولا يحسن العقد الافى عنق الحسناء ولاجعلن الشعر لها شعارا وفقر النثر لها دثارا فاهتصرها اليك وهى عروبا قد رضيت بك محبا ومحبوبا فتضمخك بمسكها وتؤمنك من فركها وتذر ذرور الشمس عليك وتهز فى ندوة الحى عطفيك فان قضت من حقك فرضا ورتقت من فتق الاخلال ولو بعضا فذالذى ماتضمنه الخاطر الذى نمنم بردها ونظم عقدها وان أخلف الظن ما توهم ووعد وقصر الذهن فيما أحكم وسدد فللخاطر عذر فى انه منصل أغفل شحذه وجلاؤه حتى ذهب فرنده وماؤه ومنهل ضيع ورده فنضب

عده (كامل)

والشول ما حلبت تدفق رسلها * وتجف درتها اذا لم تحلب

(وله) من قصيدة يمدح بها ذا الوزارتين أبا محمد بن الفرج (خفيف)

نبه الليل بالوجيف ولا تو * لع بذار الهوان بالاغماض

واقرضيف الهموم كل أمون * عنتريس وبازل شرواض

أنقذتني من الردى وطأي البيد * ونقض الهموم بالانقاض

شكلها كالقسي وهي سهام * للبلا والرغاء كالانباض

خلتها حين خاضت الليل سبحا * غمست من دجاه في خضخاض

صدعت عرمض الدياجر حتى * كرعت في ماء الصباح المفاض

حين راع الظلام وخط مشيب * قد سرى في سواده ببياض

وقال في الزهد (طويل)

تجوهرك الادنى عنيت بحفظه * وضيعت من جهل تجوهرك الاقصى

لقد بعت ما يبقى بما هو هالك * وآثرت لو تدري على فضلك النقصا

وقال في ذلك (طويل)

وما دارنا الأموات لو انتنا * نفكر والاخرى هي الحيوان

شربنا بها عزا بهون جهالة * وشتان عز للفتى وهوان

وقال يمدح المستعين بالله بن هود رحمه الله (طويل)

هم سلبوني حسن صبري اذ بانوا * باقمار أطواق مطالعها بان

لئن غادروني باللوى ان مهجتي * مسايرة أظعانهم حيثما كانوا

سقى عهدهم بالخيف عهد غمائم * ينازعها مزن من الدمع هتان

أأحبابنا هل ذلك العهد راجع * وهل لي عنكم آخر الدهر سلوان

ولي مقلة عبرى وبين جوانحي * فؤاد الى لقياكم الدهر حنان

تنكرت الدنيا لنا بعد بعدكم * وحفت بنا من معضل الخطب ألوان

رحلنا سوام الحمد عنها لغيرها * فلا ماؤها صدا ولا النبت سعدان

الى ملك حاباه بالمجد يوسف * وشاد له البيت الرفيع سليمان

الى مستعين بالاله مؤيد * له النصر حزب والمقادير أعوان

ومنها يمدحه رحمهما الله



بوجه ابن هود كلما أعرض الورى * صحيفة اقبال لها البشر عنوان
فتى المجد في برد بمبدر وضيغم * وبحر وقدس ذو الهضاب ونهلان
من النفر الشم الذين أكفهم * غيوث ولكن الخوا طر نيران
ليوث شرى مازال منهم لدى الوغى * هزبر بيمناه من السمر ثعبان
وهل فوق ما قد شاده مقتدر لهم * ومؤتمن بالله لقياه ايمان

(وله) يعزي ذا الوزارتين أبا عيسى بن لبون في أخيه (كامل)

للمرء في أيامه عبر * والصفو يحدث بعده كدر
خرس الزمان لمن تأمله * نطق وخبر صروفه خبر
نادي فأسمع لو وعت أذن * وأرى العواقب لو رأى بصر
كم قال هبوا طالما هجعت * منكم عيون حقها السهر
أباذن من هو مبصري صمم * أم قلب من هو سامعي حجر
لولا عماكم عن هدى نذرى * ومواعظي ماجاءت النذر

(ومنها)

هذى مصارع معشر هلكوا * وعظتكم بالعتب فاعتبروا
قالت أرى ليل الشباب بدت * للشيب فيه انجم زهر
فأجبتها لا تكثرى عجبا * من شيبة لم يجنها كبر

(ومنها)

لكن طويت من الهموم لظى * انحى لها في عارضى شرر
حسنت شمائلكم وأوجهكم * فتطابقا مرأى ومختبر
والحسن في صور النفوس وان * راقتك من أجسامها الصور
لا ضعضعت أيدي الخطوب لكم * ركنا ولا راعتكم الغير

(وله) يصف فرسا (طويل)

وأدهم من آل الوجيه ولاحق * له الليل لون والصباح حجول
تحير ماء الحسن فوق أديمه * فلولا التهاب الحضر ظل يسيل
كأن هلال الفطر لاح بوجهه * فأعيننا شوقا اليه تميل
كأن الرياح العاصفات تقله * اذا ابتل منه محزم وتليل
اذا عاجد الرحمن في متنه علا * بدا الزهو في العطفين منه يجول

فمن رام تشبيها له قال موجزا * وان كان وصف الحسن منه يطول
هو الفلك الدوار فى صهواته * لبدر الدياجى مطلع وأفول

(وله يخاطب مكة) أعزها الله تعالى (طويل)

أمكة تفديك النفوس الكرائم * ولا برحت تنهل فيك الغمائم
وكفت أكف السوء عنك وبلغت * مناها قلوب كى تراك حوائم
فانك بيت الله والحرم الذى * لعزته ذل الملوك الاعاظم
وقد رفعت منك القواعد بالتقى * وشادتك أيد برة ومعاصم
وساويت فى الفضل المقام كلاكما * ينال به الزلفى وتمحى المآثم
ومن أين تعدوك الفضائل كلها * وفيك مقامات الهدى والمعالم
ومبعث من ساد الورى وحوى العلا * بمولده عبد الاله وهاشم
نبى حوى فضل النبيين واقتدى * لهم أولا فى فضله وهو خاتم
وفيك يمين الله يلثمها الورى * كما يلثم اليمنى من الملك لاثم
وفيك لابراهيم اذ وطئ الصفا * ضحا قدم برهانها متقادم
دعا دعوة فوق الصفا فأجابه * قطوف من الفج العميق وراسم
فاعجب بدعوى لم تلج مسمعى فتى * ولم يعها الاذكى وعالم
ألهفى لاقدار عدت عنك همتى * فلم تنتهض منى اليك العزائم
فيا ليت شعرى هل أرى فيك داعيا * اذا جأرت لله فيك الغمائم
وهل تمحون عنى خطايا اقترفتها * خطا فيك لى أو يعملات رواسم
وهل لى من سقيا حجيجك شربة * ومن زمزم يروى بها النفس حائم
وهل لى فى أجر الملبين مقسم * اذا بذلت للناس فيك المقاسم
وكم زار مغناك المعظم مجرم * فحطت به عنه الخطايا العظائم
ومن أين لا يضحى مرجيك آمنا * وقد أمنت فيك المهى والحمائم
لئن فاتنى منك الذى أنا رائم * فان هوى نفسى عليك لرائم
وان يحمنى حامى المقادير مقدما * عليك فانى بالفؤاد لقادم
عليك سلام الله ما طاف طائف * بكعبتك العليا وما قام قائم
اذا نسم لم تهد عنى تحية * اليك فهدتها الرياح النواسم
أعوذ بمن أسناك من شر خلقه * ونفسى فما منها سوى الله عاصم

وأهدى صلاتى والسلام لاحمد * لعلى به من ككبة النار سالم

(الوزير الاستاذ أبو الحسين بن سراج رحمه الله تعالى)

كبير دار الخلافة الشهير الشفوف والاناقة الذى جاءت به الدنيا كما شاءت العليا وقار كانت به تنبت الارض ومقدار له النافلة فى الجلالة والفرض همى به للمعارف انسجام وأفصح منها إستجام فوسم عليه اغفالا وأوضح فهمه اشكالا وغدت به العلوم قد فض ختامها وانتفض قتامها وسهل صعبها وسلك شعبها ثم مضى فسد الدهر مطلعه وضم عليه القبر أضلعه فأضحت المعالى قد أقفر ربعها وتفرق جمعها وعادت المعارف قد طفى سراجها واستبهم انفراجها وأعيا على الناس علاجها فأمست الدنيا كان لم تنر ضيائه وغدت المعالى ضاحية من أفيائه وكانت له شذور بيان كانها شبرجان أو بشير بامان والماع بابداع كأنه انتظام الجواهر وابتسام الازاهر (وقد أثبت له) ماتضوع به الآفاق وتخلع عليه سوادها الاحداق (فمن ذلك رقعة خاطبنى بها) منها كتبت وروض العهد قد أضحت أناشيده وديوان الود قد صحت أسانيده ودوح الاخاء يتفاوح زهرا ويتناوح مجتنى ومهتصرا والله يصوب مزنته بشآبيب الوفاء ويمنح نغبته أعلى درجات العذوبة والصفاء برحمته وأما تلك المراجعة فكانها الماء عاقت عقت وقد نالها من عتابى فى ذلك ما استحقت (وله) يصف كتابا (وافر)

كتاب يزدرى بالسحر حسنا * وسمت به زمانك وهو غفل
معان تعبق الآفاق منها * يشيب لها حسود لئو هو طفل

(وله فى ثوب رآه على غير أهله) وكان عهده على من كان يوده (بسيط)

يالابس الثوب لاعريت من سقم * ولا تخطاك صرف الدهر والخطر
ويحى عليه ولهفى من تبدله * كم قد نطلع من أطواقه القمر
وكم ترنح فى أثنائه غصن * منعم النبت يدمى خده النظر
وكم ثنيت يدى عنه وقد نعمت * وظل منها فتيت المسك ينتثر
فاليوم أوحش مما كنت أعهده * كذا الصفو الليالى بعده الكدر

وله متغزلا (كامل)

لما تبوأ من فؤادى منزلا * وغدا يسلط مقلتيه عليه

نادبته

نادیته مسترحما من زفرة * أفضت بأسرار الضمير اليه
رفقا بعبدك الذى تحتله * يامن يحزب بيته بيديه

وله (طويل)

لئن لم تفز عيناى منك بنظرة * ولم أقض من لقياك ما كنت آمل
فعالم ما تخفى السرائر عالم * بأنك فى عينى وقلبى ممثل
وانك فيمن أتقيه بخلة * وأمحضه ودّى لصدر وأول

(وأنشدنى) له الفقيه أبو الفضل بن موسى بن عياض (بسيط)

بما بعينيك من غنج ومن دعج * ومن صوارم تنضوها على المهج
لا ترتضى الخلف فى وعد تركت به * قتيل حبك قدأوفى على الفرج
أولا فتنبه للمشتاق يلذ به * وفيت أولم تنى قولى بلا حرج

(وكتب) الى الراضى شافعا (بسيط)

بث الصنائع لا تحفل بموقعها * فيمن نأى أودنا ما كنت مقتدرا
كالغيث ليس يبالى حيثما انسكبت * منه الغمائم تربا كان أو حجرا

(ذو الوزارتين الفقيه قاضى قضاة الشرق أبو أمية ابراهيم بن عصام رحمه الله)

هضبة علاء لا تفرعها الاوهام وجملة ذكاء لا تشرحها الافهام هزم الكتائب بمضائه ونظم الرياسة فى سلك قضائه اذا عقد حباه أطرق الدهر توقيرا وخلته من تهيبه عفيرا يملأ بهوه بهاء ولا تغب مداه حزاوامهاء يبرم أمره نهارا وليلا ويشن من آرائه كل آونة خيلا لم يستتر الا بشمسه ولم يستشر فى رأيه غير نفسه المهابة تخدم لحظته والاصابة تقدم لفظته كان الحيا تنى بشاشته وتحفيه وكان الخلق قد جمعوا فيه وله نثر تحلت الايام بسناه ونظم استحلت الافهام جناه وقد أثبت منهما سطورا غدا حسنها فى صفحة البدر مسطورا (فمن ذلك فصل من رقعة) كتب بها الى الرئيس الاجل أبى عبد الله بن الحاج رحمه الله فى جانبى ووصل فلان فشكر ما أوليته ونشر ما قصدته فى جانبه وأتيته ما أمال الاهواء وأطال الثناء والدعاء وحبب عندك الآمال وجنب الملك الاملال وهو ممن قد علمت أيدك الله ارتفاع شان وابداع بيان وقد نهض بعزمة لا ترى ان تخدم غيرك وهمة لا ترتضى ان تلتزم الا أمرك ومثلك رحب مقدمه وأسبل عليه ديمه وعرف قدره وشرح بخلقه صدره ان شاء الله (وكتب اليه)

الوزير أبو الحسن بن الحاج (كامل)

مازلت أضرب في علالك بقولي * دأبا وأورد في رضالك وأصدر
واليوم أعذر من يطيل ملامة * وأقول زد شكوى فأنت مقصر

فراجعه أبو أمية (كامل)

الفخر يأبى والسيادة تجبر * أن يستبيح حمى الوفاء مزور
وعليك ان ترضى بسمع ملامة * عنى السناء وعهده لا يختر
ولدى ان نفث الصديق لراحة * صبر الوفى وشيمة لا تغدر

(وكتب اليه) أبو العباس القرباقى (بسيط مخلع)

أما ترى اليوم يا ملاذى * يحكيك فى البشر والطلاقه
والبحر يرتج مثل قلب * راقب من الفه فراقه
والجو صافى الاديم زهر * مد على أرضه رواقه
فامنن بمشى اليه انى * مالى على الصبر عنه طاقه

فاجابه أبو أمية (بسيط مخلع)

عندى لما تشتهى بدار * يشهد أنى على علاقه
فاخبر بما شئت صدق عهدى * تجد دليلا على الصداقه
وارفق فلى للفراق قلب * قطع ان زرته استباقه
يطلع بر الصديق بدرا * أثنته عمره محاقه
واسكن الى رأى ذى احتفاء * يعجز من رامه لحاقه
وابلغ سرى الجلال أنى * جئت بما قدرأى وفاقه

(وكتب) الى أبى العباس المذكور (طويل)

كتبت وعندى للنزاع عزيمة * تسهل تجشيم اللقاء على بعدى
ومعهد أنس ما عهدت تخضبا * فهل مقرض شكرى ومستقرض جدى
وان عاق عن عهد لبرك عائق * تلطفت فى العذر الجميل الى ودى

(وكتب) اليه كاتبه أبو الحسن باقى ابن أحمد وهو بالعدوة بهذه الابيات (وافر)

قصى الدار فى أسر الغرام * أليم القلب من وقع الملام
يضاهى دمعه دمع الغوادى * ويحكى شجوه شجو الحمام
وتذكره البدور سنا وجوه * زهاها الحسن عن حمل اللثام

ترق له الرياح فتقتضيه * اذا هبت تحية مستهام
لظنوا بالمنام غداة ظنوا * بأن الطيف يطرق فى المنام
ولولا طاعة ملكت قيادى * لابلج فى الذوابة من عصام
لما آثرت بعدا عن حبيب * يجرّع بعده غصص الحمام

فأجابه أبو أمية (وافر)

ذكرنا البر من لطف النظام * ومال برأينا سحر الكلام
وعندى للمطيع مطاع أمر * يجرّد للقاه ظبا اعتزام

* (الوزير الفقيه صاحب الاحكام أبو محمد عبد الله بن سماك رحمه الله تعالى) *

هو وأخوه أبو عمر فرقدان متوقدان وسراجان وهاجان فرعا مجد ونبعا مجد لا وهد مامنهما الا أغر وضاحا يوضح المشكلات ايضاحا ولهما سلف تقصر عن مداناته الاقدار وشرف تمكنا منه تمكن القطب من المدار وتولى الفقيه أبو محمد الاحكام فأقالها ووضع فى يد التقوى عقالها وحماها بأسنة من العدل وشفار وأراها وجه الديانة كالصبح عند الاسفار همام اذا التقى غمام اذا استسقى فان احتبى جاد وان اصطفى كان كالصارم والنجاد مهاب مع تواضعه وهاب يضع العرف فى مواضعه لايستنزل فى حقيقة ولا يستنزل عنها علك النعمان ابن الشقيقة وله علم كاللجة اذا اضطربت أمواجها والكتيبة اذا تحركت أفواجها وأدب كالروض غب المطر ومذهب كالنسيم هب على الروض وخطر (وقد أثبت) من نثره المبتدع ونظمه الذى يوضع فى النفوس ويودع ماتستحليه وتقلده الاوان وتحليه (فمن ذلك) قوله يصف الروض (كامل)

الروض مخضرّ الربا متجمل * للناظرين بأجمل الالوان
فكأنما بسطت هناك شوارها * خود زهت بقلائد العقيان
وكأنما فتقت هناك نوافج * من مسكة عجنت بصرف البان
والطير تسجع فى الغصون كأنما * نقر القيان حنت على العيدان
والماء مطرد يسيل عبابه * كسلاسل من فضة وجمان
بهجات حسن أكملت فكأنها * حسن اليقين وبهجة الايمان

(ولما حللت غرناطة) جاورته فكان لى بكاء أبى دؤاد سقاني حتى أروى كل ظما وجواد وأحلني من مبرّته بين ناظر وفؤاد ووالى من اتحافه وضروب ألطافه

ماحسبتني به مفطوما يعلل عن الفطام ورأيت الامالى مجنوبة الى فى خطام
وكنت كثيرا ما أجالسه فأقطف من مؤانسته أعبق نور وأخالنى بمجالسته
جليس قعقاع بن شور ولا ازال بين جنى للبدائع وقطاف وأعاطى أحاديث
مستعذبات النطاف وعندما ينشرح صدرا بسباطه ويشرح بنشر الاسترسال
ومد بساطه أستنشده لنفسه فينشدنى كل سحر حلال ويعلنى منه بسلسال زلال
فيعلق سريعا بحبالة ذكرى وكم كنت أحمل قول سواه ضغثا على ابالة فكرى
وعندما كنت أعزم عليه فى جمع ماله من بديع واهدا ملح من ذلك الصديع
يسدل دون ذلك حجابا ولا يولى به ايجابا فلم أزل ألح عليه الحاحا واقتدح
من ايجابه زندا واريا يعود لى فى ذلك شحاحا حتى كتب الى الكتابة أعزالله
الشريف الماجد ميدان لا يضمر له الا أفراس الرهان ولا تسابق فيه الاجياد
الفرسان ولا يعرف فيه بالعتق الامن حاز قصب السبق فكيف بالهملاج
المقتاد مع الفرس الجواد وانى للسكيت اذا ركض مع السابق اذا نهض
كلا وان أبا نصر ناظم سلك البلاغة وقائد زمام البراعة سحبان فى زمانه وقس
فى أوانه وابن المقفع فى مكانه والجاحظ فى بيانه اذا أوجز أعجز واذا شاء
أطال وأطلق من البلاغة العقال وأتى من ذلك سحرا حلالا وسقاه عذبا
زلالا اصل الكتابة أصولا وفصل أبوابها تفصيلا وحصل اغراضها تحصيلا
فلسان الشاهد منه يقول (وافر)

تنسمت الكتابة عن نسيم * نسيم المسك فى خلق الكريم
أبا نصر وسمت لها وسوما * تخال وشومها وضح النجوم
وقد كانت عفت فأنرت منها * سراجا لاح فى الليل البهيم
فتحت من الكتابة كل باب * فصارت فى طريق مستقيم
فكتاب الزمان ولست منهم * اذا راموا مرامك فى هموم
فما قس بابرع منك لفظا * ولا سحبان مثلك فى العلوم

لاغرو أعزك الله من تقصير فالكل فى ميدانك قصير ولكنها اصابة من نهرك
وثمد من بحرك أخرجها صميم ودك وابرزها صريح عقدك ومثلك طوى
عليها كشحا وأعرض عن صفحاتها صفحا وقبلها من باب الصفا وحنا عليها
من جانب الاخا والله تعالى يبقيك ويبارك للاخوان فيك بقدرته وعزته

(الفقيه الامام الحافظ أبو بكر بن عطية رحمه الله)

شيخ العلم وحامل لوائه وحافظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم وكوكب سمائه شرح الله لحفظه صدره وطاول به عمره مع كونه في كل علم وافر النصيب مباشر ابالمعلى وبالرقيب رحل الى المشرق لاداء الفرض لابس برد من العمر الغض فروى وقيد ولقى العلماء وأسند وأبقى تلك المآثر وخلد نشأ في بنية كريمة وأرومة من الشرف غير مرومة لم يزل فيها على وجه الزمان اعلام علم وأرباب مجد ضخم قد قيدت مآثرهم الكتب وأطلعتهم التواريخ كالشهب ومابرح الفقيه أبو بكر يتسنم كواهل المعارف وغواربها ويقيد شوارد المعاني وغرائبها لاستضلاعه بالادب الذي أحكم أصوله وفروعه وعمر برهة من شبيبته ربوعه وبرز فيه تبريز الجواد المستولي على الامد وجلى عن نفسه به كما جلى الصقال عن النصل الفرد وشاهد ذلك ما أثبته من نظمه الذي يروق جملة وتفصيلا يقوم على قوة العارضة دليلا (فمن ذلك) قوله يحذر من خلطاء الزمان وينبه على التحفظ من الانسان (رمل)

كن بذئب صائد مستأنسا * واذا أبصرت انسانا ففر
انما الانسان بحر ماله * ساحل فاحذره ايالك الغرر
واجعل الناس كشخص واحد * ثم كن من ذلك الشخص حذر

(وله) في الزهد (رمل)

أيها المطرود من باب الرضا * كم يراك الله تلهو معرضا
كم الى كم أنت في جهل الصبا * قد مضى عمر الصبا وانقرضا
قم اذا الليل دجت ظلمته * واستلذ الجفن ان يغتمضا
فضع الخد عن الارض ونح * واقرع السن على ماقد مضى

(وله) في هذا المعنى (بسيط مخلع)

قلبي يا قلبي المعنى * كم أنا أدعى فلا أجيب
كم اتمادى على ضلال * لا أرعوى لا ولا أنيب
ويلاه من سوء ما دهاني * يتوب غيري ولا أتوب
وا أسفي كيف برء دائي * دائي كما شاءه الطبيب
لو كنت أدنو لكنت أشكو * ما أنا من بابه قريب

أبعدنى منه سوء فعلى * وهكذا يبعد المريب
مالى قدر وأى قدر * لمن أحلت به الذنوب

(وله) فى المعنى أيضا (كامل)

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة * تلهيك فيه من القبيح فنونه
واعلم بانك لا تنال قبوله * حتى تكون تصومه وتصونه

(وله) فى مثل ذلك (طويل)

اذا لم يكن فى السمع منى تصاون * وفى بصرى غض وفى مقولى صمت
فحظى اذا من صومى الجوع والظما * وان قلت انى صمت يومى فما صمت

(وله) فى المعنى الاول (طويل)

جفوت اناسا كنت آلف وصلهم * ومالى الجفاء بعد الضرورة من باس
بلوت فلم أحمد وأصبحت آيسا * ولا شئ أشفى للنفوس من الياس
فلا تعذلونى فى انقباضى فاننى * رأيت جميع الشر فى خلطة الناس

(وله) يعاتب بعض اخوانه (وافر)

وكنت أظن ان جبال رضوى * تزول وأن ودك لا يزول
ولكن الامور لها اضطراب * وأحوال ابن آدم يستحيل
فان يك بيننا وصل جميل * والا فليكن هجر طويل

(وأما شعره) الذى اقتدحه من مرخ الشباب وعفاره وكلامه الذى وشحه بمآرب الغزل وأوطاره فانه نسى الى ما تناساه وترك حين كساه العلم والورع من ملابسه ما كساه (فما وقع الى) من ذلك قوله (كامل)

كيف السلو ولى حبيب هاجر * قاسى الفؤاد يسومنى تعذيبا
لما درى ان الخيال مواصلى * جعل السهاد على الجفون رقيبا

وله (بسيط مخلع)

يامن عهودى لديك ترعى * أنا على عهدك الوثيق
ان شئت ان تسمعى غرامى * من مخبر عالم صدوق
فاستخبرى قلبك المعنى * يخبرك عن قلبى المشوق

(ابنه الوزير الفقيه الحافظ القاضى أبو محمد عبد الحق بن عطية وفقه الله)

نبعة دوح العلاء ومحرز ملابس الثناء فذ الجلالة وواحد العصر والاصالة وقار

كمارسى الهضب وأدب كما اطرد السلسل العذب وشيم تتضاءل لها قطع الرياض ويبادر به الظن الى شريف الاغراض سابق الامجاد فاستولى على الامد بغلابه ولم ينض ثوب شبابه أدمن التعب فى السودد جاهدا حتى تناول الكواكب قاعدا وما اتكل على أوائله ولا سكن الى راحات بكره وأصائله آثاره فى كل معرفة علم فى رأسه نار وطوالعه فى آفاقها صبح أونهار (وقد أثبت من نظمه المستبدع ونثره المستبرع ماينفح عبيرا ويتضح منيرا ويسيح نميرا فمن ذلك قوله من قصيدة (بسيط)

وليلة جبت فيها الجزع مرتديا * بالسيف أسحب أذيالا من الظلم
والنجم حيران فى بحر الدجا غرق * والبرق فوق رداء الليل كالعلم
كأنما الليل زنجى بكاهله * جرح فيثعب أحيانا له بدم

(وله) يتخلق بأخلاق الشيب ويندب الشباب وهو منه فى ريعان قشيب ويتوجع لحمامته عوض بها من غرابه وصفت مسراته من شوائبه وهو يركض للهو بطرف جامح ويتطرق للمنى بطرف طامح (بسيط)

سقيا لعهد شباب ظلت أمرح فى * ريعانه وليالى العيش اسحار
أيام روض الصبا لم تذ وأغصنه * ورونق العمر غض والهوى جار
والنفس تركض فى تضمير شرتها * طرفا له فى رهان اللهو احضار
عهدا كريما لبسنا منه أردية * كانت عيونا ومحت فهى آثار
مضى وأبقى بقلبى منه نار أسى * كونى سلاما وبردا فيه يانار
أبعد أن نقهت نفسى وأصبح فى * ليل الشباب لصبح الشيب اسفار
وقارعتنى الليالى فانثنت كسرا * عن ضيغم ماله ناب وأظفار
الاسلاح خلال أخلصت فلها * فى منهل المجد ايراد واصدار
أصبو الى خفض عيش دوحه خضل * أو يثنى بى عن العلياء اقصار
اذا فعطلت كفى من شباقلم * آثاره فى رياض العلم أزهار
همى من العيش ودّ طاب مورده * ولم يشب صفوه للنقص اكدار
ومن سناكم أبا اسحق طالعنى * منه هلال له فى النفس ابدار
ألظ بالقلب يسرى منه فى أفق * هالاته فيه اجلال واكبار
نور ألم بمن بعدكم حلك * كالراح حفت بها فى دنها القار

لئن تمطى بجور ليل فرقتنا * لقد أنارت به للكتب أقمار
وان عدانا ابعاد عن تزاورنا * فانني بنات الفكر زوار

(وله الى الامير عبد الله بن مزدلى) وقد خرج فى احدى غزواته فوثق بظفره وكريم صدره وأقر القطعة عند كاتبه الوزير أبى جعفر بن مسعدة ليرفعها اليه منصرفه فوفى بما كلفه وتقدم الى رفعها عقب الغزاة وابتدر وجاء بها على قدر والقطعة المذكورة هى (كامل)

ضاءت بنور ايابك الايام * واعتز تحت لوائك الاسلام
أما الجميع ففى أعم مسرة * لما انجلى بظهورك الاظلام
بادرت أجرك فى الصيام مجاهدا * ماضاع عندك للثغور ذمام
وصمدت معتزما وسعدك منهض * نحو العدى ودليلك الاقدام
كم صدمة لك فيهم مشهورة * غص العراق بذكرها والشام
فى مارق فيه الاسنة والظبا * برق ونقع العاديات غمام
والضرب قد صبغ النصول كانما * يجرى على ماء الحديد ضرام
والطعن ينعث النجيع كانما * ينشق عن زهر الشقيق كمام
فلهنا عزية ظافر متأيد * جفت برفعة شأنه الاقلام
واليك ودى واختصاصى سابق * يجلوه من در الكلام نظام
انى وان خلفت عنك فلم تزل * منى اليك تحية وسلام

وحل بسلى الفقيه أبو العباس فخر بنى القاسم وزين الاعياد والمواسم الذى تهمى من يديه للندى سحب تكف وتطوف بكعبته الآمال وتعتكف غاب عنها ظم ينخ فيها عيسه ولم ير تخييمه بها وتعريسه ورحل من ساعته وقال شعرا أخذ الناس فى اشاعته واذاعته وهو (بسيط)

ياصاحبى انزلا قصر الجنى فسلا * أنى سلا المجد عن أن تحتويه سلا
كانما الربع لما غاب أحمده * منازل ضل عنها البدر منتقلا
جاد الزمان بلقيا منك سر بها * طورا وساء بذا العهد اذ بخلا
فاسمع مناجاة نفس من أخى ثقة * مضنى تحمله منك النوى غللا
وعد اليها أبا العباس تحك بها * مراتب الشمس لما حلت الحملا
لازلت فى عقدها وسطى ولاعدمت * منكم حساما يباهى خوله خللا

(ومرزنا)

(ومررنا) في احدى نزهنا بمكان مقفر وعن المحاسن مسفر وفيه بركة نرجس كانه عيون مراض يسيل وسطه ماء رضراض بحيث لا حس الا الالهام ولا أنس الا ما يعترض للاوهام فقال (رمل)

نرجس باكرت منه روضة * لذ قطع الدهر فيها وعذب
حثت الريح بها خمر حيا * رقص النبت لها ثم شرب
فغدا يسفر عن وجنته * نوره الغض ويهتز طرب
خلت لمع الشمس في مشرقه * لهبا يحمله منه لهب
وبياض الطل في صفرته * نقط الفضة في خط الذهب

(وكتب) أعزه الله ياسيدى الاعظم وعمادى الاكرم ومعقلى الاعصم ومن أطال الله بقاءه وأدام علياءه وسناءه ولا زال عميم المجد كريم العهد مراعيا حرمة ذى الخلوص والود طارحا قذى المبطلين عن مشارب الصفاء مطهرا الحياء الغدر عن عود الوفاء بعزة الله كتبته أدام الله عزك بعد أن وافانى كتابك الاكرم بصحبة الفقيه الجليل أبى فلان أعزه الله فاول ما أقول فى شكره الذى أفعم الافق طيبا وأسمع الصم خطيبا ورد فما زال يعيد ذكرك الاعطر ويبدى ويستر أثناء الاحاديث حمدك الالزم وينشى قضاء لحق المجد الذى لك سبقه وخصله وثناء بالذى أنت أهله وذكر من تلك المكارم التى تحنو فى وجه السحاب المجلب والمنزل الذى كانما كان على آل المهلب ما أهب الالسنة بالدعاء وغمر النفوس بأريحية السراء ثم تلا على دام عزك بما شاهده من مذهبك الاجمل وصفاتك الاول واعتقادك فى جهتى أن الوشاة أثنوا بالذى عابوا وخابت سهامهم فما أصابوا وهذه الامور وصل الله توفيقك كما خبرت وعلى ما جربت قديما وحديثا وسبرت الغواة لا يتركون أديما صحيحا ولا يذرون فى المعالى رأيا رجيحا بل يتسنمون الى ذوائب الشرف بالاذى ويطرقون المشارب الزرق الجمام بالقذى فان ألفوا مهزا وصادفوا الثغرة محزا سددوا ولجوا بالفظاظة وهينموا وأى حيلة أدام الله كرامتك فيمن يخلق ما يقول وأنى بالخلاص والسلامة شئ ما اليه سبيل وما زالت مذ صحبت الامجاد وثاقفت الحساد أجعل هذه الامور دبر الاذن وأقنع لها بايلاء التجارب والفتن علما بان سرى سيبينه اطراد الاعلان وأن قول الغوى ستفضحه شواهد الامتحان وبأواخر الامور يقضى للاوائل والله

عزوجهه عند لسان كل قائل ولو تتبعت كل وشاية بالتكذيب وأجبت كل نعيب وضغيب لما اتسع لغير ذلك العمر ولا استراح من وساوسه الفكر وأنت وصل الله عزك الملى بحفظ العهد وجبر الاجر والقصد وعياذا ان يخفى الصواب بين عهدك الوفى وظنك الالمعى وتثبتك الشرعى والله تعالى يعمر بالسودد ربعك ويوسع لحمل أثقال المعالى وأعبائها ذرعك ويجعل من كفايته ووقايته جنتك من الزمن ودرعك والسلام عليك ورحمة الله (وكتب الى الامير عبد الله بن مزدلى) معزيا بمصابه فى أخيه الامير محمد المستشهد على نبرة أدام الله تأييد الامير الاجل محروسة بحسام القدر جوانبه مكتنفة بيمن السعد مذاهبه جارية مسرى الانجم مراتبه وأطال بقاءه جابر صدوع الرياسة عند انفصامها وخلف سلف النفاسة ووسطى نظامها ولا زال توزن به الاوائل فيرجح ويعارض بعزنه بهيم النوائب فيصبح كتبته أعلى الله يدك عن فؤاد دام ودمع هام ولب حائر وقلب فى جناحى طائر ونفس يجرى بذوبها النفس ولا تضيق الارى بما تتكس بهذا الطارق المطرق والنبا المغص المشرق والضارب بين مفرق الاسلام وجبينه والمغيل فى غسل الملك وعرينه مصاب الامير الاجل أبى عبد الله أخيك سقى الله ثراه وضوأ بأنوار الشهادة أفقه وذراه وبرد له بنوافح الرحمة مضجعا وازجى اليه الغوادى مربعا فربعا هلال ملك بادره السرار عند ابداره ودوح مجد هصرته المنون أوان اثماره حين مالت به الرياسة كما اهتز الغصن تحت المارح وافترنابه عن شباة القارح فانا لله وانا اليه راجعون تسليما فيه للقضاء المصمم وتأسفا منه على فرد يغدى بالخميس العرمرم لله دره حين التفت عليه الفوارس وحمى الوطيس واشتد التداعس وعظم المطلوب وقل المساعد وهب من سيفه مولى نصله لا يجارد فرأى المنية ولا الدنية وجرع الحمام ولا النجاء براس طمرة ولجام وشمر عن أكرم ساعد وبنان وقضى حق المهند والسنان ولبس قلبه فوق درعه ولم يضق بالجلاد رحب ذرعه (طويل)

وأثبت فى مستنقع الموت رجله * وقال لها من تحت أخمصك الحشر

ومضى وقد وقع على الله أجره ورفع فى عليين ذكره وخلد فى ديوان الشهادة فخره والله عز وجل يحسن فيه عزاء الامير الاجل ويشد بالتأييد عضده ويريش بالسعادة جناحه ويمكن يده ويكثر من محتده الاكرم عدده ولا غرو أدام الله

تأييدك

تأييدك ان عض الزمان في غارب فالشر لا يحسب ضربة لازب وأناخ كلكله مرة فالعيش طورا شماس وطورا غرة ومثلك دام أمرك من حلب الدهر أشطرا وعرف للايام بطونا وأظهرا وخبر امتزاج النعم بالنوائب وغنى بفهمه عن التجارب يرغم بجميل الصبر أنف الحادث ويفل بلامة الجلد حد الكارث ويعلم ان الزمن وان سر حينا فهمه ناصب والدنيا اذا اخضر منها جانب جف جانب فأنت أعلى الله يدك أثقف قناة وأصلد صفاة وأصلب على البرى عودا وأثقب مع الورى زنودا من أن يضعضع الريب لهضبة عزمك ركنا أو يعمر الخطب لساحة حلمك مغنى أو يقذف الدهر عليك بصرف أو ينزع الاسبحية وعرف فالحياة وان أرخى طولها قيامة بالبيد والمرء وان جمح أمله هامة اليوم أو الغد وانما ضربت أدام الله تأييدك هذه الامثال وان كدت أن ألم بقيل وقال وسرت هذه العبر وان جلبت التمر الى هجر حرصا على تسلية نفسك العزيزة عن طائف الهم وتعزيتها عن حوه الملم فاقصرها أيدك الله على العزاء وقفها وأوردها مشرعة التأسي ورفها اذ لا يعتب لجازع الزمن ولا يرد الفائت الحزن والله عز وجل يلم بسعدك الشعث ويرأب الشعب ويضفي من رياستك الذوائب ويعلي الكعب ويذيق الذين يضاهونك هونك ويجعل الذين يحسدونك دونك بعزته وصنع الله للامير الاجل أجل الصنع (ولما تغلب العدو على ميورقة كبته الله وجبرها وتحققت الكافة خبرها خاطب الفقيه أحد زعماء الدولة وأدرج طي خطابه هذه المدرجة والشعر الموصول بها وانى أقر الله عينك لا تردد وقد قصر عن تملي السليم وأتجلد وفي نفسي المقعد المقيم بهذا الصادم الهادم والنبا القاصم الذي أطفأ نور الحياة وأخباه وأوجب أن ينادى كل مؤمن واحر قلباه أمر ميورقة بأبا الله بصرفها صدع الجزيره وجبر بجبرها من جناح الاسلام كسيره وثقف بغوث دمائها اضطراب مناده وأعاد تلافيها ما غيض من صبره ومن جلاده فيالله لما كان فيها من اعلان توحيد عادهمسا ويوم ايمان آض أمسا وبارقة كفر طلعت شمسا وصباح شرع أظلم بداجي الشرك وأمسي وبجوم أصبح حرمها منتهبا وفرقتها بيد الغلبة أيدى سبا ونخفرات اذال السباء صباها ولا وجه عفر منهم القتل سواعد وجباها ومزقهم السيف كل ممزق فلله أرحام هنالك تشقق رحمهم الله ماتوا

كراما ولقاهم نضرة وسرورا وسلاما وختم لنا بعدهم بأحد الخواتم وأسندنا من أمره الى عاصم (طويل)

ونحو أمير المسلمين تطامحت * نواظر آمال وأيدى رغائب
من الناس تستدعى حفيظة عدله * لصدمة جور فى ميورق ناصب
مقيم فان لم يرغم السعد أنفه * ألم فوافى جانبا بعد جانب
لقتل وسبى واصطلام شريعة * لقد عظمت فى القوم سوء المصائب
أليس جديرا ان يشيع ذكرهم * بأمة قلب فى المدامع ذائب
لنا الله والملك الذى نرتجى به * من الزمن المرتاب رجعة تائب
هو الغوث فاعطفه علينا بنظرة * من الحزم تحنو فى وجوه النوائب
أليس الذى لم يحجب الدهر مثله * أغرّ صباح الدين صدق المضارب
وأعنى ووقع الذنب تدمى كلومه * وأكفى اذا كفت صدور الكتائب
عهدناه يقرى الضيف قبل نزوله * ويلبس وقت السلم درع المحارب
ويغزو فلا شئ يقوم لعزمه * ولو أنه يرمى به فى الكواكب
اذا ظن لم يعدم يقين مشاهد * وان همّ لم يخطئ رمية صائب
فلا زال جيش النصر يقدم جيشه * وتلقاه بالبشرى وجوه العواقب

وله يصف فحما (كامل)

جعلوا القرى للقرّ فحما حالكا * قدح الزناد به فأورى نارا
فبدا دبيب السقط فى جنباته * كالبرق فى جنح الظلام أنارا
ثم انبرى لهبا ونار كأنه * فى الحرق ذو حرق يطالب ثارا
وكأنه ليل تفجر فجره * نهرا فكان على المقام نهارا

وله وقد ودّع بعض اخوانه (بسيط)

أستودع الله من ودّعته وبدى * على فؤادى خوفا من تصدّعه
بدر من الودّ حازته مغاربه * فالنفس قد أشخصت طرفا لمطلعه
أتبعته بعد توديعى له نظرا * انسله غرق فى بحر أدمعه
ما أوجع البين فى قلب الكريم غدا * يفارق القلب فى ثوبى مودّعه
يذيبه البين تعذيبا ويمنعه * من أن يطير شعاعا اسر أضلعه
يسطو به البين مغلوبا فليس سوى * تململ فى فراش من توجعه

وله يصف الزمان وأهله (كامل مجزو)

داء الزمان وأهله * داء يعز له العلاج
أطلعت فى ظلمائه * وداً كما سطع السراج
لصحابة أعيا نقا * فى من قناتهم اعوجاج
أخلاقهم ماء صفا * مرأى ومطعمه اجاج
كالدر ما لم تختبر * فاذا اختبرت فهم زجاج

(وكتب الى الفقيه القاضى أبى سعيد خلوف بن خلف اعزه الله) من حضرة بلنسية وقد نهض فى صحبة الامير الاجل عبد الله بن مزدلى عند منهضه الى سرقسطة أعادها الله طلبا لمناديها ومعيا للمدافعة العدو المخيم بواديها وأقام الفقيه أبو محمد خلاف العسكر هنالك لغرض اعترضه وعاق منهضه استوهب الله للفقيه الاجل قاضى الجماعة سيدى وعمادى شمول نعمه وأياديه واتصال روائح عز الطاعة وغواديه واتصال خواتم الاعمال بمباديه والتئام عواجز السعد بهواديه ولا زال منهل سحاب العدل ممتد أطناب الظل مخضر جوانب الفضل لا يقرع باب أمل الا ولجه ولا يعن لما تنكره النفوس من أمر الا فرجه بعزة الله كتبته أدام الله بالطاعة عزك من حضرة بلنسية حرسها الله يوم كذا عن منير ودك الذى لا تخبو لذى نارُه ولا تأفل عندى شموسه وأقماره ونضير عهدك الذى لا يخلع لبسة الحكرم ولا يزداد الا طيبا على القدم وعظيم حمدك الذى به أحاور وأحاضر وبمحاسنه أباهى وأفاخر والله تعالى يملأ بمحامدك أسماعنا ويطلق ألسنا ويقيك للفضل غيثا كريما وأثرا حسنا ويديم ما بيننا فى ذاته زكى الفروع ثابت الاصول حصين الشكة من هف النصول بمنه بعد أن ورد كتابك الكريم روضة الحزن غب المزن وحديقة الزهر تبسمت لوفد المطر تتبارى الى محاسنه العين والنفس ويترقرق من خلاله الانس وانتهيت منه الى ما يقتضى رضانا وتسليمنا ويسر كاشمى اللديغ سليما وأما ما ذهبت اليه دام عزك من تعرف الانباء واجتلاء الانحاء فان ابن رذمير وقمه الله قد جعل فناء سرقسطة لكلكله عطنا واتخذ ذلك الحريم وطنا وذلك انه ندب لهذه السفرة من أهل ملته ما ندب وأجلب من خيلهم ورجلهم ما أجلب وهو يعتقد ان بمنازلته سرقسطة ستفتح عليها أبواب حروب وانه قد دلى غلا غير مغلوب فلما رأى ان

حامتها ليست بضربة لازب وأبصر حبلها على الغارب نبهت المطامع حرصه ففعل فعل الضعيفة أصابت فرصة فلازم ملازمة الغريم وصرف اليها وجوه الهيم مع ان غراب الرحيل ينعب كل يوم في عرصاته و يفصح وطوائف الافرنج دمرهم الله كل ليلة تمسي ولا تصبح لان بيتهم قذف ونواهم نزوح ومن دون أفواجهم مهامه فيح وأيضا فان الامير الاجل أبا محمد عبد الله ابن مزدلي أيده الله قد أضاق بضبط الطرق وقطع المتصرفين ذرعهم وعجز بنصب حبائل الخيل لمن شذ أو فر وسعهم فانه دام أمره أطل عليهم اطلال الفجر على الظلام وأخذ هنالك بضبع الاسلام وأقام مرة كالحية النضناض وطورا كالاسد القضقاض يسرب الى محلتهم من يضرم نار الحرب في أكنافها ويأتي أرضهم ينقصها من أطرافها ولولاه ما علا هنالك للاسلام اسم ولا عاد للمدافعة رسم ولا لاح للمكافحة وسم ولا عن لتلك العلل المجهزة على تلك الاقطار حسم ولكنه ركب صعب الاهوال وصدق الصيال وهي أعزك الله أقطار ان لم تقم القوة منها ميلا وجنفا ويستعمل الجد لها انظرا انفا والا فعقدها بمدرج شار وهي في طريق اشكاث وعثار والله يكفي المسلمين فيها وينعم عليهم بتلافيها بعزته والسلام الجزيل عليك يا عمادي ورحمة الله وبركاته .

(الوزير الحسيب الفقيه المشاور القاضي أبو الحسن بن أضحى أعزه الله)

نسب ما وراءه منتسب ولا مثله حسب شرف باذخ تعقد بالنجوم ذوائبه وتحل في مفرق النسر ركائبه استفتحت الاندلس وقومه أصحاب رايات وأرباب آماد في السبق وغايات استوطنوها فغدوا بحور مواهبها وبدور غياهبها وجاء أبو الحسن آخرهم فجدد مفاخرهم وأحيا الرفات وأغنى العفاة فيما أصفه وقد بهر وبدا فضله كالصبح اذا اشتهر وبما ذا أحليه وعنه تقصر الحلي وبه يتزين الدهر ويتحلى ولكني أقول هو بحر زاخر وفضل سواء أوائله والاواخر تفخر به الدنيا وتزهى وهو للعلياء سماك ووسها اذا جادهمى غيثا وان صال غدا ليثا ولي القضاء فهيب انكاره واتجلى من أفق الدين غيمه واعتكاره وحييت به الرعايا ولويت ألسن البغي والسعايا وله سجايا برئت من الزهو وأحكام عوفيت من الغلط والسهو . سقته العلوم زلالها . ومدت عليه ظلالها وأرقته الجلالة هضابها وأرشفته الاصالة رضابها فلاح في سماء العلاء بدوا

وصار فى فناء السناء صدرا عدلا فى أحكامه جزلا فى نقضه وابرامه وله نظم متع الصفات أحلى من الرشفات وقد اثبت منه ضروبا لاتجد لها ضريبا (أخبرنى ذو الوزارتين أبو جعفر بن أبى رحمه الله) أنه كتب اليه شافعا لاحد الاعيان فلما وصل اليه برّه وأنزله وأعطاه عطاء استعظمه واستجزله وخلع عليه خلعا وأطلعه من الاجلال بدرا لم يكن له متطلعا ثم اعتقد أنه جاء مقصرا فكتب اليه معتذرا (طويل)

ومستشفع عندى بخير الورى عندى * وأولاهم بالشكر منى وبالحمد

وصلت فلما لم أقم بجزائه * لففت له رأسى حياء من المجد

ومن باهر جلاله وظاهر خلاله انه أعف الناس بواطن وأشرفهم فى التقى مواطن ماعلمت له صبوة ولاحلت له الى مستفزة حبوة مع عدل لاشئ يعدله وتحجب عما يتقى يرسل عليه حجابه ويسدله (وكان لصاحب البلد) الذى كان يتولى به القضاء ابن من أحسن الناس صورة وكانت محاسن الاقوال والافعال عليه مقصورة ماشئت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالبهاء والثقاف فحملنا الى احدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا قريته على ضفة نهر أحسن من شادمهر تشقها جداول كالصلال ولاترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جلة من أعيانها فأحضرنا من أنواع الطعام وأرانا من فرط الاكرام والانعام مالايطاق ولايحدّ ويقصر عن بعضه العدّ وفى أثناء مقامنا بدا الى من ذلك الفتى المذكور ما أنكرته فقابلته بكلام أحقده وملام أعتقده فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ولم أر منه ماعهدته من الانابة فكتبت الى أبى الحسن مداعبا فراجعنى بهذه القطعة (طويل)

أتتنى أبا نصر نتيجة خاطر * سريع كرجع الطرف فى الخطرات

فاعرب عن وجد كمين طويته * بأهيف طاو فاتر اللحظات

غزال أحم المقلتين عرفته * بخيف منى للعين أو عرفات

رمالك فأصمى والقلوب رمية * لكل كحيل الطرف ذى فتكات

وظنّ بأنّ القلب منك محصب * فلباك من عينيه بالجمرات

تقرّب بالنساك فى كل منسك * وضحى غداة النحر بالمهجات

وكانت له جيان مثوى فأصبحت * ضلوعك مثواه بكل فلاة

يعز علينا ان تهيم فتنطوى * كئيبا على الاشجان والزفرات
فلو قبلت للناس فى الحب فدية * فدينالـ بالاموال والبشرات

ومن ايثار ديانته وعلامة حفظه للشرع وصيانته وقصده مقصد المتورعين وجريه مجرى المتشرعين أن أحد أعيان بلده كان متصلا به اتصال الناظر بسواده محتلا فى عينه وفؤاده لا يسلمه الى مكروه ولا يفرده فى حادث يعروه وكان من الادب فى منزلة تقتضى اسعافه وتورده من تشفيعه فى مورد قد عافه فكتب اليه ضارعا فى رجل من خواصه اختلط بمرأة طلقها ثم تعلقها وخاطبه فى ذلك بشعر فلم يسعفه وكتب اليه مراجعا (متقارب)

ألا أيها السيد المجتبى * ويا أيها الالمعى العلم
أتتنى أبياتك المعجزات * بما قد حوت من بديع الحكم
ولم أر من قبلها بابلا * وقد نفثت سحرها فى الكلم
ولكنه الدين لا يشترى * بنثر ولا بنظام نظم *
وكيف أبيح حمى مانعا * وكيف أحلل ما قد حرم
ألست أخاف عقاب الاله * ونارا مؤججة تضطرم
أأصرفها طالقا بتة * على أنك قد طغى واجترم
ولو أن ذاك الغبى الجهول * تثبت فى أمره ما ندم
ولكنه طاش مستعجلا * فكان أحق الورى بالندم

وكتب فى غرض عن له القول فيه (بسيط)

يا ساكن القلب رفقا كم تقطعه * ألله فى منزل قد ظل مثواكا
يشيد الناس للتحصين منزلهم * وأنت تهدمه بالعنف عيناكا
والله والله ما حبى لفاحشة * أعاذنى الله من هذا وعافاكا

وله فى مثل ذلك (بسيط)

روحى لديك فردّيها الى جسدى * من لى على فقدها بالصبر والجلد
بالله زورى كئيبا لا عزاء له * وشرّ فيه ومثواه غداة غد
لو تعلمين بما ألقاه يا أملى * بايعتنى الود تصفيه يدا بيد
عليك منى سلام الله ما بقيت * آثار عينك فى قلبى وفى كبدى

وله يتوجع من الفراق (كامل)

أزف الفراق وفي الفؤاد كلوم * ودنا الترحل والحمام يحوم
قل للاحبة كيف أنتم بعدكم * وانا أسائر والفؤاد مقيم
قالوا الوداع يهيج منك صبابة * ويثير ما هو في الهوى مكتوم
قلت اسمعوا الى أن أفوز بنظرة * ودعوا القيامة بعد ذاك تقوم

(ولما انتهز ابن رذمير) في سرقسطة أعادها الله ووقه فرصة أسهرت العيون وأرقتها وطرقت النفوس من ذلك بما طرقتها انتدب الامير عبد الله بن مزدلي رحمه الله دون أن يندب والمسلمون ينسلون معه اليها من كل حدب وشمر تشمير البطل المغوار وعمر اليها النجاد والاغوار حتى دخلها والعدو صاغر وأطل عليه منه أسد فاغر وحصره في أخبيته ووقف له في ثنيته لم يجل له في مجال السهم ولم ينله انتهاب نعم ولا بهم فاستبشر المسلمون بمضائه واستظهر الدين بانتضائه لولا ما عاجله الحمام وساجله بيد أمضى من الحسام خط الردى هنالك موضعه وأثكل فيه الاسلام وفجعه وعند ارغامه لابن رذمير وايغاله في شعابه بالخراب والتدمير كتب اليه القاضي أبو الحسن يمدحه ويذكر منابه (بسيط)

يا أيها الملك مضمون لك الظفر * أبشر فمن جندك التأييد والقدر
وأب لنا سالما والسعد مقتبل * والدين منتظم والكفر منتثر
وقد طلعت على البيضاء من كثب * كما تطلع في جنح الدجا القمر
حللت في أرضها في جحفل لجب * كما يحل بها في الازمة المطر
وحولك الصيد من لمتونة وهم الابطال يوم الوغى والانجم الزهر
والعرب ترفل فوق الغرب سابحة * كالاسد ليس لها الا القنا ظفر
من كل أروع وضاح عمامته * كالبدر نحو لقاء الجيش يبتدر
شعاره البر والتقوى ومؤنسه * في ليله رمحه والصارم الذكر
ذؤابة المجد من قحطان كلهم * أبوهم حمير ذو المجد أو مضر
ومن زناتة أبطال غطارفة * ذوو تجارب في يوم الوغى صبر
ولمطة وهم أهل الطعان لدى الـهيجا * في زمر تقتادها زمر
كأنهم في جبين المجد اذ ركبوا * مصممين الى اعدائهم غرر

(الفقيه الكاتب أبو عبد الله اللوشي رحمه الله تعالى)

طود علاء رسا وسوى ... وزند ذكاء أورى بالانشاء والتحبير الفضل حشو

أبراده والنبل تلو اصداره وايراده مع نفس عذبت صفاء وشيمة ملئت وفاء واحتفاء ومذهب صفا صفاء التبر وخلص من الخيلاء والكبر وسعى لكل نجح ضامن ووقار كان ثبيرا فيه كامن وأدب زرت على الاعجاز جيوبه وهبت بعرف الاحسان صباه وجنوبه ونظم ونثر بلغا الغاية وفي يدهما للسبق لواء وراية الا أنه مني بخلق حرجت وساءت وظنون شتى بعدت عن الخير وتناءت وأوجبت له من اللوم ماشاءه النقص وشاءت ولولاهما الامتطى الافلاك واستخفض الغفر والسماك (وقد أثبت) من نظمه ونثره نبذا تدير عليها الحميا وتتنسم لها عرفا وريا (فمن ذلك) رسالة كتب بها الى الوزير الفقيه أبي محمد عبد الحق بن عطية وفقه الله وهي أطال الله بقاءك ياسيدي الاعلى وذخري الاغلى وواحد أعلاقي الاسمى ومنحة الله العظمى مخدوما بأيدي الاقدار معصوما من عوادي الليل والنهار مكتنفا من لطائف الله الخفية وعوارف صنائعه الحفية بما يدفع عن حوزتك نوائب الخطوب ويصنع لك في طي المكروه نهاية المحبوب لله تعالى أقدار لا يتجاوز مداها وأحكام لا تخطئ مراميها ولا تتخطاها وآثار يحلها المرء ويغشاها ولهذا من كتبت عليه خطا مشاها غير أنه دام عزك قد يخير الله لعبده في الامر المكروه ويلبسه في أثناء المحنة ثوبا من المنحة لا يسروه فمن الحزامة لمن تحقق بالايام ومعرفتها وعلم صروف الليالي بكنه صفتها أن يغضي عن الخطب شهما بوائبه ولا يتوقى ظهرما هو راكبه اذ لامحالة أن العيش ألوان وحرب الزمان عوان وحتم أن يستشعر الصبر والجلد من يساوي الرجال ويقرر في نفسه أن الايام دول وأن الحرب سجال ويعتقد أن ما يعرضه في خلال النضال من وخز الكفاح ويعترضه بمجال الرجال من حفز الرماح غمار تقلع وغبار يقشع لاسيما اذا كان الذي أصابه جرحا أشواه وسهم غرب حاد عن المقتل الى سواه ثم أجلت الحرب عن قرنه ترب الجبين شرقا بدم الوتين فقد أربت لذة غلبه وفرحة منقلبه على ما غاله من وصبه وناله من تجشم نصبه وأراح بعزة الظفر وهزة بلوغ الامل وقضاء الوطر ولم أزل أدام الله عافيتك أرتاع لفراقك بتذكرك واشتياقك وأتعلل منك بالمنى وأعول فيك على التسليم لمانفذ المنى وأرجع على ترداد لعل وعسى ومواصلة تجرع الكمد لانتزاحك والاسى والاشفاق يغوربي وينجد والتعلل يعين على مضض بعدك وينجد والتجلد يصور لي الامل ويثني

الرجاء المؤمّل الى أن أنتظر ان شاء الله فى جانبك الصنع الجميل وأثق لك منه عز وجهه باللطف الخفىّ والفتح الجليل وأتيقن لك بعادة الله السنية وعارفته السالفة الهنية وكونك قرة سنا وهضبة سرورنا انك لن تعدم حيث كنت مسرّة ولا تفقد بكل قطر تحلّه تكرمة ومبرة وانّ قدرك معروف بكل مكان والنفيس نفيس حيثما كان ولكنى علم الله كنت أتخيل خلو حضرتنا المزدانة بحلالك من التجمل بجدك وعلاك فأستوحش وأتمثل بقوله

نبئت أن النار بعدك أوقدت * فأجهش (طويل)

أقلب طرفى فى الفوارس لا أرى * حزاقا وعينى كالحجاة من القطر

وايم الله ياسيدى الاعلى تكدّر بعدك الهبا ونغص فراقك الدنيا واقشعرت بعدك العليا وأصبح طرف لا أراك به أعمى الى أن وافى من فلان راجلك بشيرا فاغتديت لعمر الله جذلا وارتددت بصيرا وقلت عودة من الزمان وعطفة من درك الآمال والامان فالحمد لله الذى وهب هذه المسرّة بتمامها وأطلق النفس من عقلة اغتمامها والشكر له على مامنّ به من ايابك وأنعم به من فيئتك واقترابك فانها النعمة المالكة خلدى المالئة لسانى ويدى التى هى أحلى من الامان وأسنى من كرّة العمر وعودة الزمان والرب يهنئك السلامة ويلحفك أبرادا العز فى حالتى الظعن والاقامة ويعرّفك يمن قفولك وبركة رحلتك وحلولك ويسعدك بمقدمك ويجعل الايام من خدمك بعزته الباهرة وقدرته القاهرة والسلام الجزيل العميم عليك ورحمة الله وبركاته (وله) من قطعة راجع بها الوزير أبا القاسم بن السقاط ارتجالا (كامل)

يا لابسا برد العلاء مفوّقا * بأجلّ مأثرة وأسنى مفخر
انى وحقك لو جهدت مودّة * نفسى لأبلغ كنه مافى مضمرى
لو كنت أسطيع الوفاء بما أرى * لجلال قدرالاوحدىّ الشمرى
لنضوت جلباب الشباب غفارة * وخلعتها بدلا له من مجطر
أوكنت أرسل مايليق بقدره * لبعثتها من سندس أو عبقرى
وبذلت نفسى دونه ووقيته * بنفيس عمرى من صروف الادهر
لله أبيات أتتنا خمسة * مثل الفرند نظمن نظم الجوهر
جمعت من السحر الحلال محاسنا * من كل معنىً رائق مستبدع

سوًى وشيعتها لسان حائك * ووشي سداها خاطر كالسمهري
فأنت حبيبا لن يفوه بمثلها * وأنت بما ترى بنيل البحتري
فالبس هنيئا برد مجد سابغ * واسحب ذيولك زاهيا وتبختر

(وله رسالة كتب بها الى أمير المسلمين) يعزيه في الامير مزدلي رحمه الله أطال الله بقاء أمير المسلمين وناصر الدين الشائع عدله السابغ فضله العظيم سلطانه العلي مكانه السني قدره وشانه في سعد تطرف عنه أعين النوائب وجد تصرف دونه أوجه المصائب كل رزء أدام الله تأييده وان عظم وجل حتى استولى على النفوس منه الوجل اذا عدا بابه وتخطى جنابه فقد اخطأ بحمد الله المقتل وصد عن سواء الغرض وعدل واذا كانت أقدار الله تعالى غالبة لا تصاول وأحكامه نافذة لا تزاول فالصبر لواقعها أولى والتسليم لجوازها أوهب لرضا المولى والتزام أوامره أشرف وأعلى وفي كل حال أجل وأولى وكتبته أدام الله تأييده والنفس بنار زفراتها محترقة والعين بماء عبرتها شرقة مغرورقة لما نفذ قدر الله المقدور وقضاؤه المسطور من وفاة الامير الاجل أبي محمد مزدلي قدس الله روحه وسقى ضريحه فيا له رزأ قصم الظهر ووسم النجوم الزهر وأذكى الأحزان وأبكى الاجفان وأقصى المهاد بمكانته من الدولة المنيفة ومنزلته من الامرة الرفيعة الشريفة وعند الله نحتسبه ذخيرة عظمى ونسأله المغفرة له والرحمى فانه كان نور الله وجهه متوفر الهمة على الجهاد من أهل الجد في ذلك والاجتهاد وحسبه أنه لم يقض نحبه الا وهو متجهز في عساكره فأدركه الموت مهاجرا ومع الله تاجرا وأرجو أن يكون تعالى قد قرن له فاتحة السعادة بخاتمة الشهادة وأمير المسلمين أورى في الرياسة زندا من أن تضعضعه الخطوب وان أهمت وتوجعه الحوادث اذا ادلهمت والله يحسن عزاءه على فجعه ولا يدني حادثا بعده ممن ربعه بمنه عز وجل

(الفقيه الحافظ القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله تعالى)

جاء على قدر وسبق الى نيل المعالي وابتدر واستيقظ لها والناس نيام وورد ماءها وهم حيام وتلا من المعارف ما أشكل وأقدم على ما أحجم عنه سواه ونكل فتحلت به للعلوم نحور وتجلت له منها حور كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن

انس قبلهم ولا جان قد ألحفته الاصالة رداءها وسقته أنداءها وألقت اليه الرياسة أقاليدها وملكته طريفها وتليدها فبذ على فتائه الكهول سكونا وحلما وسبقهم معرفة وعلما وأزرت محاسنه بالبدر اللياح وسرت فضائله سرى الرياح فتشوفت لعلاه الاقطار ووكفت تحكى نداه الامطار وهو على اعتنائه بعلوم الشريعة واختصاصه بهذه الرتبة الرفيعة يعنى باقامة أود الادب وينسل اليه أربابه من كل حدب الى سكون ووقار كما رسا الطود وجمال مجلس كما حليت الخود وعفاف وصون ما علمنا فسادا بعد الكون وبهاء لو رأته الشمس ما باهت باضواء وخفوق ولو بان للصبح ما لاح ولا أسفر (وقد أثبت) من كلامه البديع الالفاظ والاغراض ما هو أسحر من العيون النجل والجفون المراض (فمن ذلك) رقعة حملنيها تحية للرئيس أبى عبد الرحمن بن طاهر رحمه الله وهى عمادى أبا نصر مثنى الوزارة ووحيد العصر هل لك فى منة تفوت الحصر تخف محملا وتبلغ أملا وتشكر قولا وعملا شكرا تترنم به الحداة ثقيلا ورملا اذا بلغت الحضرة العلية مستلما ولقيت الطاهر بن طاهر فخر الوزارة مسلما وحللت من فنائه الارحب حرما ولمست بمصافحته ركن المجد يندى كرما فقف شوقى بعرفات تلك المعارف وانسك شكرى بمشاعر تلك العوارف وأطف اكبارى بكعبة ذلك الجلال سبعا وبوئ لوادى فى مقر ذلك الكمال ربعا وأبلغ عنى تلك الفضائل سلاما يلتثم بصريح الحب التثاما ويحسن عنى بظهر الغيب مقاما ويسير عنى بأرج الحمد انجيادا واتهاما (وله) مراجعا عن كتاب كتبتهما اليه معاتبا له (طويل)

أبا النصر ان شدوا رحالك للنوى * فان جميل الصبر عنك بها شدوا

وان تتركوا قلبى مقيما وترحلوا * فماذا ترى فى مهجة معكم تغدو

(وله فصل) من رسالة فى جانبى فى علمك سدد الله على تحكمك ما جمعه فلان من جلائل تشذ عن الحصر وفضائل يعترف له بها نبهاء العصر يقول فيختلس العقول ويعن فيذهل الالباب ويحن ان نظم فعبيد أو لبيد أو نثر فعبد الحميد أو ابن العميد أو وصال فأبو نعامة أو أنال فكعب بن مامة أو فاخر فشجرة سيادة أصلها ثابت وفرعها فى السماء أو ذاكر فبحر معارف لا تكدره الدلاء الى همة تصفع هامة الثريا وعزة تمتهن الفضل بن يحيى ولهجة تخرس العجاج

وبهجة تزرى بنصر بن حجاج ولو كنت ابن أبى هالة لما بلغت المنتهى له على أنى لم أنبه لشأنه ذا جهالة لكنه الكلام يطرد والبداية حسب ما ترد واللسان ينطق بملء فيه والجنان يرشح بما فيه ومن شعره قوله (طويل)

عسى تعرف العلياء ذنبى الى الدهر * فأبدى له جهدا اعترافى أو عذرى
وقد حال ما بينى وبين أحبة * ألفتهم ألف الخمائل للقطر
همو أودعوا قلبى تباريح لوعة * فنأيهم أذكى وأنكى من الجمر
على أن لى سلوى بأن فراقهم * وان طال لم يمزج بصد ولا هجر
سأفزع للريح الشمال لعلنى * أحملها نجوى تلجلج فى صدرى
* تبلغ منها للوزير تحية * معطرة الارجاء دائمة البشر *
تظلله من حركل هجيرة * وتؤنسه فى وحشة البلد القفر
وتنبئه أنى أكن صبابة * لحسن بدا فى غير شعر ولا شعر
أهز بها عطفى من غير نشوة * وأرخى بها ذيلا من التيه والكبر
وانى أشدو فى النوادى بذكره * كما شدت الورقاء فى الغصن النضر
أجل وعساها أن تبلغ مهجتى * فأبلى بها عذرى وأقضى به نذرى

(وله) فى خامات زرع بينها شقائق نعمان هبت عليه ريح (سريع)

انظر الى الزرع وخاماته * تحكى وقد ماست امام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

(وله فصل) من رسالة راجع بها وصلت لمعظمى قرب الجلال وذهبت به رتب الكمال وحامت على مشرع مجده العذب طيور الآمال وغصت أفنية جنابه الرحب بوفود الاقبال لا غرو أعزك الله أن من لاحظ من آثار فضلك الرائقة لحظة أو حظى من سماع محاسنك الرائعة ولو بلفظة أن تسير به همته فى لقائك واحدا وتعتسف الطرق الى ورد جلالك وافدا حتى يشاهد الكمال لم يحوج الى نقص وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم فى شخص (وله) عند ارتحاله عن حاضرة قرطبة (طويل)

أقول وقد جد ارتحالى وغردت * حداتى وزمت للفراق ركائبى
وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتى * وصارت هواء من فؤادى ترائبى
ولم تبق الا وقفة يستحثها * وداعى للاحباب لا للحبائب

رعى الله جيرانا بقرطبة العلا * وسقى رباها بالعهاد السواكب
وحيا زمانا بينهم قد ألفته * طليق المحيا مستلان الجوانب
أاخواننا بالله فيها تذكروا * معاهد جار أو مودة صاحب
غدوت بهم من برهم واحتفائهم * كأنى فى أهلى وبين أقاربى

وله فى المتشابه (متقارب)

اذا ما نشرت بساط انبساط * فعنه فديتك فاطو المزاحا
فان المزاح كما قد حكى * أولو العلم قبل عن العلم زاحا

(وله فصل من رسالة) لا بد أعزك الله لكل حين من بنين يحلون عاطله ويجلون فضائله ولكل مجال من رجال يقومون بأعبائه ويهيمون فى كل واد بأنبائه ولئن كانت جمرة الادب خامدة وجذوته هامدة ولسانه حصيرا وانسانه حسيرا فلن يخليه الله من هلال يطلع فيشرق بسمائه بدرا وزلال ينبع فيغدق بفضائه بحرا وشبل يشدو فيزأر من غابه ليثا وطل يبدو فيمطر من ربابه غيثا

ومن شعره (متقارب)

لك الخير عندى لذاك النزاع * فعقل بهيم وقلب يراع
يعز علينا تنائى الديار * وذاك سلامك لى والوداع
لكم أمل كان لى فى اللقاء * وأمنية قد طواها الزماع
فلم أجن منها سوى حسرة * فوجد جميع وأنس شعاع
لئن حمل القلب ما لا يطاق * فما كلف الجفن لا يستطاع

(وخرجنا للنزهة) فلما انصرفنا أصاب غفارتى شولة شقها فلما وصلت موضعى أمرت أن أبعثها اليه مع أحد عبيده المتصرفين بين يديه فلما كان من الغد تأخر صرفها وحضرت الجمعة فكتبت اليه معاتبا فى توقيفها قد بقيت أعزك الله كالاسير ولقيت التوحش بجناح كسير ان أردت النهوض لم ينهض وليت من لا ريش لم يهض وقد غدوت من المقام فى مثل السقام فلتأمر بردها لعلى أحضر الصلاة وأشهدها لا زلت سريا تطلق من يد الوحشة عبوسا بريا ان شاء الله (فراجعنى) أدام الله يا ولى جلالك وأبقى حليا فى جيد الدهر خلالك الغفارة عند من يتطلبها وقد بلغت غير مضيع تلافيها ويرجى تمامها قبل الصلاة وادراكها وتصل مع رسولى وكأنما قد شراكها وان عاق عائق فليس مع

صحة الود مضائق والعوض رائق لائق وهو واصل وأنت بقبوله مواصل والسلام عليك مادر شارق وومض بارق

(الفقيه القاضي أبو الحسن بن زنباع رحمه الله تعالى)

ملئ حباه وقني استضاء طود سكون ووقار وروضة نباهة يانعة الازهار وسمت صفحات المهارق بغرره وانتظمت بلبات المغارب والمشارق درره ان نطق رأيت البيان منسربا من لسانه والاحسان منتسبا لاحسانه حوى العلوم وحازها وتحقق حقائق العرب ومجازها وروى قصائدها وارجازها وعلم اطالتها وايجازها وهو في الطب موفق العلاج واضح المنهاج وله نظم تزهى به نحور الكعاب ويستسهل الى سماعه سلوك الصعاب (وقد أثبت) منه ما تجتليه فتحليه وتعقله فتنقله فمن ذلك قوله (كامل)

أبدت لنا الايام زهرة طيبها * وتسربلت بنضيرها وقشيبها
واهتز عطف الارض بعد خشوعها * وبدت بها النعماء بعد شحوبها
وتطلعت في عنفوان شبابها * من بعدما بلغت عتي مشيبها
وقفت عليها السحب وقفة راحم * فبكت لها بعيونها وقلوبها
فعجبت للازهار كيف تضاحكت * ببكائها وتبشرت بقطوبها
وتسربلت حللا تجر ذيولها * من لدمها فيها وشق جيوبها
فلقد أجاد المزن في انجادها * وأجاد حر الشمس في ترتيبها
ما أنصف الخيري يمنع طيبه * لحضورها ويبيحه لمغيبها
وهي التي قامت عليه بدفئها * وتعاهدته بدرها وحليبها
فكأنه فرض عليه موقت * ووجوبه متعلق بوجوبها
وعلى سماء الياسمين كواكب * أبدت ذكاء العجز عن تغييبها
زهر توقد ليلها ونهارها * وتفوت شأو خسوفها وغروبها
فضلت على سير النجوم بأمرها * وسروها في الخلقتين وطيبها
فتمارجت أرجاؤها بجنوبها * وتعانقت أزهارها بنكوبها
وتصوبت فيها فروع جداول * تتصاعد الابصار في تصويبها
تطفو وترسب في أصول ثمارها * والحسن بين طفوها ورسوبها
فكأنما هي مرهفات أساود * تنساب من أنقابها لثقوبها

قادر

فأدر كؤس الانس فى حافاتها * واجعل سديد القول من مشروبها
فحديث اخوان الصفاء لذاذة * تجنى و يؤمن من جناية حوبها
واركض الى اللذات فى ميدانها * واسبق لسد ثغورها ودروبها
أعربت خيلك صيفها وخريفها * وشتاءها هذا أوان ركوبها
أو ماترى الازهار مامن زهرة * الا وقد ركبت فقار قضيبها
والطير قد خفقت على أفنانها * تلق فنون الشدو فى أسلوبها
تشدو وتهتز الغصون كأنما * حركاتها رقص على تطريبها

وله (منسرح)

كذا قصان السيوف فى الخلل * و يفخر الخط بالقنا الذبل
وتكرم الخيل فى مرابطها * بر الفتاة العروب بالرجل
ويعطف النبع كالحواجب أو * أحنى وتمهى السهام كالمقل
ويؤثر الشمرة المكمى اذا * خير بين الدروع والحلل
فتح امارت له البلاد كما * أشرفت المقربات للنهل
هدت له الروم هدة ملأت * قلوب أبطالهم من الوجل
فما أطاقوا الولوج فى نفق * وما أطاقوا الصعود فى جبل
ألقوا بأيديهم ولا سبب * يفرق بين الفتاة والبطل
تجيرئ الاسد فى مرابضها * كجيرئ الغانيات فى الكلل
وربما لم تقم مناصلها * مقام تلك اللواحظ النجل
تغامسوا فى الدروع زاخرة * كى يسلموا من حرارة الاسل
فما أفادتهم الدروع سوى المنقلة من خفة الى ثقل
كأنهم والرماح تحفزهم * جرى فصال سلكن فى الوحل
جاؤا بها سبقا مضاعفة * قد أخلصت بالحديد والعمل
مثل عيون الدبى فصيرها * دم وطعن كأعين الجل
هنالك سل بالوزير من شهد الحرب وان كنت شاهدا فقل
ولا تخف ان حكيت مغربة * عنه مقام المكذب الخطل
فانه الاوحد الذى ترك الدهر بلا مشبه ولا مثل
حدث بما شئت عنه من حسن * وعظم الامر ثم لا تسل

ففضله يبهر الاهلة في * سعودها والشموس في الحمل

وكتب اليه أعزه الله مراجعا (طويل)

هوى منجد يلقى به الليل متهم * يصرح عنه الدمع وهو مجمجم
يبيت يداري أويداوى مابه * ويغلبه أمر الهوى فيسلم
لاجفانه من كل شيء مؤرق * ومن أين للمشتاق شيء ينوم
وليس الهوى ما الرأي عنه مزحزح * ولكنه ما الرأي فيه مفحم
وأعذر أهل الحب كل مدله * يرى ان من يهدى له النصح ألوم
واجلد أبناء الزمان مرزأ * يقاسي خطوب الدهر وهو متيم
ويصعب حمل الهم والهم مفرد * فكيف ترى في حمله وهو توأم
ولولا أبو نصر ولذات أنسه * تقضت حياتي كلها وهي علقم
فتى فتح الله المعارف باسمه * ومن دونها باب من الجهل مبهم
تأخر في لفظ الزمان وانه * بمعناه في أعيانه متقدم
أتى بالمعاني وهي در منظم * وجاء بها من أفقها وهي أنجم
وما يستوي في الحكم راق وغائص * لقد نال أسنى الرتبة المتسنم
اليك أبا نصر بديهة خاطر * توالى عليه الشغل وهو مقسم
أهبت به للقول وهو لما به * فلبى ولم يسعده نطق ولا فم
وكم مصقع لا يرهب القول فعله * تنته خطوب ما اثنت وهو مفحم
ولو لم يكن الا وداعك وحده * لاشفق منه يذبل ويلملم
فما يصنع الانسان وهو بفهمه * يحس باشتات الامور ويفهم
وقد كنت تشكيني من الدهر دائبا * فقد صرت أشكو منك ما أنت تعلم
عليك سلام تسحب الريح ذيله * فيعبق منه كل ما يتنسم
وان لم يكن الا وداع وفرقة * فان فؤادي قبلك المتقدم

وله أيضا (طويل)

أرى بارقا بالابلق الفرد يومض * يذهب جلباب الدجا ويفضض
كأن سليمى من اعاليه أشرفت * تمد لنا كفا خضيبا وتقبض
اذا ما توالى ومضه نفض الدجا * له صبغه المسود أو كاد ينفض
أرقت له والقلب يهفو هفوه * على أنه منه أحد وأومض

وبت

وبت أداري الشوق والشوق مقبل * عليّ وأدعو الصبر والصبر معرض
واستنجد الدمع الابيّ على الاسى * فتجدني منه جداول فيض
وأعذل قلبا لايزال يروعه * سنا النار يستشري أو البرق ينبض
تظنهما ثغر الحبيب وخده * فذ اضاحك منه وذا متعرض
اذا بلغت منك الخيالات ما أرى * فأنت لماذا بالشخوص معرّض
الى أن تفرّت عن سنا الصبح سدفة * كما انشق عن صفح من الماء عرمض
وندت الى الغرب النجوم مروعة * كما نفرت عير من السيل ركض
وأدركها من فجأة الصبح بهتة * فقحسبها فيه عيونا تمرّض
كأن الثريا والغروب يحثها * لجام على رأس الدجا وهو يركض
وما تترى في الهقعة العين أنها * على عاتق الجوزاء قرط مفضض

ومنها في صفة الحرب

سل الحرب عنه والسيوف جداول * تدفق والارماح رقط تنضنض
وبالارض من وقع الجياد تمدّد * ولكنه فيما تروم تقبض
وبالافق للنقع المثار سحائب * مواخض لكن بالصواعق تمخض
وقد سهكت تحت الحديد من الصدا * جسوم بما علت من المسك ترحض
ومدت الى ورد الصدور عيونها * صدور العوالي والعيون تغمض
وأشرفت البيض الرقاق الى الطلى * لتكرع فيها والرؤس تخفض
فلست ترى الا دماء مراقة * تخاض الى أكباد قوم تخضخض

وله (وافر)

نزاع ما أرى بك أم نزوع * لقد شقيت به منك الضلوع
يروعك أو يريعك كل داع * أكل مثوّب داع سميع
جهلت وقد علاك الشيب أمرا * يقوم بعلمه الطفل الرضيع
ولولا ذاك ما قدرت أني * أنوء بحمل ما لا أستطيع
فحسبك أو فحسبي منك دهر * يشت بصرفه الشمل الجميع
وشوق تقتضيه نوى شطون * فتقضي عنه واجبها الدموع
حملت الحب مؤتمنا عليه * فكيف يضيع ذلك أو يذيع
لقد جشمت نفسك متلفات * بكل ثنية منها صريع

وحال الصب تخضبه دموع * كحال القرن يخضبه نجيع
وقد تحمى الدروع من العوالى * ولا تحمى من الحدق الدروع
ورب فتى تراع الاسد منه * تقنص قلبه الرشأ المروع

(وكتب اليه) الوزير أبو محمد بن القاسم معزيا فى قريب مات له (وافر)

يشاطرك الصبابة والسهادا * ويمحضك المحبة والودادا
صديق لو كشفت الغيب عنه * وجدت هواك قد ملأ الفؤادا
يعز عليه رزء بت عنه * شفيق النفس تلهمها سدادا
أنشفق للعباد ونحن منهم * من الرب الذى خلق العبادا
أراد بنا الفناء على سواء * ولا بد لنا مما أرادا
لئن قدمت علقا مستفادا * لقد أكرمت حظا مستعادا
ومثلك لا يضعضعه مصاب * ولا يعطى لنائبة قيادا
ومازلت الرشيد نهى وحاشى * لمثلك أن نعلمه الرشادا

(فراجعه) القاضى أبو الحسن بن زنباع (وافر)

لعالك من جواد قد أجادا * ونال الغاية القصوى وزادا
وبشر بالتى يسمو اليها * سواك فلا تبلغه مرادا
فانى قد رأيت الدهر طلقا * تبنزل عن خلائقه وحادا
ومنذ بخست حظك وهو كبر * أحال على الورى سنة جمادا
ولن يرضى الزمان وأنت فيه * تدافع عن محلك أو تعادى
ومثلك وهو أنت ولا مزيد * شفى وكفى الملمات الشدادا
ومن وقذته بالنوب الليالى * فكيف يطيق عدوا واشتدادا
ولولا ما كففت به فؤادى * من الحكم التى تسلى تمادى
ومن يطفى بنزر الماء نارا * فليس يزيدها الا اتقادا
جزاك الله خيرا من صديق * أفاد صديقه مما استفادا
ورد عليه صبرا ضل عنه * وأقسم لا ينال له قيادا
وأنجده على خطب عراه * وأدرك فيه ثارا فاستقادا

وله أيضا (كامل)

لهواك فى قلبى كريقك فى فمى * غيرى يقول الحب مر المطعم

فادر

فأدر على بمقلتيك كؤسه * حتى يدب خماره فى أعظمى
ان التلذذ فى هواك تلذذ * لو كان أقتل من ذعاف الارقم
أحبب بحب لا يشير ملامة * ملئت بعولبسه عيون النوم
شغل النواظر والقلوب ولم يدع * من لم يسمه من الانام بميسم
ومن العجائب شغل شئ واحد * فى الحال أمكنة ولم يتقسم
وأقام أزمنة وليس بجوهر * وجرى وليس بمائع مجرى الدم
يا أيها القمر الذى انسانه * رمى أناسا للعيون بأسهم
لم أبد حبك غير أن جوانحى * فاضت به فيض الاناء المفعم
لاذنب لى علم الذى أسررته * نظرا ولم أرمز ولم أتكلم
وأمرت بالشكوى اليك وانما * يشكى الى الانسان مالم يعلم
ولربما لم تشكنى فأماتنى * يأسى فذرنى تحت أمر مبهم
وتلافنى قبل التلاف فانى * من حيرو سيأخذونك فى دمى
الطاعنين بكل أسمر مدعس * والضاربين بكل أبيض مخذم
والواردين الصادرين اذا الوغى * لفحت بجمرتها وجوه الحوم
ولعلهم تسمو بهم هماتهم * ان يدركوا فى الظبى ثار الضيغم

(وزاره) نفر من اخوانه فقال فيهم مرتجلا (بسيط)

أهلا وسهلا وكم من مادة نجب * كالذبل السمر أو كالانجم الشهب
أجللتمو وتفضلتم بزورتكم * وليس ينكر فضل من ذوى حسب
اضاء منزلنا من نور أوجهكم * وطاب من عيشنا ما كان لم يطب

انتهى القسم الثالث من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان والحمد لله حق حمده
والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده

القسم الرابع من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان
فى بدائع نبهاء الادباء وروائع فحول الشعراء

(الفقيه الاديب أبو اسحق بن خفاجه رحمة الله عليه)

مالك اعنة المحاسن وناهج طريقها العارف بترصيعها وتنميقها الناظم لعقودها

الراقم لبرودها المجيد لازهانها العالم بجلائها وزفافها تصرّف فى فنون الابداع كيف شاء وابلغ دلوه من الاجادة الرشاء فشعشع القول ورققه ومدّه فى ميدان الاعجاز طلقه فجاء نظامه أرق من النسيم العليل وآنق من الروض البليل يكاد يمتزج بالروح وترتاح اليه النفس كالغصن المروح ان شبب فغمزات الجفون الوطف أو اشارات البنان التى تكاد تعقد من اللطف وان وصف سراه والليل بهيم مافيه وضوح وخد الثريا بالندى منضوح فشاهيك من غرض انفرد بمضماره وتجرد لجنى ثماره وان مدح فلا الاعشى للمحلق ولا حسان لاهل جلق وان تصرّف فى فنون الاوصاف فهو فيها كفارس خصاف وكان فى شبيبته مخلوع الرسن فى ميدان مجونه كثير الوسن بين صفا الانهماك وجونه لايبالى بمن التبس ولا أى نار اقتبس الا أنه قد نسك اليوم نسك ابن أذينة وغض عن ارسال نظره فى أعقاب الهوى عينه (وقد أثبت له) مايقف عليه اللواء وتصرف اليه الاهواء (أخبرنى) انه لما أقلع عن صبوته وطلع ثنية سلوته والكهولة قد حنكته وأسلكته من طرق الارعواء حيث أسلكته نام فرأى أنه مستيقظ وجعل يفكر فيما مضى من شبابه وفيمن ذهب من أحبابه ويبكى على أيام لهوه وأوان غفلته وسهوه ويتوجع لسالف ذلك الزمان ويتبع الذكر دمعا كواهى الجمان ثم استيقظ وهو يقول (وافر)

الا ساجل دموعى يا غمام * وطارحنى بشجوك يا حمام
فقد وفيتها ستين حولا * ونادتنى ورائى هل أمام
وكنت ومن لبانانى لبينى * هناك ومن مراضعى المدام
يطالعنا الصباح ببطن حزوى * فينكرنا ويعرفنا الظلام
وكان لى البشام مراح أنس * فماذا بعدنا فعل البشام
فيا شرخ الشباب ألا لقاء * يبل به على برح أوام
ويا ظل الشباب وكنت تندى * على أفياء سرحتك السلام

(وأخبرنى) انه لقى عبد الجليل الشاعر بين لورقة والمرية والعدو يلغط لا يريم يفرع تلك الربا ولا يزال يروع حتى مهب الصبا فباتا ليلتهما بلورقة يتعاطيان أحاديث حلوة المساق وبو البيان أنا شيد بديعة الاتساق الى أن طلع لهم الصباح أو كاد وخوفهم تلك الانكاد فقام الناس الى رحالهم فشدوها وافتقدوا

أسلمتهم فأعدوها وساروا يطيرون وجلا وان رأوا غير شئ ظنوه رجلا قال اليه عبد الجليل وفؤاده يطير وهو كالطائر في اليوم العاصف المطير فجعل يؤمنه فلا يسكن فرقه ويؤنسه فيتنفس الصعداء تشرها حرقه فأخذ في أساليب من القريض يسليه باشغاله بها وايغاله في شعبها فأحيل على تذييل واجازة واختبل حتى لم يدر حقيقة النظم ولا مجازه الى ان مرا بمشهد بن عليهما رأسان باديان وكانهما بالتحذير لهما مناديان فقال أبو اسحق مرتجلا (طويل)

أيا رب رأس لا تزاور بينه * وبين أخيه والمزار قريب
أناف به صلد الصفا فهو منبر * وقام على أعلاه وهو خطيب

فقال عبد الجليل مسرعا (طويل)

يقول حذارا لاغترار فطالما * أناخ قتيل بي ومر سليب
وينشد كلا ناغريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب
فان لم يزره صاحب أو خليله * فقد زاره نسر هناك وذيب

فما تم قولهما حتى لاح لهما قتام كانه أغيام فانقشع عن سربة خيل كقطع الليل فما انجلت الا وعبد الجليل قتيل وابن خفاجة سليب وهذا من أغرب تقول وأصدق تقول وبلغه أني ذكرته في هذا الكتاب بقبيح وأثبت في وصف أيام فتوته بتندير وتمليح فكتب الي يعاتبني (كامل)

خذها اليك بها الجواد صهيلا * وتسيل ماء في الحسام صقيلا
بسامة تسبي الحليم وسامة * لولا المشيب لسمتها تقبيلا
حملتها شوقا اليك تحية * حملتها عتبا اليك ثقيلا
من كل بيت لو تدفق طبعه * ماء الغصن به القضاء مسيلا
ايه وما بين الجوانح غلة * لو كنت أنقع بالعتاب غليلا
ما للصديق وقيت تأكل لحمه * حيا وتجعل عرضه منديلا
أقبلته صدر الحسام وطالما * أضفيته درعا عليه طويلا
ماذا تنالك عن الثناء ونشره * بردا على الرسم الجميل جميلا
ارجا كما عثر النسيم بروضة * رطبا كما نضح الغمام مقيلا
أعد التفاتك واذكر نهاخلة * لاتستقل به علاك بديلا
وأصغ الى سجع القريض فربما * ندب القريض من الوفاء هديلا

وعج المطى على الوداد وحيه * طللا على حكم الزمان محيلا
وابعث بطيفك واعتقدها زورة * وصل السلام على النوى تعليلا
ولئن سألت بك الغمامة وابلا * بسم الجديب لما سألت بخيلا
واذا دعيت ولا دعاية غيبة * فاغضض هنالك من العنان قليلا
واصحب وذكرك من هجير لافح * ذكرا كما سرت القبول بليلا
فلقد حللت مع الشباب بمنزل * يرتد طرف النجم عنه كليلا
وبدهت لاترزا المحاسن مجبلا * ومضيت لاقصم الغرار فليلا
متدفقا أعيا العقول طريقة * فكأنما ركب المجرة سبيلا
يستوقف العليا جلالا كلما * سعد اليراع بكفه تقبيلا
لاتستنير بك السيادة غرة * حتى يسيل بك الندى تحجيلا
وسواى ينشد فى سوالك ندامة * ياليتنى لم اتخذ ذلك خليلا

(وله) فى وصف ورد نثر عليه نوار نارنج (كامل مجزوء)

وندى أنس هزنى * هز الشراب من الشباب
والليل وضاح الجبين قصير اذيال الثياب
فقنصت منه حمامة * بيضاء تسجع من غراب
والنور مبتسم وخد الورد محلول النقاب
يبدى بأخلاق الصبا * بهنالك لا بندى السحاب
وكلاهما نثر كما * نثروا القوافى فى الخطاب
فكأن كأس سلافة * ضحكت اليك عن حباب

وله فى صفته أيضا (مجتث)

وصدر ناد نظمنا * له القوافى عقدا
فى منزل قد سحبنا * بظله العيش بردا
تذكو به الشهب جمرا * ويعبق الليل ندا
وقد تأرج نور * غض يخالط وردا
كما تبسم ثغر * عذب يقبل خدا

(وكتب) الى معاتبا على مخاطبة لم ير لها جوابا ولا قرع لاتيانى بها بابا فكتبت اليه معتذرا بطول اغترابى وتوالى اضطرابى وأنى ما استقررت يوما

ولا

ولا نقعت فى منهل الثواء ظمأ ولا جوبا (فكتب اليّ) ياسيدى الاعلى وعلق الاغلى حلى بك وطنك ولا خلا منك عطنك كتبت والودّ على أولاه والعهد بحلاه ترف زهرة ذكراه ويمج الرى ثراه منطويا على لدغة حرقة بل لوعة فرقة أبيت بها بليل لا يندى جناحه ولا يتنفس صباحه فها أنا كلما تناوحت الرياح أصيلا وتنفست نفسا عليلا أصابع البرحاء تنشقا واتنفس الصعداء تشوقا فهل تجد على الشمال نفحة كما أجد على الجنوب لفحة أم هل تحس لذلك الوهج ألما كما أجد الارج لمما وأما وحقك قسما يشتمل على الايمان لزاما ان فى أدنى هذه اللواعج ما يقتضى انضاء هذه النواعج ويحمل على خرق جيب الخرق وجر ذيل برد الليل حتى أهبط أرض ذلك الفضل فاغتبط وارد مشرع ذلك النبل فأتبرد وعسى الله بلطفه أن ينتظم هذا البدد وبعيد ذلك الود فيبرد الاحشاء كيف شاء بمنه وان كتابك الكريم وفانى فصبة هزتنى اريحية هز المدامة تتمنى والحمامة تتغنى فلولا أن يقال صبا للزمت سطوره ولثمت مسطوره وما انطقتنى صبوة استفزتنى فهزتنى ولكن فضله راح فى كاس العلا تناولتها فكلما شربت طربت فلولا وقوع غمرات الشيب لابتدرت شق الجيب ثم صحت واطرباه وناديت واحر قلباه (وبعد) فانى وقفت من جملته على ما وقع موقع القطر وحسبك نجبا وطلع طلوع هلال الفطر وكفالك مبتهجا وما أعرب عنه من تفسير حالك وتفصيل حلك وترحالك ولا غرو أن تجذبك الرواحل وتتهاداك المراحل فالنجم أخوك من دار ولا فى غير الشرف من مدار فقع أنى شئت وارتع وطر حيث أحببت أوطر فما تمسك بذا المغارب الامانى المضارب ولا تعاطتك أقطار البلاد الاطيب الميلاد فما صار ان نعق ببينك غراب وخفق برحلك سراب اذ لم يقض من فضلك اغتراب ولا أخل بنصلك ضراب لا زالت محميا بمنزلة مجد تجمع من اتساع فى ارتفاع وامتاع فى امتناع بين احمرة بغدان ومنعة همدان بحول الله تعالى وبركاته والسلام

(وله) فى وصف شجرة نارنج (متقارب)

ألا أفصح الطير حتى خطب * وخف له الغصن حتى اضطرب
فمل طربا بين ظل هفا * وطيب وماء هناك انثعب
وجل فى الحديقة أخت المنى * ودن بالمدامة أمّ الطرب

وحاملة من بنات القنا * أماليد تحمل خضر العذب
بثوب مورقة عن عذار * وتضحك زاهرة عن شنب
وتندى بها فى مهب الصبا * زبرجدة أثمرت بالذهب
فطورا تفاوح أنفاسها * وطورا تغازلها من كثب
فتبسم فى حالة عن رضا * وتنظر آونة عن غضب

وله يتغزل (مجتث)

وأهيف قام يسقى * والسكر يعطف قده
وقد ترنح غصنا * واحمرت الكاس ورده
وألهب السكر خدا * أورى به الوجد زنده
فكاد يشرب نفسى * وكدت أشرب خده

وله فى مثله (بسيط مخلع)

يا نزهة النفس يا مناها * يا قرة العين يا كراها
أما ترى لى رضاك أهلا * وهذه حالتى تراها
فاستدرك الفضل يا أباه * فى رمق النفس يا أخاها
قسوت قلبا ولنت عطفا * وعفت من غمرة نواها

(وقال) يندب معاهد الشباب ويتفجع لوفاة الاخوان والاحباب بعقب سيل أغاد الديار آثارا وقفى عليها وهيا وانتثارا (طويل)

ألا عزس الاخوان فى ساحة البلا * وما رفعوا غير القبور قبابا
فدمع كما سح الغمام ولوعة * كما ضرمت ريح الشمال شهابا
اذا استوقفتنى فى الديار عشية * تلذذت فيها جيئة وذهابا
أكر بطرف فى معاهد قبة * ثكلتهم بيض الوجوه شبابا
فطال وقوفى بين وجد وزفرة * أنادى رسوما لا تحير جوابا
وأمحو جميل الصبر طورا بعبرة * أخط بها فى صفحتى كتابا
وقد درست أجسامهم وديارهم * فلم أر الا أعظما ويبابا
وحسبى شجوا أن أرى الدار بلقعا * خلاء وأشلاء الصديق ترابا

ولقد أحلنى أحد الديار المتدوبة وهى كعهدها فى جودة مبناها وعودة سناها فى ليلة كحلت ظلامها اثمدا ومحونا بها من نفوسنا كمدا ولم يزل ذلك

الانس

الانس يبسطه والسرور ينشطه حتى نشرلى ماطواه وبث مكتوم لوعته وجواه واعلنى بلياليه فيهامع أترابه وماقضى بها من أطرابه وكان هذا المنزل أشهى اليه من سواه وأخص بهواه لانه كان كالقابر به مسرفا فى حبه وفيه يقول وقدمات باغمات (طويل)

أرقت أكف الدمع طورا واسفح * وأنضح خدى تارة ثم أمسح
ودونك طماح من الماء مائج * يعب ومغبر من البيد أفيح
وانى اذا ما الليل جاء بفحمة * لأورى زناد الهم فيها فأقدح
واتبع طيب الذكر انه موجع * فينفح هذا حيث هاتيك تلفح
وألقى بياض الصبح بسود وحشة * فأحسبنى أمسى على حين أصبح
وبوحشى ناع من الليل ناعب * فازجر منه بارحا ليس يبرح
وأستقبل الدنيا بذكر محمد * فيقبح فى عينى ماكان يملح
وأشفق من موت الصبا ثم اننى * لآمل ان الله يعفو ويصفح
غلام كما استحسنت جانب هضبة * ولان على طش من الماء أبطح
أقول وقد وافى كتاب نعيه * يجمجم فى ألفاظه فيصرح
أرام باغمات يسدد سهمه * فيرمى وقلب بالجزيرة يجرح
فيا الغريب فاجأته منية * أتته على عهد الشباب تجلح
كأن لهيبا بين جنبى واقدا * به وركابا بين جفنى تمتح
جلست أسوم الدهر فيه ملامة * وكنت كما قد دقت أثنى وأمدح
غريقا ببحر الدمع والهم والدجا * ولو كان بحرا واحدا كنت أسبح
فنى ناظرى لليل مربط أدهم * وفى وجنتى للصبح أشهب يجمح
اذا كان قصد الانس بالالف وحشة * فما أشتهى أنى أسر فافرح
فيا عارضا يستقبل الليل والبلا * ويسرى فيطوى الاطولين ويمسح
تحمل الى قبر الغريب مزادة * من الدمع تندى حيث سرت وتنضح
وطيب سلام يعبر البحر دونه * فينندى وازهار البطاح فتنفح
وعرج على قبر الحبيب بنظرة * تراه بها عينى هناك وتلمح

(وله) فى وردة طرأت فى غير أوانها (كامل)

وغريبة هشت الى غريرة * فوددت لونسى الضياء ظلاما

طرأت على مع المشيب تشوقني * شيخا كما كانت تشوق غلاما
مقبولة أقبلتها من لوعـــــــة * نظرا يكون اذا اعتبرت كلاما
عـذرت وقد أجللتها عن نشوة * كبرا وأوسعت الزمان ملاما
عقبت وقد حن الربيع على النوى * كرما فأهداها الى سلاما

(وكانت) بضفة الجزيرة ايكة يانعة وكان هو ومن يهواه يقعدان لديها ويتوسدان خـدودها أبرديها فتربها ومحبوبه قد طواه الردى ولواه عن ذلك المنتدى فتذكر ذلك العهد وجماله وأنكر صبره لفقده واحتماله فقال (طويل)

الا ذكرتني العهـد بالانس أيكة * فأذكرتها نوح الحمام المطوق
وأبكيت أبكي بين وجد اناخ بي * حـديث وعهد للشبيبة مخلق
وأنشـق انفاس الرياح تعللا * فأعدم فيها طيب ذاك التنشـق
ولما علت وجـه النهار كآبة * ودارت به للشمس نظرة مشـفق
عطفت على الاجداث أجهش تارة * وألثم طورا تربها من تشوق
وقلت لمغف لا يهب من الكرى * وقد بت من وجد بليل المؤرق
لقد صدعت أيدي الحوادث شملنا * فهل من تلاق بعـد هذا التفرق
* وان تك للثقلين ثم التقاءة * فياليت شعري أين أو كيف نلتقي
فأعـزز علينا ان تباعـد بيننا * فـلم يدر ما ألقى ولم أدر مالقي

(وله) يتوجع لفقد الشباب (طويل)

أما وشـباب قد ترامت به النوى * فأرسلت في أعقابه نظرة عـبرى
لقـد ركبت ظهر السرى بي نومة * فأصبحت في أرض وقد بت في أخرى
فهيا أنا لا نفس تحفـبها المـنى * فتلهى ولا سمع تطور به بشرى
أقلب جفنا لا يجـف فكلما * تأوهت عن شكوى تأملت بي سكرى
واني اذا ما شاقـني لحامـة * رنين وهزتني لبارقة ذكـرى
لأجمع بين الماء والنار لوعـة * فمن مقـلة ريا ومن كـبد حرا
وقد خف خطب الشيب في جانب الردى * فصارت به الصغرى التي كانت الكبرى
والشـعر عندي كلما ذب الصـبا * فأبكي محل ألحق الشعر بالشعرى
خلت حـديثا الحداثة لو جرى * فيسلي وطيفا للشبيبة لو أسرى

(وله) يستطيل الليل (مجتث)

يا ليل وجد مجد * أما الطيف لك مسرى
وما أدمعى طليقا * وأنجم الجو أسرى
وقد طمى بحر ليل * لم يعقب المد جزرا
لا يعبر الطرف فيه * غير المجرة جسرا

وله في الشقيق (كامل)

يا حبذا والبرق يزحف بكرة * جيشا رحيق دونه وحريق
حتى إذا ولى وأسلم عنوة * ما شئت من سهل وذروة نيق
أخذ الربيع عليه كل ثنية * فبكل مرقبة لواء شقيق

وله مما يتعلق بصفة نار (كامل)

ومعين ماء البشر أبرق حسنه * فكرعت من صفحاته في مشرب
متهلل يندى حياء وجهه * فتراه بين مفضض ومذهب
أنضى الحسام حسامه فكأنه * دمع ترقرق فوقه لم يسكب
خيمت منه بين طود شامخ * نال السماء وبين روض معشب
تهفو به نار القرى فكأنها * مهما عشا ضيف إليها تطرب
حمراء نازعت الظلام رداءه * وهنا وزاحمت السماء بمنكب
ضربت سماء من دخان فوقها * لم تدر فيها شعلة من كوكب
وتنفست عن كل لفحة جمرة * باتت لها ريح الشمال بمرقب
مشبوبة وكأنما هي زفرة * من مشفق أو نظرة من مغضب
قد ألهبت فتذهبت فكأنها * لتكون شرر شرارها لم تلهب
تذكو وراء رمادها فكأنها * شقراء تمرح في عجاج أكهب
والليل قد ولى يقلص برده * كبرا ويسحب ذيله في المغرب
وكأنما نجم الثريا صرة * وكف تسح من معاطفه أشهب

(ووصلت شاطبة في فطر سنة عشر وخمسمائة) والأمير أبو إسحق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين أيده الله يسعد بها ويجدد ذاهب رتبها وكان عيدا كان عهد أهلها عنه بعيدا بل لم يعهد بالقطر شبيهه ولم يحضر مثله نادله ولا نبيهه وكان ابن خفاجة هذا حاضر الاستنجاز وعده بالتوقيع على صلة يغذى نعاله من عنده فلما كان يوم العيد واحتفل جمعه واحتشد قام أبو إسحق وأنشد (طويل)

سمعت وقد غنى الحمام فرجعا * وما كنت لولا أن تغنى لاسجعا
وأندب عهدا بالمشقر سالفا * وظل غمام للصبا قد تقشعا
ولم أدر ما أبكى أرسم شبيبة * عفا أم مصيفا من سليمى ومربعا
وأوجع توديع الاحبة فرقة * شباب على رغم الاحبة ودعا
وما كان أشهى ذلك الليل مرقدا * وأندى محياذلك الصبح مطلعا
وأقصر ذاك العهد يوما وليلة * وأطيب ذاك العيش ظلا ومكرعا
زمان تقضى غير ذكر معاهد * بسوم حصاة القلب أن تتصدعا
تحولت عنه لا اختيارا وربما * وجعت على طول التلذذ أخدعا
ومن لى ببرد الريح من أبرق الحمى * وريا الخزامى من أجارع لعلعا
وقد فات ذاك العهد الا تذكرا * لوانى على ظهر المطى توجعا
وكنت جليد القلب والشمل جامع * فما انفض حتى حان فارض أدمعا
وبلت نجادى عبرة مستهلة * أكفكف عنها بالبنان تصنعا
وانى وعينى بالظلام كحيلة * لآبى بجنبى أن يلائم مضجعا
وابأى بنفسى ان أرى الصبح أبيضا * بعين ترى ربع الشبيبة بلقعا
كأنى لم أذهب مع اللهو ليلة * ولم أنعاط البابلى المشعشعا
ولم أتخايل بين ظل لسرحة * وسجع لغرتيد وماء بأجرعا
ولم أرم آمالى بأزرق صائب * وأبيض بسام وأسمر أصلعا
وأبلق خوار العنان مطهم * طويل الشوى والشأو أقود أتلعا
جرى وجرى البرق اليمانى عشية * فأبطأ عنه البرق عجزا وأسرعا
كأن سحابا أسحما تحت لبده * تضاحك عن برق سرى فتصدعا
وحسب الاعادى منه أن يزجروا به * مغيرا عرابا صبح الحى أبقعا
كأن على عطفيه من خلع السرى * قميص ظلام بالصباح مرقعا
ركضت به بحرا تدفق مائجا * وأقبلت ام الرأل نكباء زعزعا
يؤلل من اذن كأذن تشوقا * الى صرخة من هاتف وتطلعا
كأن له من عامل الرمح هاديا * منيفا ومن ذلق الاسنة مسمعا
ولما انتهى ذكر الامير استخفه * فخفض من لحن الصهيل ورفعا
حنينا الى الملك الاعز مرددا * وشجوا على المسرى القصى مرجعا

فعن

فمن حب ابراهيم أعرب صاهلا * وفى نصر ابراهيم كر تشيعا
امام يباهى الحمد وشيا مذهبا * به وبرأس المجد تاجا مرصعا
عشيت به أندى من المزن راحة * وأطيب أفياء وأمرع مربعا
طمى الجود فى يمناه بحرا وربما * تدفق فى أرجائه فتدفعا
وغذى نداه الغيث فانهل واكفا * وحسبك من سقياه أن أسهما معا
فرب حديث عن علاه سمعته * وما طائر البشرى بأحسن مسمعا
فيا شائمى برق توضح موهنا * وقعقع ارعاد بنجد فأطمعا
اذا كف من قطريكما عارض الندى * وانكما برق البشاشة فاربعا
فان أبا اسحق أخصب تلعة * وأشهى مدى ظل وأعذب مربعا
وحسبكما أن قد تأسى به الحيا * فعاود من رحماه ما كان أقلعا
وعز الهدى منه بأوحد أمجد * طويل نجاد السيف أبلج أدرعا
أحل به العود البييس سماحة * وأخدم مطرود الفلى لا تورعا
اذا دب أخفى من حبال مكيدة * يصوب أبرى من شهاب وأسرعا
وما السيف فى كف الكمى مجردا * بأسطى وراء النقع منه وأسطعا
دعا باسمه داعى الحفيظة والندى * فلبى على شرخ الشباب وأهطعا
وهب كما هب الحسام استنامة * وعب كما عب الخضم تبرعا
وجر به ذيل الخميس ابن غابه * تردى غلاما بالعلا وتلفعا
وداس العدى ركضا وأجرى الوغى دما * بأطوع من يمناه فعلا وأطبعا
ولما تدرى منهما النصل منطقا * سديدا فريدا أوحيدا مقطعا
فبيد فى ذات المكارم وانثنى * ورتوه فى جنب الاله ورفعا
وخفض من صوت الابى وصيته * وزلزل من ذكر العصى وضعضعا
وألقت اليه بالمقادة قادة * تطامن من أعراقها ما ترفعا
وذلل من أخلاقه كل ريض * وأصحب خوار الشكيمة طيعا
فمن مبلغ الانام عنى أننى * تبوأت منه حيث شئت تمتعا
وطرت ثناه واطلعت ثنية * فأسرفت ايضاعا وأشرفت موضعا
وهل بقيت للنفس الا طلاعة * الى القلم الاعلى بخط موقعا
فما القمر السارى بأجمل غرة * ولا الوابل الغادى بأكرم مصنعا

وهنئت عيدا قد تلقاك قادما * ولم يك لولا أن طلعت ليطلعا

وحسبك جد قد أظلك نادما * فما هو الا أن تقول فيسمعا

وحيا بك من فرع لأشرف دوحة * نسيم كأنفاس العذارى تضوعا

يلاعب من خوط الاراك معطفا * ويمسح من مسرى الغمامة أدمعا

وله في الاخذ بحظ من الجد والهزل والزهد والغزل (منسرح)

قل للقبيح الفعال يا حسنا * ملأت جفني ظلمة وسنا

فاسمى طرفك الضنى أفلا * فاسم عينى ذلك الوسنا

انى وان كنت هضبة جلدا * اهتز للحسن لوعة غصنا

قسوت بأسا ولنت مكرمة * لم ألتزم حالة ولا سننا

لست أعيب الجود فى رجل * تحسبه من جوده وثنا

لم يكحل السهد جفنه كلفا * ولا طوى جسمه الغرام ضنى

ممن عصى داعى الهوى فقسا * وكان صلدا من الصفا خشنا

فلى فؤاد أرق من ظبة * يأبى الدنايا ويعشق الحسنا

طورا منيب وتارة غزل * يبكى الخطايا ويندب الدمنا

اذا اعترت خشية شكا فبكى * أو انتحت راحة دنا فجنا

كأنى غصن بانة خضل * تثنيه ريح الصبا هنا وهنا

• (الاديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى رحمه الله تعالى) •

أحد الفحول البرى من المطروق والمنحول تفتحت كمائم رويته عن زهر المعانى وأبدت قصائده معرض الدرارى لها المعانى فما يبين فى معناه اختلال معاقد ولا تلين قناته لغمز ناقد مع أدب مناسب تفرع من دوحتى رويته واكتساب وكان بينه وبين ابن عمار ذمام تذكره لما أسهل وأعاد معلنا ذلك المجهل فأعلقه بدولته وألحقه بجملته ونفقه بعد الكساد وطوقه من استخلاصه ما أغاظ به الحساد كان يعتقد تقدمه ويعتقد نواصى الشعراء قدمه الا أنه مع تمييزه لها بالاحظاء وتجويزه اياه عند الاقتضاء لم يوصله عند المعتمد الى حظ ولم ينله منه الا كرة لحظ فمن بديعه الحسن ومطبوعه المستحسن انه ركب باشبيلية زورقا فى النهر الذى لا تدانيه السمرات ولا يضاهيه الفرات فى ليلة تنقبت بظلماتها ولم يبد وضح فى دهمتها وبين أيديهم شمعتان قد انعكس شعاعهما فى اللجة وزاد فى تلك البهجة

فقال مرتجلا في الحين . (منسرح)

كأنما الشمعتان اذ سمتا * جيد غلام محسن القيد
وفي حشى النهر من شعاعهما * طريق نار الهوى الى كبدى

وكان معه غلام البكرى مصاطبا المراح، وجاريا في ميدان ذلك المراح فلما جاء عبد الجليل بما جاء وحلى للابداع الجوانب والارجاء حسده على ذلك الارتجال وقال بين البطء والاستعجال (كامل).

أعجب بمنظر ليلة ليلاء * تجنى بها اللذات فوق الماء
في زورق يزهى بغرة أغيد * يختال مثل البانة الغيناء
قرنت يداه الشمعتين بوجهه * كالبدر بين النسر والجوزاء
والتاح تحت الماء ضوء جبينه * كالبرق يخفق في غمام سماء

وساير الوزير الاستاذ أبا بكر بن القبطرنة وهو غلام يصار مجتليه ويغار غصن البان من تثنيه وقد وضع عنانه في شماله وتضوع عرف آماله والناس يتطرون هلال شوال فقال (خفيف)

يا هلال استتر بوجهك عنى * ان مولاك قابض بشمالى
هبك تحكى سناه خدا بخد * قم فجئنى لقده بمثال

وله من قصيدة فريدة (بسيط)

بينى وبين الليالى همة جلل * لو نالها البدر لاستخذى له زحل
سراب كل يباب عندها شنب * وهول كل ظلام عندها كحل
من أين أبخس لا في ساعدى قصر * عن المعالى ولا في مقولى خطل
ذنبى الى الدهر فلتكره سجيته * ذنب الحسام اذا ما أحجم البطل

ومن هذه القصيدة وهو بديع في بابه

بجيش فوارسه بيض كأنصله * وخيله كالقنا عسالة ذبل
اشبالما اعتقلوه من ذوابلهم * فالحرب جاهلة من منهم الاسل
يمشى على الارض منهم كل ذى مرح * كأنما التيه في اعطافه كسل

ودخل المرية وقد أحرج المعتمد على الله واضجره حتى أبعده وهجره فلما كان يوم العيد وحضر المعتصم شعراؤه واجتمع كتابه ووزراؤه بعث في عبد الجليل فتأخر وزرى بالحال وسخر وقال أبعد المعتمد أحضر منتدى أو استمطر جودا

أوندى وهل تروق الاعياد الا فى فنائه أو تحسن الامداح الا فى سنائه ثم قال (طويل)

دنا العيد لو تدنو الناكعبة المنى * وركن المعالى من ذؤابة يعرب

فوا أسفا الشعر ترمى جماره * ويابعد ما بينى و بين المحصب

وكان كلفا بالغلمان متكسفا بين الخوف والامان فان الانفراد بهم كان عليه محجورا وكان من أجلهم ممقوتا ومهجورا فانه اشتهر فى حبهم أشد اشتهار واستظهر على كلفه بهم بالشغف والاقتنار فعلق بغلام باشبيلية علاقة لم تدع له مجالا ولم تبق له روية ولا ارتجالا فبيناهو يستدنى منه عطفة المساعد ويجتنى زهرات المنى بساحات المواعد سنحت له رحلة ما أمهلته ولا راعه منها الا كل روعة اذهلته فقال وما عطل من حلى الابداع ذلك المقال (كامل)

ان سرت عنك فنى يديك قيادى * أو بنت عنك فغاب عين فؤادى

صيرت فكرى فى بعادك مونسى * وجعلت لحظى من بعادك زادى

وعلىّ أن أذرى دموعى ان أنا * أبصرت شبهك فى سبيل بعادى

كم فى طريقى من قضيب يانع * أبكى عليه ومن صباح باد

تلقاك فى طىّ النسيم تحيتى * و يصوب فى ديم الغمام ودادى

وله فى غلام وسيم كان يشاربه فنام وتقلد سمطا من درالعرق شاربه (بسيط)

وشادن قد كساه الروض حلته * يستوقف العين بين الغصن والكثب

مموه الحسن لم يعدم مقبله * فى خده رونقا من ذلك الشنب

تدعو الى حبه لمياء كللها * زبرجد النبت يجلو لؤلؤ الحبب

وعلق باشبيلية بأحد فتيانها وأنجد اعيانها وكان أجمل من جال فى خلد واستطال على جلد وهام به هيام الاحوص بدعد والرعى بهند بنى سعد وكان الفتى ينافر وصله و يطرد فى مباعدته أصله الى ان أطل شعر عارضه وذل لمعارضه فعاد الى مساعدته واستعاذ بدنوه من مباعدته فقال (بسيط)

يانوم عاود جفونا طالما سهرت * فان باعث وجدى رق لى ورثى

عانقته وهلال الافق مطلع * فعاد من حسدى حيران مكترثا

وكان للحسن سرفيه مكتتم * وشى به ناظرى من طول ما بحثا

لام يدل على بلبال مبصره * مازال يبعث وجدى كلما انبعثا

من

من آل مذحج فى شخص كانت به * لم ينقض العهد من ودى ولا نكثا

وله يتغزل (كامل)

أهوى سكيران اللواحظ مارنا * الا واسكر كل قلب صاح
أمل من الآمال أحور أهيف * خلعت عليه لطافة الارواح
متجند جعل الفؤاد وطيه * ولحاظه بدلا من الارماح
علمته سفك الدماء بمهجتى * وتركته يجنى بغير جناح

وله يصف بازيا (منسرح)

وصارم فى يديك منصلت * لو كان للسيف فى الوغى روح
جناب مما لبست ضافية * لها على معطفيه توشيح
منقد اللحظ من شهامته * فالجو من ناظر به مجروح
والريح تهفو كانما طلبت * سلبها فى يمينك الريح

وله يصف حرشفة (طويل)

وحرشفة ان كنت ذا قدرة على * نفوذ الى ذاك الجنى الحلو فانفذ
كانى قد توجت منها ببيضة * وقد وضعت للصون فى جلد قنفذ

وله وقد اجتاز على فرن وبيده مرتبطة بيد أحد فتيان أهل اشبيلية يسمى ربيعا فقال له صف لنا هذا الفرن فقال (خفيف)

رب فرن رأيته يتلظى * وربيع مخالطى وعقيدى
قال شبه فقلت صدر حسود * خالطته مكارم المحسود

وله يتغزل (طويل)

سقى فسقى الله الزمان من أجله * بكاسين من لميائه وعقاره
وحيا فحيا الله زهرا أتى به * بآسين من ريحانه وعذاره

* (الاديب أبو بكر الدانى المعروف بابن اللبانة رحمه الله تعالى) *

المديد الباع الفريد الانطباع الذى ملك المحاسن مقادا وغدا له البديع منقادا أى مقال ينبئ عن معناه وفصله وأى ارتقال ينتهى الى مداه وخصله وقد شدا فما يشرك وبذ فما يدرك رقى الى ما أحبه وقطع سنام كل معارض وجبه وتقلد النظام حساما لا تنبو مضاربه وولد غرضا لا يدانيه أحد ولا يقاربه فبدا سابقا وغدا لفظه لمعناه مطابقا (وقد أثبت) له ما تبصر له علاوشروفا وتهصر

غصنه ناعما وريقا كأن المعتمد على الله يعززه بالتقريب. ويستعذب ما يأتي به من النادر الغريب ويوليه انعاما واحسانا ويريه الزمان كله أعذارا ونيسانا فلما نبت صعاده وأعوزه من دهره اسعاده ورحل به الى المغرب وحل فيه محل النازح المغترب وغدرته الايام غدر أهل خراسان لقتيبة وفي له أبو بكر بالرحلة اليه وفاء الطعينة لعتيبة وتراسلا هنالك باشعار شفى بها المعتمد نفسه واستوفى سلوه وانسه وشكر له ما ناله من مبلانه وحمد عقد موالاته وصار له بذلك حق مشهور وفخر لا تبليه الدهور (وقد أوردنا) من ذلك في اخبار المعتمد أعدل شاهد ووصفنا تلك المحاضر والمشاهد ومن بديع قوله يتغزل (وافر)

وَلى الهرب خيفة من يليه * وأفلت من حبائل قانصيه
على شرف الحبالة كان حتى * توجس نبأة من خاتليه
فخر على مهب الريح يعدو * بأسرع من مدامع عاشقيه
تعلق آخر البطحاء هضبا * تأمل منه خيبة آمليه
وصادف عنده مرعى مريعا * فأصبح يشرئب ويرتعيه
توجه حيث لم تفق خطاه * بمنسوب الى آل الوجيه
بمباع الاديم يكاد يغشى * بنقبته لواحظ مبصريه

ودخل ميورقة في عهد ناصرها وسلامة مقاصرها وهي باهرة الجمال عاطرة الصبا والشمال تقيد الناظر ببهجتها وتنبه بتدى ملكها على لجتها فتلقاه ناصر الدولة بعهود اجاله وصدق له ظنون آماله فقال يمدحه (كامل)

حنيت جوانحه على جمر الغضى * لما رأى برقا أضاء بذى الاضا
واشتم في ريح الصبا أرج الصبا * فقضى حقوق الشوق فيه بان قضى
والتف في حبراته فحسبتها * من فوق عطفيه رداء فضفضا
قالوا الخيال حبائه لو زاره * قلت الحقيقة قلتم لو غمضا
يهوى العقيق وساكنيه وان يكن * خبر العقيق وساكنيه قد انقضى
ويود عودته الى ما اعتاده * ولقلما عاد الشباب وقد مضى
ألف السرى فكأنّ نجما ثاقبا * صدع الدجى به وبرقا مومضا
طلب الغنى من ليله ونهاره * فلهم على القمرين مال يقتضى
مهما بدت شمس يكون مذهبا * واذا بدا بدر يكون مفضضا

هذا

هذا أفاد وفاد غير مقصر * جهد المقل بأن يموت مفوضا
ولرب ربة حانة نبهتها * والجو لؤلؤ طله قد رضرضا
وقد انطفت نار القرى وبقى على * سكك العجا مندورن كنور الغضى
والليل قد سدى وألحم ثوبه * والفجر يرسل فيه خيطا أبيضا
ومتى ركبت لها أعالى أيكة * نشرت جناحا للرياح معترضا
والبحر يسكن خيفة من ناصر * أرضى الرياسة بعد موت المرتضى
ملك سمت علياه حتى دوحت * وذكا ثرى نعماه حتى روضا
ماء الغمائم جرعة مما سقى * وسنا الاهلة خلعة مما انضا
خفقت عليه راية وذؤابة * فكأن صلا نحو حمل نقضا

وكان المرتضى رحمه الله هو الذى أورث ناصر الدولة الملك وقلم بلبنه ذلك السلك فلم يكفر يده ولم ينثن عن مجازاة ما قلده ولم يزل يتعهد ساقته ويفتقدها ويبر من كان يوالى دولته ويعتقدها الى ان ماتت أخته فاحتفل فى جنازتها احتفالا اشكر فيه فعله ومشى الى لحدها وما ركب الانعله وندب الشعراء الى رثائها وتأبينها وايضاح فضائلها وتبيينها فقام أبو بكر على قبرها وقال (طويل)

أبنت الهدى جددت منا علا صنعا * مضى المرتضى أصلا وأتبعته فرعا
جرى الموت جرى الريح فى منبتيكما * فأذوا لك ريحانا وكسره نبعا
صلى نستق جله المصائب والفنا * تقدم وتراثم أتبعته شفعا

وقال يمدحه بقصيدة أولها (كامل)

هلا ثناك على قلب مشفق * فترى فراشا فى فراش يحرق
أنت المنيتو المنى فيلنا انشرى * ظل الغمامة والهجير المحرق
للتعقد ذا بلها الوشيج ولونها * لكن سنانك أكحل لا أزرق
ويقال انك أيكة حتى اذا * غنيت قيل هوى الحمام الاورق
يا من رشقت الى الملوك فرقتها * سبقت جفونك كل سهم يرشق
لو في يدى مصر وعندى أخذة * بلحاظ قلبك بعض حين يعشق
جسدى من الاعداء خيفة لانه * لا يستبين لطرف طيف يرمق
لم يدر طيفك موضعى من مضجعى * فصدرته فى أنه لا يطرق
بعث اليك مدامعى ومدامعى * فالدمع ينشع والصبابة تورق

وكأنّ اعلام الامير مبشر * نشرت على قلبي فاصبح يخفق
الخيزرانة تلتظي في كفه * والتاج فوق جبينه يتألق
وكأنّ صوب حيا وصعقة بارق * ماضم منه نديه والمازق
متباعد الطرفين جود غافل * عما يحل به وعزم مطرق
باس كما جدا الحديد وراءه * كرم يسيل كما يسيل الزئبق
لا تعجب الاملاك كثرة مالهم * النبع أصلب والاراكة أورق
ضدّان فيه لمعتد ولمعتف * السيف يجمع والعطاء يفرّق
ومنها وبنو الحروب على المراكب التي * تردي كما تردي الجياد السبق
خاضت غدير الماء سابحة به * فكأنما هي في سراب أينق
ملأ الكماة ظهورها وبطونها * فاتت كما يأتي السحاب المغدق

وله (وافر)

رأت بك أوجه العليا مناها * وعاد على لواحظها كراها
وجاءت فيك ألسنة المعالي * بآيات تشرف من تلاها
سواك يسير في أرض فأمّا * خطاك فبالمجرة لا سواها
كأن الشهب اذ تجري لسعد * تخط لك الطريق على ذراها

وله أيضا (طويل)

بكت عند توديعي فما علم الركب * اذلك سقيط الدرّ أم لؤلؤ رطب
وتابعها سرب واني لمخطئ * نجوم الدياجي لا يقال لها سرب
لئن وقفت شمس النهار لتوشع * فقد وقفت شمس الهدى لي والشهب
عقيلة بيت المجد لم ترها الدجا * ولا لمحتها الشمس وهي لها ترب
ظبي الهند عما ذب عنها وانما * تلطف لي فيها بخدعته الحب
سرت وبروج النيرات قبابها * وقدامها من كل خاطفة قب
وما دخلت الا المجرة واديا * فليس لها الا باعطانها شرب
وبحر سوى بحر الهوى قد ركبته * لامر كلا البحرين مركبه صعب
غريب على جنبي غراب نهوضه * بقادمتي ورقاء مطلبها شعب
كأني قذى في مقلة وهو ناظر * بها والمجاذيف التي حولها هدب
ولما رأت عيني جناب ميورق * أمنت وحسب المرء بغيته حسب

نزلت بكافور وتبر وجوهر * يقال لها الحصباء والرمل والترب
وقلت المكان الرحب ابن فقيل لى * ذرا ناصر العلياء أجمعه رحب

وسعى به الى ناصر الدولة وبغى ونبذ حق نباهته والغى فلم يرع انقطاعه ولا جوزى احسانه ولا ابداعه وهجر هجر الجرب وأقام مقام الحائر المضطرب وكانت عادة ناصر الدولة فى غير طار ولا ضيف النفى أو السيف فلم يفتح مع أبى بكر فى أحدهما باب ولا أغبه بجزع ولا ارتياب فكتب اليه يستسرحه (متقارب)

عسى رأفة فى سراح كريم * أبل بيرد نداه الغليلا
وعلى أراح من الطالبين * فاسكن للامن ظلا ظليلا
ومن بلد الغيث فى بطن واد * وبات فلا يأمن السيولا
لقد أوقدوا لى نيرانهم * فصيرنى الله فيها الخليلا
أفز بنفسى وان أصبحت * ميورق مصرو جدوا النيلا

وقال يمدحه (كامل)

عرج بمنفرجات واديهم عسى * تلقاهم نزلوا الكثيب الاوعسا
أطالبهم حيث الرياض تفتحت * والريح فاحت والصباح تنفسا
مثل وجوههم بدورا طلعا * وتخيل الخيلان شهبا كنسا
واذا أردت تنعما بقدودهم * فاهصر بنعمان الغصون الميسا
بابى غزال منهم لم يتخذ * الا القنا من بعد قلبى مكنسا
لبس الحديد على بلين أديمه * فعجبت من صبح توشح حندسا
وأتى يجرّ ذوابلا وذوابلا * فرأيت روضا بالصلال تحرسا
لا ترهب السيف الصقيل بكفه * وارهب بعارضه العذار الاملسا
رام العدا قتلى عليه فخبتهم * والنجم ليس بممكن ان يلمسا
وفككت بغيهم وفزت وهكذا * فك الصحيفة خلص المتلمسا
كابد الى العز الهجير ولا تكن * فى الذل ما بين الظلال معرّسا
واذا وصلت الى الامير مبشرا * فاجعل بساطك فى ذراه السندسا
نوّع وجنس فى منالك فانه * ملك تنوع فى العلا وتجنسا

وكان بينه وبين وزيره أبى القاسم ذمام ائتلاف ومعاطاة سلاف وروحات والتهابكر وراحات راح السرور عليها وابتكر ووداد أشبه عصر الشباب

وعهد أقفر من التعاهد حتى عاد كالقفر اليباب فلما وصل ميورقة تجدد دارسه وعادت آجامامكانسه فكان أبو بكر يظن ان تلك الموات تنفقه وان كسد وتخلصه وان حصل فى لهوات الاسد ولم يعلم ان لا جديد لمن تخلقه الايام وتبله ولم يسمع وجدت الناس اخبر تقله فلما تغيرله ناصر الدولة وتنكر ورأى من قعود أبى القاسم عنه ماأنكر هب من غفلته واحتال فى نقلته فلاذ بالفرار وعاذ ببنى حماد بحكم الاضطرار وجعل يستنزله ويستعطفه ويداريه من هنالك ويستلطفه ليمن باعادته وصرفه الى عادته بكل مقال يحل سخائم الاحقاد ولا تلين قناته لغمز الانتقاد فمن بديع ذلك قوله (متقارب)

نسيمك حتام لا ينبرى * وطيفك حتام لا يعترى
أعيذك من عرض ان يكون * وأنت الذى كنت من جوهر
أتذكر أيامنا بالحمى * وأيامنا بذوى الاعصر
الارأفة من وفى صفى * الاعطفة من سخى سرى
رمى زحل فى أظفاره * وحل يداعنى المشترى
عطارد هل لك من عودة * فأرجع منك الى عنصرى
سيطلبنى الملك مهما أراد * لباس نسيج من المفخر
ولوان كل حصاة تزين * لما جعل الفضل للجوهر

فلم يراجعه بحرف ولم يطالعه بنفس منه ولا عرف فكتب اليه (طويل)

أذكر من لم ينس عهدا ولا ينسى * وأبسط فى اكناف ساحته النفسا
وأنشئها خلقا جديدا واغتدى * بظل علاه اعتدى معه الانسا
وألبس ريعان الشباب وطالما * لبست الخطوب السود ماذية ورسا
وانى واياه لمزن وروضة * يباكرنى سقيا وأزكوله غرسا
صفا بيننا من خالص الود جوهر * غلبنا به فى نور جوهرها الشمسا
وما انا الا من علاه مكون * غدوت له نوعا وأصبح لى جنسا
مكارمه مرعى الى جنب معقل * أرود اذا أضحى وآوى اذا أمسى
وأورد خمسا كل يوم بمائه * وكم لى دهر قد مضى لم أرد خمسا
أبا القاسم اشرب قهوة العز وانتقل * ثنائى ومن فضل الكؤس اسقنى كأسا
وخذ بيدى من عثرة قصرت يدى * وكنت أخا بأس فلم تبق لى بأسا

رميت لها فضفاضــي ومهندي * وخطيي والنبل والقوس والترسا
ثغور المعالى قابلتك ضــواحكا * فصل لثمها وامصص مراشفها اللعسا
وأجيادها مالت عليــك نواعما * كما مالت الاغصان فانعم بها لمسا
ولا ذكر فى الافواه حاشاك انما * صفاتك آيات ولعنا بها درسا
اليــك بها درّا تلقب أحرفا * وقطعــة ديباج يسمونها طرسا
وفضــلك فى الاعضاء عما بعثته * فليس يجيد الشعر من عــدم الحسا

ولما نوى الانفصال خاف الانتهاب والاستئصال فأراد أن يكتم ذلك الفرار ويطوى اعــلانه فى الاسرار وخشى أن يفطن لخروجــه ويطلع عليــه من خــلال فروجــه فعزم على موادعة بعض الاخوان ومطالعة ما فى ذلك الخوان فكتب اليهم (وافر)

أقول تحية وهى الوداع * خداعا لى ومايغنى الخــداع
أعلل بالمنى قلبا شعاعا * ولن يتعلل القلب الشعاع
وأترك جيرة جاروا وشدوا * أضاعونى وأى فتى أضاعوا
اذا لم يرع لى أدب وبأس * فلا طال الحسام ولا اليراع
لقد باعتــنى الايام بخسا * وعهــدى بالذخائر لا تباع
أجفتنى فلم ينبت ربيع * وحطتنى فلم يثبت يفاع
ومكنت العدا منى فعاثت * بلحمى ضعف ماعاثت السباع

ولما لم ير اعلانه وتصريحــه ولم تلق اعصاراريحه أعلن بوداعه وفتن باحسانه وابداعه فقال يخاطب ناصر الدولة مودعا ومعاتبا (متقارب)

سلام على المجد يندى بليلا * كنشر الربا بكرة وأصيلا
سلام وكنت أقول الوداع * ولكن أدرج قلبى قليلا
أخاف عليه انصداع الصفاة * والا يكون زجاجا عليــلا
جرحت لديك وكنت البرى * كما يجرح اللحظ خدا أسيلا
ولولم أكن ماضى الشفرتين * لما فلنى الدهر عضبا صقيلا
أنت ذلة منــك محبوبة * فلم أرض بالعز منها بديلا
تلقيت فيها سواد الخطوب * فاشبــه عندى طرفا كحيلا

وله متغزلا فى صاحب خيلان (كامل)

لحظ النجوم بمقلته فراعها * ما أبصرت من حسنه فتردت
فتساقطت فى خدّه فنظرتها * عمدا بمقلة حاسد فاسودّت

وله عند ما فارق المتوكل ببطليوس (متقارب)

رضى المتوكل فارقته * فلم يرض بعده العالم
وكانت بطليوس لى جنة * فخنت بما جاءه آدم

وله يتغزل فى صبى نساخ (كامل)

أبصرت أحد ناسخا فرأيت ما * أعمى واعيا ان يحد ويوصفا
فكأنما منع السماء صحيفة * والليل حبرا والكواكب أحرفا

وله (سريع)

أبصرته قصرفى المشيه * لما بدت فى خده اللحيه
قد كتب الشعر على خدّه * أو كالذى مرّ على قريه

وله (متقارب)

غناء يلذ ولا أكؤس * تسكن من أنفس طائشه
وأعجب كيف شدا طائر * بروض منابته عاطشه

(الاديب الحكيم أبو الفضل بن شرف أعزه الله تعالى)

الناظم الناثر الكثير المعالى والمآثر الذى لا يدرك باعه ولا يترك اقتفاؤه واتباعه ان نثر رأيت بحرا يزخر وان نظم قلد الاجياد درّا تباهى به وتفخر وان تكلم فى علوم الاوائل بهرج الاذهان والالباب وولج منها فى كل باب وقد كان أول ما نجم بالاندلس وظهر وتسمى بجولك القريض واشتهر تسدد اليه السهام وتنتقده الخواطر والاوهام فلا يصاب له غرض ولا يوجد فى جوهر احسانه عرض وهو اليوم بدر هذه الآفاق وموقف الاختلاف والاتفاق مع جرى فى ميدان الطب الى منتهاه وتصرف بين سماكه وسهاه وتصانيف فى الحكم ألف منها ما ألف وتقدم فيها وما تخلف فمنها كتابه المسمى بسر البر وجزء الملقب بنجح النصح وسواها من تصانيف اشتمل عليها الاوان وحواها فمن حكمه قوله العالم مع العلم كالناظر البحر يستعظم منه ما يرى وما غاب عنه أكثر ومنها لولا التسويف لكثر العلم ومنها الفاضل فى الزمن السوء كالمصباح فى البراح قد كان يضىء لو تركته الرياح ومنها لتسكن بالحال المتزائدة أغبط منك بالحال المتناهية فالقمر آخر

ابداره أولى ادباره ومنها لتسكن بقليلك أغبط منك بكثير غيرك فان الحى برجليه وهما اثنتان أقوى من الميت على اقدام الحملة وهى ثمان ومنها المتلبس بعمال السلطان كالسفينة فى البحران أدخلت بعضه فى جوفها أدخل جميعها فى جوفه ومنها التعليم فلاحة الاذهان وليست كل أرض منبتة ومنها الحازم من شك فروى وأيقن فبادر ومنها قول الحق من كرم العنصر كالمرآة كلما كرم حديدها أرت حقائق الصفات ومنها رب سامح بالعطاء على باخل بالقبول ومنها ليس المحروم من سأل فلم يعط وانما المحروم من أعطى فلم يأخذ ومنها يا ابن آدم تذم أهل زمانك وأنت منهم كأنك وحدك البرىء وجميعهم الجرىء كلا بل جنيت وجنى عليك فذكرت ما لديهم ونسيت ما لديك ومنها اعلم ان الفاضل الذكى لا يرتفع أمره أو يظهر قدره كالسراج لا تظهر أنواره أو يرفع مناره والناقص الدنىء لا يبلغ لنفعه الا بوضعه كهوجل السفينة لا ينتفع بضبطه الا ببعد الغاية فى حطه (وله فصل من رسالة) توسل الهمم أعزك الله كتوسل الذمم ورب راق بوسيلة ذى اشتياق واستباق الى فضيلة رصد فقصد واحتشد فتحرى الرشد ولما طلع بك الجد من معالمه وانبعث الحمد من كمائمه فلاح محياك قرا زاهرا وفاحت سجاياك زهرا عاطرا وأنار بأفقك منار الانوار ودار على قطبك مدار الفخار وخف لديك بالقلوب ارتياحها وطار اليك بالنفوس جناحها فجوامع الجوانح لديك حضور ونواظر الخواطر اليك سور وقد تخيلتك نظرات الغيوب وعمتك خطرات القلوب فحنت اليك حنين اليفن الى صباه واهتزت اهتزاز الغصن الى صباه ولا غرو أن رمت اليك القلوب بأرواحها وتلقتك العيون بالتماحها فقد برقب الصباح ويلمح القمر اللياح وليس على عاشق الفضل جناح (وكتب الى وزير) أطال الله بقاء الوزير الامجد الاجل الاوحد وأعلى مرتقاه فى رفعة العز ومنعة الحرز الوزير الامجد دام عزه كالمطر الجواد يملأ الحياض وينبت الرياض بل كالقمر يقذف بالنور ويذهب بالديجور وقد اتحفنى من سناه وسقانى من سقياه بما أنار فأضوى وجاد فأروى فلله أيادى الوزير ما أنزلها بكل فناء وأسمعها لكل نداء حين رعى قصدى وهو مجنى ووعى صوتى وهو خفى فالآن أدام الله رفعة الوزير أضرب بحسام اعتنائه وجرده وآوى الى ذمام علائه وكده والله بفضله يديم نعماءه

ويعلى ارتقاءه حتى أظهر فى سمائه وأشتهر بأرفع أسمائه (ومن بديع قوله) فى قصيدة أولها (بسيط)

قامت تجرذيول العصب والحبر * ضعيفة الخطو والميثاق والنظر
تخطو فتولى الحصى من حليها نبذا * وتخلط العنبر الوردى بالعفر
غيرى الحلى بما تبديه من قلق * فى الوشح أو غصص تخفيه فى الازر
لم أدر هل حنق الخلخال من غضب * عليه أم لعب الزنار من أشر
تلفتت عن طلى وسنان وابتسمت * عن واضح مثل نور الروضة العطر
ان غلت ريا لم أطمع بطعمه * لان روض الصبا نور بلا ثمر
ما للعين نوم بعد ماذكرت * ليلا سمرناه بين الضال والسمر
تساقط الطل من فوق النحور به * تساقط الدر فى اللبات والثغر
ومفرق الليل قد شابت ذوائبه * فبت أدعو له بالطول فى العمر
والليل يعجب والظلماء جانحة * من ساهر يشتكى لليل بالقصر
فبت أجزع من ليل لواضحة * تبدو وأخجل من روض على سحر
يا من جفا فجفانى الطيف حين رأى * بأى عذر فعذر الضيف فى السهر
ذكرت بالسفح شملا غير منصدع * بالنائبات ونظما غير منتثر
بكل بيضاء خود خلتها جمدت * من السكينة أو ذابت من الخفر

ومنها فى وصف السيف

ان قلت نارا أتندى النار ملهبة * أو قلت ماء أيرمى الماء بالشرر

ومنها فى وصف الدرع

من كل ماذية أثنى فيا عجبا * كيف استهانت بوقع الصارم الذكر

وله من قصيدة أخرى أولها (بسيط)

ما الرسم من حاجة المهرية الرسم * ولا مرام المطايا عند ذى ارم
وذى شبا الخط تهدين الركاب لها * بالبيد للركب من هاد ولا علم
حتى المطى وشدى فى دوائرها * هذا أوان اقتضاء الشد من زيم
ريعت لنبأة سامى السوط فالتفتت * صعرى الخدود الى سواقة حطم
ثبت على صهوات الناجيات وقد * أخفت سروج المطايا صولة اللجم
منوطة بغواشى البيض راحته * كانما اختلطت بالصارم الخذم

بتنا نكالئ طرف العين عن سنة * والطيف يستأذن الاجفان فى الحلم
معترسين باغفال البطاح لنا * تحت الوشيج مبيت الاسد فى الاجم
قامت تغبطنى بالحرص سالكة * بين السبيلين لم تقعد ولم تقم
ظنت بى العجز وارتابت بخاصمها * جور الزمان فلم تعذر ولم تلم
انى وان غرنى نيل المنى لارى * حرص الفتى خلة زيدت الى العدم
فاعكفت بآمالى على وثن * ولا سجدت باشعارى الى صنم
أهل المناظر والالباب خالية * لا يعدمون من الدنيا سوى الفهم
نالوا الحظوظ فحازوها موافقة * كما تقاسمت الايسار بالزلم
لما رأيت الليالى قد طبعن على * جدب الاسود وخصب الشاء والنعم
رجعت أضحك والاعوال أجدر بى * من ميسر كان فيه الفوز للبرم
تقلدتنى الليالى و هى مدبرة * كأننى صارم فى كف منهزم
ذهبت بالنفس لا ألوى على نشب * وان دعيت به ابن المجد والكرم
فللمصارع اطراف اليراع يد * بنت لى المجد بين السيف والقلم

ومن مديحها

وان أحد فى الدنيا وان عظمت * لواحد مفرد فى عالم أمم
تهدى الملوك به من بعد ما نكصت * كما تراجع فل الجيش للعلم
رحب الذراع طويل الباع متضح * كأن غرته نار على علم
من الملوك الاولى اعتادت أوائلهم * سحب البرود ومسح المسك باللمم
زادت مرور الليالى بينهم شرفا * كالسيف يزداد ارهافا على القدم
تسنموا نكبات الدهر واختلطوا * مع الخطوب اختلاط البرء بالسقم
معوّق السيل لا تنفك راحته * من كف معتلق أو ثغر مستلم
مكارم حكمت فى ذاته يدها * فكدت أرحمها من سطوة الكرم
أضنى فؤادى وأوهاه تحملها * حتى وضعت يدى منه على ألمى
كأننى اذ أوالى قبل راحته * عجزت عن شكره حتى سددت فمى

ومن أخرى أوّلها (طويل)

سروا ما امتطوا الا الظلام ركائبا * ولا اتخذوا الا النجوم صواحبا
وقد وخطت ارماحهم مفرق الدجا * فبات باطراف الاسنة شائبا

وليل كطى المسح جبنا سواده * كأنا امتطينا من دجاه النوائبا
خبطنا به الظلماء حتى كأنما * ضربنا بأيدى العيس بالاغرائبا
وركب كأن البيض أمست ضرائبا * لهم وهم أمسوا لهن ضرائبا
اذا أوبوا صاروا شموسا منيرة * وان أدلجوا أمسوا نجوما ثواقبا
طوال طوال الباع والخيل والقنا * تخال لهم فوق الجياد أهاضبا
فما يحملون السمر الا عواليا * ولا يركبون الخيل الا سلاهبا
اذا اعتقلوا للطعن سمرا عواليا * أو انتجوا للضرب بيضا قواضبا
وطال بليل الدار هم أبت له * نجوم الدياجى أن تعود غواربا
ومذ وطئت أبناء مروان ذروة * من الشرف آلت لا تحب المغاربا
ثوابت فى جو السماء تخالها * بها لبنى عبد العزيز مناقبا

وله من أخرى أولها (بسيط)

أرح خطاك فخلى النجم قد نهبا * وقد قضى الشرق من وصل الدجا أربا
انا ركبنا من الظلماء جانحة * كأننا من دجاه نمتطى نوبا
سل النجوم هل ارتابت بصحبتنا * لما أثرن البهن القنا السلبا
اذا استمرت بمجرى النجم سالكة * خلت المجرة من آثارها ندبا
تهفو الركاب فتهدينا أسنتنا * كأنما عارضت أطرافها الشهبا
وباتت الخيل يقدحن الحصى حنقا * حتى تضرم ذيل الليل والتهبا
تلك الفوارس لا تثنى أعنتها * عن وجهة أو ينال السيف ما طلبا
باتوا على نشوة ما هاجها طرب * وقد أداروا بطاسات السرى نغبا
اذا أثاروا القنا عن جنح مظلمة * شالوا النجوم على أطرافها عذبا

وله (وافر)

خيال زارنى عند الصباح * وثغر الشرق يبسم عن اقاح
وقد حشر الصباح له ونادى * فأصغى النجم منه الى الصباح
وفاض على الكواكب وهو طام * فطار النسر مبلول الجناح
وزائرة طردت لها منامى * وقد عقد الكرى راحا براحى
وأدناها الهوى حتى أحلت * وباتت بين ريحان وراح
تهز الغصن فى حقف مهيل * وتفرى الليل عن قمر لياح

واضنانى

واضنانى الهوى فنعت نحولى * وهل ينعى النحول على الصفاح
وقد حملت عبء الحب ضعفى * كحمل الخصر للكفل الرداح
أحن الى رضاك وفيه برئى * كما حن العليل الى الصباح
وقد أحللت حبك من فؤادى * محل المال من أيدى الشحاح
سأفزع فى هواك الى صبرى * كما فزع الجبان الى السلاح
واقتدح الرغيبة من ركاب * براهن السرى برى القداح
تعنف ان رأت شأوا بعيدا * ومن ينفى الجواد عن الجماح
سرى جبنا به الظلماء حتى * سبقنا البائتين الى الصباح
اذا ونت الكواكب عن مداها * حفزناها بأطراف الرماح
ومن كان الوزير له ظهيرا * ينم راعيه فى حى لقاح
بحيث الرعى فى أحوى أحم * وحيث الورد فى شبم قراح
من القوم العزيز بين أهل الـ * ـعلا والطول والنسب الصراح
أقاموا المجد فى سمك على * ومدوا العز فى أرض فياح
فآوى كل عاف من ذراهم * الى بيض اللمى خضر البطاح
وقد قام العلا عنهم خطيبا * وصاح الجود حى على الفلاح
بأبنية وأعمدة طوال * ورحات و ساحات فساح
أبلبكر كثمت علاك حلما * فنم على الربا طيب الفواح
فكم تحيى الموالى بامتنان * وكم تردى المعادى باجتياح
بعين ملكت رق المساعى * وكف أعذبت ماء السماح
وفضل لا يثيب الى نصيح * وجود لا يصيخ لقول لاح
وحلم أوسع الدنيا وقارا * وقد خفقت له خفق الجناح
لاعى الفكر عن عيب الموالى * أصم الجود عن قول اللواح
فتى تجد الامانى فى يديه * وجود الرى فى الماء القراح
تجلى حادث الدنيا بوجه * كأن جبينه فلق الصباح
أضاء بوجهه أفق الدياجى * وقام بكفه علم النجاح
طلعت على العلا من كل باب * وحزت المجد من كل النواحى
وجاء بك الزمان على اكتهال * فكنت الروض فاح مع الرواح

فكف للسيادة ذات بسط * وطرف للمعالى ذو طماح
غضبت لكل حق مستباح * ولم تغضب لمال مستباح
فكيف نصرت كل حى مدال * ولم تنصر حمى المال المباح
نوالك من ولاتك ذو تدان * وقدرك عن عداتك ذو انتزاح
تداركت انصداعا بانشعاب * وصيرت الفساد الى الصلاح
فقد بدلت كربا بانفراج * وقد عوضت ضيقا بانفساح
وداويت الليالى من رداها * وقد نادتك يا آسى الجراح
فقد أشفيتها من كل داء * وقد أسقيتها بعد التياح
دعوت المعتفين لخير مأوى * وأحللت الطريد بأعز ساح
فما للفضل فيها من زوال * وما للمجد عنها من براح
لقد أنسى زمانك كل عيد * بعز ثابت وأسى مزاح
وذى الايام أعياد الايادى * فكيف تضيفهن الى الاضاحى

(وله فصل من رقعة) مثلى أعزك الله فى عناء بلا غناء كمن خض الماء يريد الزبد ووعده الابد بل لا والله واستغفر الله ما استضأت بغير منار ولا اقتدحت بغير عفار * ولكن حرمت الدر والضرع حافل * (طويل)

ومايوجع الحرمان من كف حارم * كما يوجع الحرمان من كف رازق

ومافعلت أبا عبد الله تلك الابيات والرجاء الذى فى بطون الحاملات أأزعجته الارحام أم كره الزحام أم استقر به المقام فأقام وتلك النتيجة هل حان نفاسها أم خانها احتباسها أم ولدت ثم وئدت أم وضعت ليلا وأرضعت غيلا فهى لا تدب ولا تشب والنجم آفل والكفيل غافل ومهما يكن من أمر فما ضاعت الا فى ضمانك ولا جاعت الا على خوانك هلا حلبت أبا عبد الله ما در وطب وطبعت والطين رطب فلا أمان من الزمان ومن ذا الذى يبقى على الحدثان (وكتب اليه) ابن اللبانة (كامل) :

يا روضة أضحى النسيم لسانها * يصف الذى تهديه من أرجائها
ومن اغتدى ثم اهتدى لطريقة * ماضل من يسعى على منهاجها
طافت بكعبتك المعالى اذ رأت * ان النجوم الزهر من حجاجها
شغلت قضيتك النفوس فاصبحت * مرضى وفى كفيك سر علاجها

هلا كتبت الى الوزير برقعة * تصبو معاطفه الى ديباجها
تجد السبيل لهم ولا تك للمنى * و ينير سعيهم بنور سراجها
أنت السماء فما بها الك رفعة * طلعت عليه الشهب من ابراجها
وضمت مفارق كل فضل عنده * فاجعل قريضك درة فى تاجها

فراجعه أبو الفضل (كامل)

يا منجدى والدهر يبعث حربه * شعثاء قد لبست رداء عجاجها
لله درك اذ بسطت الى الرضا * نفسا تمادى الدهر فى احراجها
وارقت ماء الود فى نار الاسى * كالراح يكسر حدها بمزاجها
فبأتى تلك الغمام فبردت * من غلة كالنار فى انضاجها
فأويت تحت ظلالها ووجدت بر * دنسيمها وكرعت فى ثجاجها
حاولت منى ان اطار دحاجة * مرضت فاعيا الناس باب علاجها
قل كيف تنعش بعد طول عثارها * أم كيف تفتح بعد سد رتاجها
هيهات لا تثنى النفوس لوجهة * من بعد ما رجعت على ادبارها ٦
لا زيد فى أمرى وضوحا بعدما * قامت براهين على منهاجها
فأكون ان زدت الصباح أدلة * خرقاء تمشى فى الضحى بسراجها
دعنى أبرد بالقناعة غلة * يأس النفوس أحق فى اثلاجها
بكر بخلت على الانام بوجهها * ومنعتها من ليس من أزواجها
وصرفتها محجوبة بصوانها * مثل السلوك تصان فى ادراجها
كالنور فى أكمامها والبيض فى * أغمادها والغيد فى احداجها
فالنفس ان ثبتت على اخلاقها * أعيا على النصاح طول لجاجها

(وله) وقد استدعاه المتوكل فى يوم ماطر ونسيم روض عاطر فصحبته فى ممشاه اليه سحابة وبلت عليه ثيابه فلما دخل على المتوكل أدناه وأكرم مثواه وهزه الى القول فى ذلك فاهتز وأتى بما طبق مفصل الابداع وحز (سريع)

صاحبنا الغيث الى الغيث * لكنه غيث بلا عيث
سحابة تهمى حياها سرى * لا تخلط الاعجال بالريث
يا ليث غاب حسنه باهر * والحسن لا يعرف الليث
أحلنى قربك فى موضع * يجل عن أين وعن حيث

(الاستاذ الاديب أبو محمد بن سارة الشنتريني رحمه الله تعالى)

سابق الحلبة وعقد تلك اللبة لا يشق غباره في ميدان نظام ولا تنسق اخباره في قلة ارتباط وانتظام أعان على نفسه الزمان واستجلب لها الخمول والحرمان فلا يطير الا وقع ولا يرقع خرقا من حاله الا خرق ما رقع وهو اليوم مكتتم في كسر تواريه متقنع بغلالة تنعشه وشملة تواريه وكانت له أهاج سدد هانبالا وأورث بها خبالا الا أنه قد قوض اليوم عن فنائها ونفض يده من اقتنائها وله بدائع تستحسن وتستطاب كأنها الوسن فمن ذلك قوله (طويل)

متى تجتلي عيناي بدر مكارم * تود الثريا أنها من مواطئه
ولما أهل المسلمون بذكره * وفاح نسيم الترب مسكا لواطئه
عرفنا بحسن الذكر حسن صنيعه * كما عرف الوادي بخضرة شاطئه
أيا من محل النجم في جنباته * منيف مدى الايام ليس بلاطئه
عليك باعراض ودع ماوراءها * فما صائبات النبل مثل خواطئه

وكقوله (كامل)

ومعذر رقت حواشي حسنه * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه صباغها الاحداق

وكقوله يتغزل (كامل)

يامن تعرض دونه شحط النوى * فاستشرفت لحديثه أسماعي
انى لمن يحظى بقربك حاسد * ونواظري يحسدن فيك رقاعي
لم تطوك الايام عني انما * نقلتك من عيني الى أضلاعي

وله (كامل)

أما الوراقة فهي أنكد حرفة * أغصانها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بابرة خائط * تكسو العراة وجسمها عريان

وله (كامل)

ومهفهف يختال في أبراده * مرح الغصون اللدن تحت الفارح
أبصرت في مرآة فكري خده * فحكيت فعل جفونه بجوارحي
لاغروان بجرح التوسم خده * فالسحر يفعل في البعيد النازح

وله يصف فروالة (كامل)

أودت بذات يدى فربه أرنب * كفؤاد عروة فى الضنى والرقة
ان قلت باسم الله عند لباسها * قرأت على "اذا السماء انشقت"
يتجشم الفراء فى ترقيعها * بعد المشقة فى قريب الشقة
لو أن ما أنفقت فى اصلاحها * بجصى لزاد على رمال الدجلة

وله (كامل)

سلروا وللريح البليل صراصر * تلهى بسافرة القناع شموع
يستنبط المقدور ماء حياته * بوسيطها القرار من ينبوع
شقراء أشبهت الظلام بمارج * كالبرق مع سحابه بدموع
واذا النسيم طغا عليها بصبصت * بلسان أرقش كالزمام لسوع
وكأنما اشتملت عليه ضلوعها * والبين يقذف روعه فى روعى

وله (خفيف)

وصقيل مدارج النجم فيه * وهو مذ كان مادرجن عليه
أخلص التبن صقله فهو ماء * يتلظى السعير فى صفحتيه

وله (طويل)

تمنيت منه قبلة حين زارنى * فقبلته ثنتين فى الخد والخد
وقلت له جدلى بثغرك اننى * أقول بتفضيل الاقاح على الورد

وله (وافر)

بنو الدنيا بجهل عظموها * فجلت عندهم وهى الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على عقيره

وله (متقارب)

وبشر بالصبح برد النسيم * وسكر النديم وضعف السراج

(وكتب) الى القاضى أبى أمية يمدحه (كامل)

قدمت بين يدى مديحك هذه * والوبل يبدأ أولا برذاذه
والسهم يبدو فى ترنم قوسه * مقدار غلوته وكنه نفاذه
والطرف يعلم عتقه من طرفه * قبل احتفاء الحصر فى أفخاذه
وكذا المهند يستبان مضاؤه * فى صفحتيه ولم يقع بجذاذه
كم ذا يعذبنى الرجاء ولا أرى * للحظ اقبالا على اغذاذه

والذكر منك على لسان مودتي * أحلى من البرني أو آزاذه
في قلب لبل قطعته عزائمي * فبكت فراقدم على افلاذه
أو في رداء ضحى تراه معصفرا * عند الاصيل بحمرة من ذاذه
وسراب كل ظهيرة مترقرق * يختال عطفي في ملاءة لاذه
والركب من كأس الكرى مترنح * كالشرب في المأخوذ من كلواذه
والشمس في كف الهواء مجنجل * يتوقد الهندي من فولاذه
ان قابلت مرآة رأيك أبصرت * منها شبيها في يدي انفاذه
لوأن عدلك يحتذيه زماننا * لم يلقنا بالجور في استحواذه
ولكان بالاسعاف يلقى ناظري * فيطوف منه بركنه وملاذه
أصبحت ليثا في مخالب ثعلب * من مطلبي في روغه ولواذه
استاذه الزمن الخبيث وللفتى * شيم تلوح عليه من استاذه
للناس عيش درت الدنيا لهم * من دوننا بنعيمه ولذاذه
أخذوه موفورا كما شاؤوا ولم * يؤذن لنا فنكون من أخاذه
حضروا وغبنا شذذا ولربما * حرم الغنى من كان من شذاذه
وأراهم هذوا وأبطأنا وقد * يدنو بعيد الخطو من هذاذه
ليست تؤد أخا اقتضاء غيلة * مستظهرا فيها بخفة حاذه
فذا اذا زحف الزمان بجمعه * رفض الجميع وحل في افذاذه
يصمي الافق من السهام وربما * اغمي المريش على وفور قذاذه
والمرء قد يجني الرضا من سخطه * كالليث يفرس وهو في استفاذه
وقذا الزمان جوانحي ووقذته * فانظر الى موقوذه ووقاذه
ان صد عن رمحي بثغرة نحره * فسنان رمحي واقع في كاذه
لماذكرتك لاذ بي من صروفه * يبغي النجاة ولات حين لياذه
اني منيت من الزمان بصاحب * قاسي الفؤاد خبيثه لواذه
وافيت مرسية فوافق قائلا * بتصلف ماشاء ليست هذه
فتي أصول عليه بابن عصامها * سباق ميدان العلا بذاذه
ومتى أرى سعيي بدهري هازلا * وعلاء منه بجد في استنقاذه
ياويح قلبي كم يضيق وكلمه * يسع الفجاج الفيح في انفاذه

زادت عوائق دهره فى برحه * اذحان منها عوذه بمعاذه
قاض تقابلنا حبى ابراده * بأبى هريرة فى التقى ومعاذه
ظمئت الى ماء الفرات جوانحى * وأنا مقيم فى ثرى بغداذه
ناديت بدر التم ان شئت السنا * من غير نقص فالقه أو حاذه
فلا لقين به الزمان وأهله * فى تيه قيصره وزهو قباذه
(ومما) كتب اليه أيضا (وافر)
ادارتها يد اخود فتاة * يميل بقدها عطف القناة
وقام يعارض اللحظات منها * غزال لحظه لحظ المهاة
تسوّل لى شياطين التصابى * بمقلته التصور فى الهناة
ولكنى أرد شبابغرامى * بشيب لاح منى فى الشواة
واستحيى لانى فى مكان * مكين من هدى قاضى القضاة
وكتب اليه يستنجده (طويل)
أشيع أيامى بعلّ وليتما * واشغل أوصافى بها وكأنما
وأزمع يأسا ثم أذكرانى * بحضرة أزكى الناس فرعا ومنتمى
فأرتقب العتبى وأشدو تعللا * عسى وطن يدنو بهم ولعلما
أفضه علينا كوثريا لعله * يبرّد نارا فى الحشى من جهنما
وردّ جوابى وهى تثنى صوامتا * كفاها لسان الحال أن تتكلما
فما جئت جالينوس مستشفيا به * ولا علتى حين المسيح بن مريما
(وقال) يمدح الفقيه القاضى أبا بكر بن العربى أدام الله بالطاعة عزه (خفيف)
أيها البدر لا عداك التمام * وسقانا من راحتيك الغمام
لح طليقا لنا بسيف صقيل * مثل ما رقرق الفرند الحسام
واجل ثغرا نشيم منه الامانى * بارقا للسماح فيه ابتسام
قد حططنا الرحال فى ظل دوح * أثمر البرّ فيه والاكرام
ورأينا تواضعا من مهيب * جعلت ليه تتوج الاعظام
قاعد والزمان بين يديه * قائم والصروف والايام
كلها سامع اليه مطيع * ينفذ النقض فيه والابرام
من يطع ربه تطعه الليالى * وتجئه الورى وهم خدّام

هو رضوان فى سكينة رضوى * رضى الله عنه والاسلام
يا كتابى بالله قبل يديه * بدلا من فى فيه احتشام
ثم بحسين له بأن توانى * كان عاما والآن قد جاء عام
وليبد لم يشترط لبكاه * غير حول مضى وقال السلام
قل له قد أتته منك القوافى * كالازاهير شق عنها الكمام
جاليات من المديح اليه * مسك دارين فض عنه الختام
وأرتنا فرائد المدح بحرا * يغرق الدر فيه وهو تؤام
والامانى شبائب لم تفارق * غرة العيش والرجاء غلام
يتغنى من المديح بلحن * فهمته منه الايادى الجسام
ريش وطوق فانما أنت دوح * رف بالمكرمات وهى حمام
حننا الرحيل عنك اضطرار * ولا روا حنا اليك مقام

(وقال) يمدح الامير أبا بكر بن ابراهيم وقد قدم حضرة غرناطة واليا أمرها فدخل فى جملة من الشعراء اليه وأنشدها بين يديه وهى (كامل)

اليوم أخمدت الضلالة نارها * واسترجعت دار الهدى عمارها
واستقبلت حدق الورى غرناطة * وهى الحديقة فوفت ازهارها
فكأن نشر بنانها نيسان اذ * يكسو رباها وردها وبهارها
فى غب سارية ترقرق أدمعا * يحكى الجمان صغارها وكبارها
ماشئت من نهر كصدر عقيلة * شقت أناملها عليه صدارها
أو جدول كالنصل فى يد ثائر * أمهى صفيحته وهز غرارها
ما بين أشجار تميد كأنها * شراب جريال يدير عقارها
متر نحون اذا لحاها عاذل * تركت سكون حلومها ووقارها
لله أروع من ذوائب حمير * راع العداة فما تقر قرارها
راقت به أرض الجزيرة عزمة * خلعت على حب الجمان عذارها
ماهاله بيد تعسفها ولا * لجج بحكم الليل خاض بحارها
فى فتية تسرى الى نصر الهدى * فتظنهم سدف الدجا أقمارها
خضبوا السواعد بالرقاق تفاؤلا * ان سوف تخضب بالنجيع شفارها
وتلثموا صونا لرقة أوجه * جبل السماح شعارها ودثارها

المنعمين على العفاة اذا وشوا * والناقضين على العدى أوتارها
غرسوا الايادى فى ثرى معروفهم * فجنوا بألسنة الثناء ثمارها
لولا تراح شريعة التقوى بهم * وجفونها منهم ترى انصارها
ضربوا اسرادق بأسهم من دونها * وقد اشرأب الكفر يهدم دارها
فوقوا بخرصان الرماح جنابها * وحموا بقضبان الصفاح ذمارها
ومسومات شزب ان أحضرت * نفضت على ثوب السماء غبارها
لبسوا القلوب على الدروع فدوخوا * أرض العدا واستأصلوا كفارها
شهب اذا أوفت على أفق الوغى * جعلت أبا يحيى الامير مدارها
متلثم بالصبح فوق أسرة * تهدى الى شمس الضحا أنوارها
أورت زناد المسلمين له يد * بالنجح تقدح مرخها وعفارها
حاشا الا زندشر عناهن كبوة * ويد ابن ابراهيم تورى نارها
أصفى مواردها أزاح سقامها * أرخى حرارتها أقال عثارها
أولى أمة أحمد أبهجتها * مذ صرت من جور الحوادث جارها
جلبت لك الانعام ضرعا حافلا * ورنت على افنانها أطيارها
وأرى زناد الرأى منذ قدحتها * أوريت فى مقل النجوم شرارها
حط الرعية فى مريع جنابها * وارأب ثآها واصطنع أحرارها
وزد الاكابر من بنيها خطة * واردد كبارا بالحباء صغارها
واقذف نحور المشركين بجحفل * يمحو معالم أرضها ومنارها
لجب تظن السابغات بوجهه * زرقا ونقع السابحات بحارها
واحلل عرا تلك الجماجم انها * عقدت على بغض الهدى زنارها
وكانى بك قد ثللت عروشهم * وسلبت بيضة ملكه جبارها
وقتلت من نجادها انجادها * وصرعت فى أغوارها أغوارها
لاترض منهم بالنفوس تحوزها * سمر القنا حتى تحوز ديارها
وترى بها عيناك ليل ضلالها * ويد الهدى فيها انشق زرارها
صمتت سيوفك فى الغمود وجردت * يوم النزال فحدثت أخبارها
لما احتست خمر الهياج نصالها * أهدت الى هام الطغاة خمارها
زارتك فى قصر الامارة كاعب * زانت محاسن جيدها تقصارها

رضعت من الآداب محض لبانها * وتجنبت ممذوقها وسمارها
تثنى الليالى هائمات كلما * نفثت على بسحرها أسحارها
فأجل جفون رضاك فى اعطافها * كرما وشرف بالقبول مزارها

(وله) فى الزهد (بسيط)

يامن يصيخ الى داعى السفاة وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر
ان كنت لا تسمع الذكرى ففيم ثوى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرها * فراقها الثاويان البدو والحضر

(وقال) أيضا من كلمة (بسيط)

تمر الدهر حتى مافرقت له * من قسورى الدجى فى فروة النمر
لابد أن يقع المطلوب فى شركى * ولو بنى داره فى دارة القمر
قاضى الجماعة فى دار الامارة لى * قاض على الدهر ان لم يقض لى وطرى
لولا ضلوع توارى نار فطنته * لاحرقت وجنات الشمس بالشرر

(وله) يصف نارا (خفيف)

لابنة الزند فى الكوانين جمر * كالدرارى فى دجى الظلماء
خبرونى عنها ولا تكذبونى * ألديها صناعة الكيمياء
سبكت فحمها صفائح تبر * رصعتها بالفضة البيضاء
كلما رفرف النسيم عليها * رقصت فى غلالة حمراء
لوترانا من حولها قلت شرب * يتعاطون أكؤس الصهباء
سفرت فى عشائها فأرتنا * حاجب الشمس طالعا بالعشاء

(وله) فيها (كامل)

جاءتك فى تنورها المسجور * زهراء فى حلل من الديجور
لما تهلل فى الظلام جبينها * لبس الظلام بها غلالة نور
يا حسنها وقد ارتمت جنباتها * شررا كمثل العسجد المنثور
والجمر فى حلل الرماد كأنه * ورد عليه ذريرة الكافور
فى ليلة خلنا دجاها اثمدا * ونجومها مرضى عيون الحور

(وله)

(وله) فيها (بسيط)

باتت لنا النار دريا فاوقد جعلت * عقارب البرد تحت الليل تلسعنا
زهراء قدت لنا من دفئها لحفا * لم يعلم البرد فيها اين موضعنا
لها حريق بكانون نطيف به * كمثل جام رحيق فيه مكرعنا
تبعنا قربها حينا و تبعدنا * كالام تفطمنا حينا وترضعنا

(وله) فيها (طويل)

دعو الامرئ القيس بن حجر طلوله * يظل عليها سافح العبرات
وهو جوا بيا قوتية ذهبية * يهيم بها المغرور في السبرات
اذا ما ارقت من فحمها بشرارها * رأيت نجوم الليل منكدرات
حكى لى منها الجمر تحت رمادها * دمابد قيق الربط معتجرات
وقد عصفر التضميش بيض خدودها * فأبت منها يانع الثمرات
عليها فذب ان لم تجدها كآبة * ودع للسواقى برقة العبرات
وقل حين تمشى فى الندى وطيبها * ينم على أذيالها العطرات
تضوع مسكا بطن نعمان ان مشت * به زينب فى نسوة خطرات

(وله) فيها ايضا (سريع)

قد شابت النار بكانوننا * لما تناهى عمرها واكتهل
كأنما الناخبا جمرها * مطيب الورد اذما ذبل

(وله) فى النارنج (طويل)

أجمر على الاغصان أبدى نضارة * به أم خدود أبرزتها الهوادج
وقضب تثنت أم قدود نواعم * أعالج من وجدبها ما أعالج
أرى شجر النارنج أبدى لناجنى * كقطر دموع ضرجتها اللواعج
جوامد لوذابت لكانت مدامة * تصوغ البرى فيها الاكف النوارج
كرات عقيق فى غصون زبرجد * بكف نسيم الريح منها صوالج
نقبلها طورا و طورا نشمها * فهن خدود بيننا ونوافج
نهى صبوتى أن لا تصيخ الى النهى * عروس من الدنيا عليها دمالج

(وله) ايضا فيه (بسيط)

يارب نارنجة يلهو النديم بها * كأنها كرة من أحمر الذهب

أو جذوة حملتها كف قابسها * لكنها جذوة معدومة اللهب

(وقال) يمدح قاضى قضاة الشرق أبا أمية ابراهيم بن عصام رحمه الله تعالى (بسيط)

يامن عزائمه أمضى اذا انتضيت * عن حادث الدهر اذ يسطو بها القدر
ومن اذا مابدا فى أفق مكرمة * جبينه المسفر استحذى له القمر
عين الرجاء الى عليائك شاخصة * فى حاجة أنت فيها السمع والبصر
فاجر الصفوف الى استنزالها قدما * وصاحبائك بها التأييد والظفر
حتى تلاقى من قاضى القضاة بها * شمسا أنارت بها الاحكام والسير
فى حبوتيه اذا استقبلته ملك * مقدس الروح الا أنه بشر
أضفى على الدين أبراد الشباب فقل * صديقه البر أو فاروقه عمر
من ادّعى الشرك فى أكرومة معه * فاغلظ عليه وقل للعاهر الحجر
وقل له ماترى فى روضة أنف * وافت ليسقيها من جودك المطر

(وقال) يمدحه أيضا (خفيف)

هاكها كالجنوب تزجى القطارا * صافح الورد نفحها والعرارا
فى جبين من حالك الحبر تبدى * لك ليلا من طرسه ونهارا
رق ديباجه فراق زلالا * حيث دارت به النواسم دارا
تتلالى من المعانى شموس * فوق صفحيه تخطف الابصارا
خجل الصبح من شكاتى فأهدى * سوسن الخد منه جلنارا
ورآنى بلا عقار فكادت * صفحة منه تستهل عقارا
ورآنى السحاب أسحب حالا * ذات عدم فذاب ماء ونارا
عثر الدهر بى وقد جئتك حرّا * ذاكى الاصل ينعش الاحرار
ان تكن عصمة فان عصاما * جده لم يزل يقيل العثارا
قاضى الشرق أشرقتنى بريقى * نائبات يطلبن عندى ثارا
لا لذنب الا لانى أديب * طاب عود منه فكان نضارا
أجتلى درّ اربف حسنا وان كا * نت ضلوعى تهفو عليه حرارا
حاش لى ان أزفها ثيبات * عنسنا بل كواعبا أبكارا
لفحت أضلعى بها فاستهلت * بين كفيك تنشد الاشعارا
طلعت فى أهلة من ضلوع * لى تجلو بنا تها اقمارا

أرضعتها درّ البلاغة منها * أمهات لم تحتلب أظآرا
وأرتك الرياض منها كماما * جادها النيل وابلا مدرارا
ماء على بابل لو استقبلتها * فاجتنت من ثمارها الاسحارا
كل خمرية ولم تسق خمرا * تلبس الحسن والدلال خمارا
تذر السامعين يثنون اعطا * فاسكارى وما هم بسكارى
لو تغلغلن فى مسامع رضوى * لانثنى راقصا وخلى الوقارا
ليس فى فسحة من العذر الا * من صبا خالعا اليها العذارا
وجهها أجزل المهور فلولا * أنت ما أدلجت بهن المهارا
أبصرتها النجوم أشرق منها * فسرت تخبط الظلام حيارى
(وله) فى فتى وسيم نزل مكانه اسود (طويل)
مضت جنة المأوى وجاءت جهنم * فها انا اشقى بعدما كنت أنعم
وماهى الا الشمس حان غروبها * فأعقبها قطع من الليل مظلم
(وله) فى غلام أزرق (كامل)
ومهفهف أبصرت فى أطواقه * قمرا بآفاق المحاسن يشرق
تقضى على المهجات منه صعدة * متألق فيها سنان أزرق
(وقال يرثى) (طويل)
أيا واقفا والترب بينى وبينه * ترحم على قبر الحبيب وسلم
وقل انه قبر تضمن أعظما * رمام هريق فى الندى والتكرم
أتى يومه من دون شرخ شبابه * ولم يقض منه حاجة المتلوم
(وقال) فى ابنة ماتت له (وافر)
ألا ياموت كنت بنا رؤفا * فجددت الحياة لنا بزوره
حماد لفعلك المشكور لما * كففت مؤنة وسترت عوره
فأنكحنا الضريح بلا صداق * وجهزنا الفتاة بغير شوره
(وله) يصف نجما جرى فى السماء وترك وراءه مستطيل ضياء (بسيط)
وكوكب أبصر العفريت مسترقا * للسمع فانقض يذكى اثره لهبه
كفارس حل احضار عمامته * فجرها كلها من خلفه عذبه
(وله) (طويل)

وليل كأن الدهر أقصى بعمره * جميعا اليه فانتهى فى ابتدائه
يحدث بعض القوم بعضا بطوله * ولم يمض منه غير وقت عشائه
تكاثف ظل الغيم فيه فلم يكن * به العين تدرى أرضه من سمائه
اذا اقترّ فى استبعاده برق دجنة * حكى حبشيا ضاحكا من بكائه
ضربت بسيف العزم عنق ظلامه * وضرّجت بردى نحره من دمائه
ولم أر لابن الهمّ أشفى من السرى * اذا مات رفق العزم مات بدائه
وانى لالقى كل وجه بمثله * ولا عجب والماء لون انائه

(وله) (كامل)

ان كنت تستشفى بأنفاس الصبا * فالمسك من أنفاسها يتنسم
وأفتك عاطرة النسيم كأنها * رسل الحبيب أتتك عنه تسلم
والجوّ يلبس للغمام مطارفا * منها على عطفيه برد أسحم
أوحى الى روض الثرى بتحية * وبكى فأقبل نورها يتبسم
واستجملته الارض صنعة بردها * فيد تحوك بها وأخرى ترقم

(وله) (كامل)

النهر قد رقت غلالة صبغه * فعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنه * عكن الخصور تهزها الاعجاز

(وله) (بسيط)

مالى السفرجل شئ يستطار به * ولا تكن منه مطويا على وجل
انى نظرت الى تصحيف أحرفه * فانفك منهنّ لى تب تفرّج لى
ولم أقل سفرجل البلاء به * أو حلّ منه وقوع الحادث الجلل

(وله) (كامل)

عابوا الجهالة وازدروا بحقوقها * وتهافتوا بحديثها فى المجلس
وهى التى ينقاد فى يدها الغنى * وتجيئها الدنيا برغم المعطس
انّ الجهالة للغنى جذابة * جذب الحديد حجارة المغنيطس

(وله يمدح الامير أبا بكر بن ابراهيم) فى نوروز سنة ٤٩٩ (سريع)

طاف بأكواس مسراته * ما بين ريحان مسرّاته
وراح فى ابراد ايناسه * ثانى عطفى أريحياته

قل

قل لابى يحيى امام الهدى * محيي الندى جامع اشتاته
رعاه من فى الارض سلطانه * ودونه حجب سمواته
ياملكا أيامه لم تزل * تجرى على وفق اراداته
ومن بكفى عزعه صارم * يخاف صرف الدهر هناته
أصلته التوفيق فى كفه * فابتهج الدين لاصلاته
واقبل الفتح له رائدا * والنصر معقودا براياته
واتصل الانس بآصاله * واقترن الروح بروحاته
وانما الدهر له خادم * منتقد لمح اشاراته
قد صارت الشمس الى جريها * واستقبل اليوم بآداته
وأشرف النيروز فاستشرفت * لى الامانى نحو عاداته
فى شارق ابرز مشبوبة * أشرق منها الليل مشتاته
يريك خد الورد كانونها * معصفرا فى غير أوقاته
روض اذا الريح هفت نضنضت * مذهبة ألسن حياته
عقارب الشتوة مقبولة * بالشمس منها حول حافاته
لما بدت فى ابنوسيها * ونورها عسجد ياقوته
منمنما فى صفح كافورها * واوات جهاز ولاماته
علمت أن الحسن منها نوى * يبدى لنا معجز آياته
كانما النارنج أبدى لنا * وجنته عند مجازاته
أوهى شدت عقد أزراره * حتى التظى خامد حياته
فى مجلس يختال عطف المنى * فى رفرف من عبقرياته
زبرجد النبت على ساقه * ولؤلؤ الطل بلباته
والثلج كالهندب فى كرسف * تحلبه أيدى غماماته
أوزهر من دوحه ساقط * قد هامت الريح بهاماته
سقوط جدوالك على آمل * همت بتكثير عطياته
فعاد يغشى طرف حساده * بياض نعمان بساحاته
رددت فى جسم الندى روحه * حتى غدا امل ملا آته
وزار بالغيث الى أن نبا * بعث سحاب صوب ملمأته

هو رضوان في سكينة رضوى * رضي الله عنه والاسلام
يا كتابي بالله قبل يديه * بدلا من في نفسه احتشام
ثم بين له بأن ثوائي * كان عاما والآن قد جاء عام
وليبد لم يشترط لبكاء * غير حول مضى وقال سلام
قل له قد أتته منك القوافي * كالازاهير شق عنها الكمام
جالبات من المديح اليه * مسك دارين فض عنه الختام
وأرتنا فرائد المدح بحرا * يغرق الدر فيه وهو تؤام
والاماني شبائب لم تفارق * غرة العيش والرجاء غلام
يتخشى من المديح بلحن * فهمته منه الايادي الجسام
رش وطوّق فانما أنت دوح * رف بالمكرمات وهي حمام
حثنا الرحيل عنك اضطرار * ولأروا حنا اليك مقام

(وقال) يمدح الامير أبا بكر بن ابراهيم وقد قدم حضرة غرناطة واليا أمرها فدخل في جملة من الشعراء اليه وأنشدها بين يديه وهي (كامل)

اليوم أخمدت الضلالة نارها * واسترجعت دار الهدى عمارها
واستقبلت حدق الورى غرناطة * وهي الحديقة فوّفت ازهارها
فكأن تشرين نابها نيسان اذ * بكسور باها وردها وبهارها
في غب سارية ترقرق أدمعا * يحكي الجمان صغارها وكبارها
ماشئت من نهر كصدر عقيلة * شقت أناملها عليه صدارها
أو جدول كالنصل في يد ثائر * أمهى صفيحته وهز غرارها
مابين أشجار تميد كانها * شرّاب جريال يدير عقارها
مترنحون اذا لحاها عاذل * تركت سكون حلومها ووقارها
لله أروع من ذوائب حمير * راع العداة فما تقر قرارها
راقت به أرض الجزيرة عزمة * خلعت على حب الجمان عذارها
ماهاله بعد تعسفها ولا * لجج بحجم الليل خاض بحارها
في فتية تسري الى نصر الهدى * فتظنهم سدف الدجا أقمارها
خضبوا السواعد بالرقاق تفاؤلا * ان سوف تخضب بالنجيع شفارها
وتلثموا صونا لرقة أوجه * جعل العجاج شعارها ودثارها

المتعممين

المنعمين على العفاة اذا وشوا * والناقضين على العدى أوتارها
غرسوا الايادى فى ثرى معروفهم * فجنوا بألسنة الثناء ثمارها
لم لا تراح شريعة التقوى بهم * وجفونها منهم ترى انصارها
ضربوا سرادق بأسهم من دونها * وقد اشرأب الكفر يهدم دارها
فوقوا بخرصان الرماح جنابها * وحموا بقضبان الصفاح ذمارها
ومسوّمات شزب ان أحضرت * نفضت على ثوب السماء غبارها
لبسوا القلوب على الدروع فدوّخوا * أرض العدا واستأصلوا كفارها
شهب اذا أوفت على أفق الوغى * جعلت أبا يحيى الامير مدارها
متلثم بالصبح فوق أسرّة * تهدى الى شمس الضحا أنوارها
أورت زناد المسلمين له يد * بالنجح تقدح مرخها وعفارها
حاشا الأزند شرعنا من كبوة * ويد ابن ابراهيم تورى نارها
أصفى مواردها أزاح سقامها * أرخى حرارتها أقال عثارها
أولى أمة أحمد أبهجتها * مذ صرت من جور الحوادث جارها
جلبت لك الانعام ضرعا حافلا * ورنت على افنانها أطيارها
وأرى زناد الرأى منذ قدحتها * أوريت فى مقل النجوم شرارها
حط الرعية فى مريع جنابها * وارأب ثأآها واصطنع أحرارها
وزد الاكابر من بنيها خطة * واردد كبارا بالحباء صغارها
واقذف نحور المشركين بجحفل * يمحو معالم أرضها ومنارها
لجب تظن السابغات بموجه * زرقا ونقع السابحات بحارها
واحلل عرا تلك الجماجم انها * عقدت على بغض الهدى زنارها
وكأنى بك قد ثللت عروشهم * وسلبت بيضة ملكه جبارها
وقتلت من نجدادها انجادها * وصرعت فى أغوارها أغوارها
لا ترض منهم بالنفوس تحوزها * سمر القنا حتى تحوز ديارها
وترى بها عيناك ليل ضلالها * ويد الهدى فيها تشق زرارها
صمتت سيوفك فى الغمود وجرّدت * يوم النزال فحدّثت أخبارها
لما احتست خمر الهياج نصالها * أهدت الى هام الطغاة خمارها
زارتك فى قصر الامارة كاعب * زانت محاسن جيدها تقصارها

رضعت من الآداب محض لبانها * وتجنبت ممذوقها وسمارها
تثنى الليالى هائمات كلما * نفثت على بسحرها أسحارها
فأجل جفون رضاك فى أعطافها * كرما وشرف بالقبول مزارها

(وله) فى الزهد (بسيط)

يامن يصيخ الى داعى السقاة وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر
ان كنت لا تسمع الذكرى ففيم ثوى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرها * فراقها الثاويان البدو والحضر

(وقال) أيضا من كلمة (بسيط)

تمر الدهر حتى مافرقت له * من قسورى الدجى فى فروة النمر
لابد أن يقع المطلوب فى شركى * ولو بنى داره فى دارة القمر
قاضى الجماعة فى دار الامارة لى * قاض على الدهر ان لم يقض لى وطرى
لولا ضلوع توارى نار فطنته * لاحرقت وجنات الشمس بالشرر

(وله) يصف نارا (خفيف)

لابنة الزند فى الكوانين جمر * كالدرارى فى دجى الظلماء
خبرونى عنها ولا تكذبونى * ألديها صناعة الكيمياء
سبكت فحمها صفائح تبر * رصعتها بالفضة البيضاء
كلما رفرف النسيم عليها * رقصت فى غلالة حمراء
لو ترانا من حولها قلت شرب * يتعاطون أكؤس الصهباء
سفرت فى عشائها فأرتنا * حاجب الشمس طالعا بالعشاء

(وله) فيها (كامل)

جاءتك فى تنورها المسجور * زهراء فى حلل من الديجور
لما تهلل فى الظلام جبينها * لبس الظلام بها غلالة نور
ياحسنها وقد ارتمت جنباتها * شررا كمثل العسجد المنثور
والجمر فى حلل الرماد كأنه * ورد عليه ذريرة الكافور
فى ليلة خلناد جاها اثمدا * ونجومها مرضى عيون الحور

(وله)

(وله) فيها (بسيط)

باتت لنا النار دريا قاوقد جعلت * عقارب البرد تحت الليل تلسعنا
زهراء قدت لنا من دفئها لحفا * لم يعلم البرد فيها اين موضعنا
لها حريق بكانون نطيف به * كشمل جام رحيق فيه مكرعنا
تبعدنا قربها حينا وتبعدنا * كالام تفطمنا حينا وترضعنا

(وله) فيها (طويل)

دعوا الامرئ القيس بن حجر طلوله * يظل عليها ساقي العبرات
وهو جوابيا قوتية ذهبية * يهيم بها المغرور في السبرات
اذا ما ارقت من فحمها بشرارها * رأيت نجوم الليل منكدرات
حكى لى منها الجمر تحت رمادها * دما بدقيق الريط معتجرات
وقد عصفر التضميش بيض خدودها * فأبت منها يانع الثمرات
عليها فذب ان لم تجدها كآبة * ودع للسواقى برقة العبرات
وقل حين تمشى فى الندى وطيبها * ينم على أذيالها العطرات
تضوع مسكا بطن نعمان ان مشت * به زينب فى نسوة خطرات

(وله) فيها ايضا (سريع)

قد شابت النار بكانوننا * لما تناهى عمرها واكتهل
كانما الناخبا جرها * مطيب الورد اذ ما ذبل

(وله) فى النارنج (طويل)

أجمر على الاغصان أبدى نضارة * به أم خدود أبرزتها الهوادج
وقضب تثنت أم قدود نواعم * أعالج من وجدبها ما أعالج
أرى شجر النارنج أبدى لناجنى * كقطر دموع ضرجتها اللواعج
جوامد لو ذابت لكانت مدامة * تصوغ البرى فيها الاكف النوارج
كرات عقيق فى غصون زبرجد * بكف نسيم الريح منها صوالج
نقبلها طورا و طورا نشمها * فهن خدود بيننا ونوافج
نهى صبوتى أن لا تصيخ الى النهى * عروس من الدنيا عليها دمالج

(وله) ايضا فيه (بسيط)

يارب نارنجة يلهو النديم بها * كانها كرة من أحمر الذهب

أو جذوة حملتها كف قابسها * لكنها جذوة معدومة اللهب

(وقال) يمدح قاضى قضاة الشرق أبا أمية ابراهيم بن عصام رحمه الله تعالى (بسيط)

يامن عزائمه أمضى اذا انتضيت * عن حادث الدهر اذ يسطو بها القدر
ومن اذا مابدا فى أفق مكرمة * جبينه المسفر استخذى له القمر
عين الرجاء الى علياك شاخصة * فى حاجة أنت فيها السمع والبصر
فاجر الصفوف الى استنزالها قدما * وصاحباك بها التأييد والظفر
حتى تلاقى من قاضى القضاة بها * شمسا أنارت بها الاحكام والسير
فى حبوتيه اذا استقبلته ملك * مقدس الروح الا أنه بشر
أضفى على الدين أبراد الشباب فقل * صديقه البر أو فاروقه عمر
من ادّعى الشرك فى أكرومة معه * فاغلظ عليه وقل للعاهر الحجر
وقل له ماترى فى روضة أنف * وافت ليسقيها من جودك المطر .

(وقال) يمدحه أيضا (خفيف)

ها كها كالجنوب تزجى القطارا * صافح الورد نفحها والعرارا
فى جبين من حالك الحبر تبدى * لك ليلا من طرسه ونهارا
رق ديباجه فراق زلالا * حيث دارت به النواسم دارا
تتلالى من المعانى شموس * فوق صفحيه تخطف الابصارا
خجل الصبح من شكاتى فأهدى * سوسن الخد منه جلنارا
ورآنى بلا عقار فكادت * صفحة منه تستهل عقارا
ورآنى السحاب أصعب حالا * ذات عدم فذاب ماء ونارا
عثر الدهر بى وقد جئتك حرّا * ذاكى الاصل ينعش الاحرار
ان تكن عصمة فانّ عصاما * جده لم يزل يقيل العثارا
قاضى الشرق أشرقتنى بريقى * نائبات يطلبن عندى ثارا
لا لذنب الا لانى أديب * طاب عود منه فكان نضارا
أجتلى درّ ابرف حسنا وان كا * نت ضلوعى تهفو عليه حرارا
حاش لى ان أزفها ثيبات * عنسا بل كواعبا أبكارا
لفحت أضلعى بها فاستهلت * بين كفيك تنشد الاشعارا
طلعت فى أهلة من ضلوع * لى تجلوبها تها اقمارا

ارضعتها

أرضعتها درّ البلاغة منها * أمّهات لم تحتلب أطآرا
وأرتك الرياض منها كمام * جادها النيل وابلا مدرارا
ماعلى بابل لو استقبلتها * فاجتنت من ثمارها الاسحارا
كل خمرية ولم تسق خمرا * تلبس الحسن والدلال خمارا
تذر السامعين يثنون اعطا * فاسكارى وماهم بسكارى
لو تغلغلن فى مسامع رضوى * لانثنى راقصا وخلى الوقارا
ليس فى فسحة من العذر الا * من صباخالعا اليها العذارا
وجهها أجزل المهور فلولا * أنت ما أدلجت بهن المهارا
أبصرتها النجوم أشرق منها * فسرت تخبط الظلام حيارى

(وله) فى فتى وسيم نزل مكانه اسود (طويل)

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم * فها انا اشقى بعدما كنت أنعم
وما هى الا الشمس حان غروبها * فأعقبها قطع من الليل مظلم

(وله) فى غلام أزرق (كامل)

ومهفهف أبصرت فى أطواقه * قمرا بآفاق المحاسن يشرق
تقضى على المهجات منه صعدة * متألق فيها سنان أزرق

(وقال يرثى) (طويل)

أيا واقفا والترب بينى وبينه * ترحم على قبر الحبيب وسلم
وقل انه قبر تضمن أعظما * رمام عريق فى الندى والتكرم
أتى يومه من دون شرخ شبابه * ولم يقض منه حاجة المتلوم

(وقال) فى ابنة ماتت له (وافر)

ألا ياموت كنت بنا رؤفا * فجددت الحياة لنا بزوره
حمادلفعلك المشكور لما * كففت مؤنة وسترت عوره
فأنكحنا الضريح بلا صداق * وجهزنا الفتاة بغير شوره

(وله) يصف نجما جرى فى السماء وترك وراءه مستطيل ضياء (بسيط)

وكوكب أبصر العفريت مسترقا * للسمع فانقض يذكى اثره لهبه
كفارس حل احضار عمامته * فجرها كلها من خلفه عذبه

(وله) (طويل)

وليل كأن الدهر أقصى بعمره * جميعا اليه فانتهى فى ابتدائه
يحدث بعض القوم بعضا بطوله * ولم يمض منه غير وقت عشائه
تكاثف ظل الغيم فيه فلم يكن * به العين تدرى أرضه من سمائه
اذا افتر فى استبعاده برق دجنة * حكى حبشيا ضاحكا من بكائه
ضربت بسيف العزم عنق ظلامه * وضرجت بردى نحره من دمائه
ولم أر لابن الهم أشفق من السرى * اذا مات رفق العزم مات بدائه
وانى لالقى كل وجه بجنسه * ولا عجب والماء لون انائه

(وله) (كامل)

ان كنت تستشفى بأنفاس الصبا * فالمسك من أنفاسها يتنسم
وأتتك عاطرة النسيم كأنها * رسل الحبيب أتتك عنه تسلم
والجو يلبس للغمام مطارفا * منها على عطفيه برد أسحم
أوحى الى روض الثرى بتحية * وبكى فأقبل نورها يتبسم
واستعجلته الارض صنعة بردها * فيد تحوك بها وأخرى ترقم

(وله) (كامل)

النهر قد رقت غلالة صبغه * فعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنه * عكن الخصور تهزها الاعجاز

(وله) (بسيط)

مالى السفرجل شئ يستطار به * ولا تكن منه مطويا على وجل
انى نظرت الى تصحيف أحرفه * فانفك منهن لى تب تفرج لى
ولم أقل سفرجل البلاء به * أو حل منه وقوع الحادث الجلل

(وله) (كامل)

عابوا الجهالة وازدروا بحقوقها * وتهافتوا بحديثها فى المجلس
وهى التى ينقاد فى يدها الغنى * وتجيئها الدنيا برغم المعطس
ان الجهالة للغنى جذابة * يجذب الحديد حجارة المغنيطس

(وله يمدح الامير أبا بكر بن ابراهيم) فى نوروز سنة ٤٩٩ (سريع)

طاف بأكواس مسراته * ما بين ريحان مسراته
وراح فى ابراد ايناسه * ثانى عطفى أريحياته

قل لابى يحيى امام الهدى * محيى الندى جامع اشتاته
رعاه من فى الارض سلطانه * ودونه حجب سمواته
ياملكا أيامه لم تزل * تجرى على وفق اراداته
ومن بكفى عزمه صارم * يخاف صرف الدهر هناته
أصلته التوفيق فى كفه * فابتهج الدين لاصلاته
واقبل الفتح له رائدا * والنصر معقودا براياته
واتصل الانس بآصاله * واقترن الروح بروحاته
وانما الدهر له خادم * منتقد لمح اشاراته
قد صارت الشمس الى جريها * واستقبل اليوم بآداته
وأشرف النيروز فاستشرفت * لى الامانى نحو عاداته
فى شارق ابرز مشبوبة * أشرق منها ليل مشتاته
يريك خد الورد كانونها * معصفرا فى غير أوقاته
روض اذا الريح هفت نضنضت * مذهبة ألسن حياته
عقارب الشتوة مقبولة * بالشمس منها حول حافاته
لما بدت فى ابنوسيها * ونورها عسجد ياقوته
منمنما فى صفح كافورها * واوات همز ولاماته
علمت أن الحسن منها نوى * يبدى لنا معجز آياته
كانما النارنج أبدى لنا * وجنته عند مجازاته
أوهى شدت عقد أزراره * حتى التظى خامد حياته
فى مجلس يختال عطف المنى * فى رفرف من عبقرياته
زبرجد النبت على ساقه * ولؤلؤ الطل بلباته
والثلج كالهندب فى كرسف * تحلبه أيدى غماماته
أوزهر من دوحه ساقط * قد هامت الريح بهاماته
سقوط جدواك على آمل * همت بتكثير عطياته
فعاد يغشى طرف حساده * بياض نعمان بساحاته
رددت فى جسم الندى روحه * حتى غدا املا ملاآته
وزار بالغيث الى أن ثنا * بعث سحاب صوب ملماته

في بلد منذ تبوأته * جر سرابيل مسراته
وكف عنا كفه حادثا * آلمناس ملماته
لاحظه الله بعين الرضا * فانفتحت أبواب جناته
وأصبح الجامد من صخره * والروح يجري في جماداته
بوأ الله بفرد وسه * رضوانه خازن جناته
لازلت معضودا بتأييده * ظلا على أرض برياته

وله) يمدح أبا العلاء بن زهر (كامل)

للرزق أسباب ومن أسبابه * اعمال ناجية وشد حزام
حرف كأني فوق عوج ضلوعها * ألف أقيمت فوق عطفة لام
وكأن زورتها ربابة ياسر * لزت بأربعة من الازلام
لم يبق منها نصفها الاسفل * كالريح تمسكه يدى بزمام
من نام عن حاجاته لم يلقها * الابواسطة من الاحلام
شيئان في الاسفار يكتنفانها * كسب الخطير وصحة الاجسام
لا أم لي ان لم أيمم مسلكا * يهدى الحياة الى فيه حمامى
فالعذب يأجن طعمه مالم يكن * ينساب بين أباطح وآكام
والعضب يدركه الصدا مالم يبل * في كل معركة بضرب الهام
خيمت من حنق بأرض مضيعة * والرأى خلفي والهوى قدامى
حتى رأيت العجز أودى بى كما * أودى الغرام بعروة بن حزام
أكل الخمول بها بنات خواطرى * أكل الوصي ذخائر الايتام
يادهر دعوة من يؤمل أن يرى * بعلاك منتصفا من الأيام
فأنيل مجدك نلته عن آدم * وسمو قدرك حزته عن سام

وله أيضا (كامل)

يا من رمى عرضى بعقلة أشرس * وقد امتلا ضلفا على وريده
لا تعجبن بحسن وجهك انه * وال بعزلته يحث بريده
كم قد رأت عيناى مثلك واليا * للحسن تنتهب القلوب جنوده
الدهر طوع يديه والدنيا له * أمة وأحرار الانام عبيده
زحف العذار اليه في جيش له * ملأت أساوده الملا وأسوده

فرأيت

فرأيت رونق وجهه وجماله * بيد الشحوب طريفه وتليده

وله أيضا (كامل)

يا شادنا ترك الاراك بمعزل * ورعى سويداء القلوب أراكا
حجبوك عن بصري فصرت برغمهم * بسجنجل الفكر الصقيل أراكا
فسوجعلت سواد قلبي برجه * وحنى أضلاعي له أفلاكا

وله يصف بركة (بسيط)

لله مسجورة في شكل ناظرة * من الازاهر أهداب لها وطف
فيها سلاحف ألهاني تقاعسها * في مائها ولها من عرمض لحف
تنافر الشط الاحين يحضرها * برد الشتاء فتستدلي وتنصرف
كأنها حين يبديها تصرفها * جيش النصارى على اكتافها الجحف

(الاديب أبو جعفر الاعمى التليطلي رحمه الله تعالى)

له ذهن يكشف الغامض الذي يخفى ويعرف رسم المشكل وان كان قد عفا أبصر الخفيات بفهمه وقصر فهمه على خاطره ووهمه فجاء بالنادر الذي أعز وعطل التطويل بالمقتضب الموجز وتعلم أخبار الامم المفترقة في لبة القريض واسمعها أطرب من نغم معبد والغريض وكان بالاندلس سرا للاحسان ومزريا على زياد وحسان الا انه اختصر حين احتضر واغتبط عندما استبشر به واغتبط فلم يطل زمانه ولم يمطل دهرا كان عنانه وأغفل الاوان من وسمه وأثكل لفقد اسمه فأصبحت نواظر الآداب بعده رمدة ونفوسها متوجعة كمدة وقد أثبت له ما يبهر سامعه ويثني اليه الاحسان مسامعه فمن ذلك قوله (بسيط)

ملت حمص وملتني ولو نطقت * كما نطقت تلاحينا على قدر
وسولت لي نفسي ان أفارقها * والماء في المزن أصفى منه في الغدر
أما اشتفت مني الايام في وطني * حتى تضايق فيما عز من وطري
ولا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكر على ما كان في الشعر

وله من قصيدة (وافر)

سطا أسدا وأشرق بدر تم * ودارت بالحتوف رحى زبون
وأحدقت الرماح به فأعيا * على أهالة هي أم عرين

وله يتغزل (بسيط)

هو الهوى وقديما كنت أحذره * السقم مورده والموت مصدره
يالوعة وجلا من نظرة أمل * الآن أعرف رشدا كنت أنكره
جدّ من الشوق كان الهزل أوّله * أقل شئ اذا فكرت أكثره
ولى حبيب دنا لولا تمنعه * وقد أقول نأى لولا تذكره :

واغتيل فتى من فتيان اشبيلية ليلا وجرت الايام اليه حربا وويلا فأصبح قتيلا قد قضى نحبه ومضى وما ودع صحبه وكان معروفا بوجود موصوفا بكرم وجود يبارى بهما وابل القطر مع كونه عينا من أعيان القطر وكان لابى جعفر هذا كثير الافتقاد جميل الرأى فيه والاعتقاد يذيله فى كل وقت ويزيله عن مواقف كل خزى ومقت فقال يرثيه (طويل)

خذا حدّثانى عن فل وفلان * لعلى أرى باق على الحدثان
وعن دول حسن الديار وأهلها * فنين وصرف الدهر ليس بفان
وعن هرمى مصر الغداة أمتعا * بشرخ شباب أم هما هرمان
وعن نخلتى حلوان كيف تناءتا * ولم تطويا كشحا على شنآن
وطال ثواء الفرقدين بغبطة * أما علما أن سوف يفترقان
وزايل بين الشعريين تصرف * من الدهر لاوان ولامتوان
فان تذهب الشعرى العبور لشانها * فان الغميصا فى بقية شان
وجنّ سهيل بالثريا جنونه * ولكن سلاه كيف يلتقيان
وهيهات من جور الزمان وعدله * شآمية ألوت بدين يمان
فأجمع عنها آخر الدهر سلوة * على طمع خلاه للدبران
وأعلن صرف الدهر لابنى نويرة * بيوم تناء غال كل تدان
وكانا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر لو لم تنصرم لأوان
وهان دم بين الدكادك فاللوى * وما كان فى أمثالها بمهان
فضاعت دموع بات يبعثها الاسى * يهيجه قبر بكل مكان
ومال على عبس وذبيان ميلة * فأودى بجينىّ عليه وجان
فعوجا على جفر الهباءة فاعجبا * لضيعة أعلاق هناك ثمان
دماء جرت منها التلاع بملئها * ولادخل الان بجرى فرسان
وأيام حرب لاينادى وليدها * أهاب بها فى الحىّ يوم رهان

فاب

فآب ربيع والكلاب تهزه * ولا مثل مود من ورامعان
وافضى على ابنى وائل فتهاصرا * غصون الردى من كرة ولدان
تعاطى كليب فاستمر بطعنة * أقامت لها الابطال سوق طعان
وبات عندى بالذنائب يصطلى * بنار وغى ليست بذات دخان
فذلت رقاب من رجال أعزة * اليهم تناهى عز كل زمان
وهبوا يلاقون الصوارم والقنا * بكل جبين واضح ولبان
فلا خد الا فيه حد مهند * ولا صدر الا فيه صدر سنان
وصال على الجونين بالشعب فانثنى * باسلاب حطلول ورتبقة عان
وأمضى على أبناء قيلة حكمه * على شرس أدلوا به وليان
ولو شاء عدوان الزمان ولم يشأ * لكان عذير الحى من عدوان
وأى قبيل لم يصدع جيعهم * ببكر من الاوزاء أو بعوان
خليلى أبصرت الردى وسمعته * فان كنتما فى مرية فسلانى
خذا من فتى هلا وسوف فاننى * أرى بهما غير الذى تريان
ولا تعدانى أن أعيش الى غد * لعل المنايا دون ما تعدانى
ونبهنى ناع من الصبح كلما * تشاغلت عنه عن لى وعنانى
أغمض أجفانى كأنى نائم * وقد لجت الاحشاء فى الخفقان
أباحسن أما أخوك فقد مضى * فوا طول لهفى ما التقى اخوان
أباحسن احدى يديك رزيتها * فهل لك بالصبر الجميل يدان
أباحسن أغر المذاكى شزّبا * تجز الى الهيجاء كل عنان
أباحسن ألق السلاح فانها * منايا وان قال الجهول أمانى
أباحسن هل يدفع المرء حينه * بأيد شجاع أو بكيد جبان
أباحسن ان المنايا وقيتها * اذا أتلفت لم تتبع بضمان
أقول كأنى لست أحفل وانبرت * دموعى فأبدت ما يجن جنانى
أباحسن ان كان أودى محمد * وهيهات عدوى فيك من رسفان
أجدك لم تشهده اذا أحد قوابه * ونادى بأعلى الصوت يال فلان
توقوه شيأ ثم كروا وجمجموا * بأروع ضفضاض الرداء هجان
أخى عزمات لا يزال يحثها * بحزم معن أو بعزم معان

رأى كل ما يستعظم الناس دونه * فولى غنيا عنه أو متغانى
فتى كان يعروري الفيافي والدجا * ذوات جماح أو ذوات حران
تداعت له أبيات بكر بن وائل * ولم ترجحنه لا ظفرت ببنان
بنفسي وأهلي أي بدر دجنة * لبست تخلت من دهره وثمان
وأي أبي لا تقوم له الربا * ثنى عزمه دون القرارة ثان
وأي فتى لو جاءكم في سلاحه * متى صلتت كفيه يرنان
يقولون لا يبعد ولله دره * وقد حيل بين العير والنزوان
ويأبون الا ليته ولعله * ومن أين للمقصوص بالطيران
رويد الاماني ان رزء محمد * عدا الفلك الاعلى عن الدوران
وحسب المنايا أن تفوز بمثله * كفا ولو اخطأنه لكفاني
سقاك كدمعي أو كجودك وابل * من المزن بين السح والهملان
شآبيب غيث لا تزال ملثة * بقبرك حتى يلتقي الثريان
أبا حسن وف اعتزاءك حقه * فقد كنتما أرضعتما بلبان
عزاءك عليلا لست أول مبتلي * ببين حبيب أو بغدر زمان
أما كنتما والشواكل جمة * لو انكما بالناس تأتسيان
أذيلا مصونا وابرزا وتجلدا * ولا تأخذا الاعيا تدعان
وعودا على الباقي الخلف منكما * بفضل حنو منكما وحنان
غذاه فطماه الى كنفيكما * فانهما للمجد مكتنفان
سدى ليس يدري ما السرور وما الاسى * محيل على ضعفي يد ولسان
لعلكما أن تستظلا بظله * غدا ان هذا الدهر ذو ضربان
لشعركما السلوان ان محمدا * مجاور حور في الجنان حسان

وقال يمدح القاضي أبا الحسن علي بن القاسم بن عشيرة بقصيدة منها (بسيط)

كم مقلة ذهبت في الغي مذهبها * بنظرة هي شان أو لها شان
وهن باضغاث أحلام اذا هجعت * وربما حلمت والمرء يقظان
فانظر بعقلك ان العين كاذبة * واسمع بحسك ان السمع خوان
ولا تقل كل ذي عين له نظر * ان الرعاة ترى ما لا ترى الضان
دع الغنى لرجال ينصبون له * ان الغنى لفضول الهم ميدان

واخلع

واخلع لبوسك من شح ومن أمل * لا يقطع السيف الا وهو عريان
وصاحب لم أزل منه على خطر * كأنني علم غيب وهو حسبان
أغرله خطأ تو بناه وأخطأ نى * أما درى ان بعض الرزق حرمان
وغرّه ان وله قد تقدّمنى * كما تقدّم بسم الله عنوان

ومن مديحها

ان استجرت على ريب الزمان فتى * الا يكن ليث غاب فهو انسان
حسبى بطيا على معقلا أشبا * زمان سرى به فى الامن أزمان
صعب المراقى ولكن ربما سهلت * على المنى منه أوطار وأوطان
الواهب الخيل عقبانا مسوّمة * لو سوّمت قبلها فى الجوّ عقبان
من كل ساع امام الريح يقدمها * منه مهاة وان شاءت فسرحان
دجنة تصف الانوار غرّتها * ونبعة يدّعى أعطافها البان
غصا جذبية الاماأ تيح لها * من أمر موسى فجاءت وهى ثعبان

ومنها فى صفة السيف

هيم رواه لوان الماء صافحها * لزال أو زلّت عنها وهو ظمآن
يكاد يعلق مهراق الدماء بها * فلا تقل هى أنصاب وأوثان
موق فان خلعت أكفانها علمت * أن الدروع على الابطال أكفان
نفسى فداؤك لا كفؤ ولا ثمنا * ولو غدا المشترى منها وكيوان
والتبر قدر ونوع والحديد كما * ساوى ولكن مقادير وأوزان

وله يتغزل (كامل)

بجبلة عصيانى عليك عواذلى * ان كانت القربات عندك تنفع
هل تذكرين لياليا بتنا بها * لا أنت باخلة ولا أنا أقنع

وله يرثى (كامل)

سل دمعى المبذول هل من حيلة * لى أو له فى نومى الممنوع
وحنينى الموصول كيف تعرّضت * شبهاته لرجائى المقطوع
لا تركننّ الى الزمان وصرفه * فتلك الزمان بآمن ومروع
ودع الاحبة والدنوّ أو النوى * ما أشبه التسليم بالتوديع
يا والنيا بأبى على ما فاته * ان الونى طرف من التضييع

ومدا جبانفذ الخديعة جنة * الا انفت لرأيك المخدوع
دافع بعنزمك أو بجهدك انها * عزمات حكم ليس بالمدفوع
وانظر بعينك أو بقلبك هل ترى * الا صريعا أو مثال صريع
ابنى عبيد الله أين سراتكم * من عاثر بعثاته المخلوع
دهر كأن صروفه قد جمعت * من نثر منتظم وشت جميع
يهنى البقيع وليته لم يهنه * قبر غدا شرفا بكل بقيع
بجباله وسع المكارم والعلا * ودعا له الداعون بالتوسيع
واذا عجبت من الزمان لحادث * فلتابع يبكى على متبوع
واذا اعتبرت العمر فهو ظلامة * والموت منها موضع التوقيع

وله فى المعنى (بسيط)

اليوم حين لففت الجند فى كفن * نفسى الفداء على أن لات حين فدا
ياحسرة نشأت بين الضلوع جوى * ما ضر لاعجها أن لايكون ردا
فى ذمة الله قبر ما مررت به * الا اختبلت أسى ان لم أمت كمدا
أودى الزمان وكيف اسطاعه بفتى * قد طال ماراح فى اتباعه وغدا
ملء القلوب جلالا والعيون سنا * والحرب بأسا واكناف الندى ندى
من لا يقدم فى غير العلا قدما * ولا يمد لغير المكرمات يدا
كأنه كان ثارا بات يطلبه * حتى رآه فلم يعدل به أحدا
يا يوم منعى عبيد الله أى أسى * بين الجوانح يأبى ان يجيب ندا
وأى غرب مصاب لايكفكفه * دمع الهتون ولا أنفاس الصعدا
ولا البلابل من مثنى وواحدة * باتت تسل سيوفا أو تسن مدى
ولا الهموم وقد أعيت طوارقها * كأنما بتن لى أو للدجا رصدا
قل للدجا وقد التفت غياهبها * فلو تصوب فيها الماء ما اطردا
ان الشهاب الذى كنا نجوب به * أحوازها قد خبا فى الترب أو خمدا
لهفى ولهف المعالى جازنى وبها * صرف الردى وأرانا آية قصدا
يا صاحبى ولا بحبكما ظمأ * طال الحيام وهذى أدمعى فردا
أجدها قد عداها بعد أوبته * عن أن تهيم بذكراه أو نجدا
وجد ثانى عن العلياء وقد رزئت * مسنونها اللذ أو مفقولها الفردا

آه لهاو يزنه ثم قد علمت * أن لا تنال به عقلا ولا قودا
هل نافعي والاماني كلها خدع * قولي له اليوم لا تبعد وقد بعدا
وهل تذم هذا الرزء من قلق * قلم المصاب به أضعاف ما قعدا
أماو يوم عبيد الله وهو أسي * لقد تخير هذا الموت وانتقدا
يا ماجدا أنجز العلياء موعده * اليوم أنجز فيك الموت ما وعدا
ان الفؤاد الذى مازلت تعمره * قد ريع بعدك حتى صار مفتأدا
بسل المنايا على علم وتجربة * فى أى شئ يبقى الانسان أوحدا
تنافس الناس فى الدنيا وقد علموا * ان سوف تقتلهم لذاتها بددا
تبادروها وقد آذتهم فشلا * وكاثروها وقد أحصتهم عددا
قل للمحدث عن لقمان أولبد * لم يترك الموت لقمانا ولا لبدا
ولا الذى همه البنيان يرفعه * ان الردى لم يغادر فى الثرى أسدا
ما لابن آدم لا تفنى مطالبه * يرجو غدا وعسى أن لا يعيش غدا

(الاديب أبو بكر يحيى بن تقى أبقاه الله تعالى)

رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض أظهر بدائعه وأظهر روائعه وصار عصيه طائعه اذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى بأحسن من رقم البرود ضنا عليه حرمانه وما صفا له زمانه فصار قعيد صهوات وقاطع فلوات مع توهم لا يظفر بامان وتقلب ذهن كوا هى الجمان وقد أثبت من قوله ما يستحلى ويتزين به الزمان ويتحلى فمن ذلك قوله (بسيط)

عندى حشاشة نفس فى سبيل ردى * ان سمتها اليوم لم أمطل بها لغد
وكيف أقوى على السلوان عنك وقد * ربيت حبك حتى شاب فى خلدى
خذها وهات ولا تمزج فتفسدها * الماء فى النار أصل غير مطرد

وله (طويل)

وقالوا ألا تبكي فقلت مطيهم * على الشهب يحملن الخرائد كالدمى
لئن بعدت منى الدموع تقاصروا * وقالوا أسلا ولم يكن قبل مغرما
فهلا أقاموا كالبكاء تنهدى * اذا ما بكى القمرى قالوا ترنما

وله (كامل)

عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لناشق

حتى اذا ما الشيب منه الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقى
أبعدته عن أضلع بشيقة * كيلا ينام على وساد خافق

وله (طويل)

الى الله أشكوها نوى أجنبية * لها من أيها الدهر شيمة ظالم
اذا جاش صدر الارض بى كنت منجدا * وان لم يجش بى كنت بين التهائم
أ كل بنى الآداب مثلى ضائع * فأجعل ظلمى اسوة فى المظالم
ستبكى قوافى الشعر ملء جفونها * على عربى ضاع بين أعاجم

وله من قصيدة (طويل)

هو الشعر أجرى فى ميادين سبقه * وأفرج من أبوابه كل مبهم
وسل أهله عنى هل امتزت منهم * بطبعى وهل غادرت من متردم
سلكت أساليب البديع فأصبحت * بأقوالى الركبان فى البيد ترتمى
وربتما غنى به كل ساجع * يردده فى شجوه والترنم
وضيعنى قومى لانى لسانهم * اذا أفحم الاقوام عند التكلم
وطالبنى دهرى لانى زنته * وانى فيه غرة فوق أدهم

وله من قصيدة أخرى (بسيط)

صبحت كل مريم فى قلرية * بغارة أنتجتها الفارس النجد
يثنى الصباح صباح المنذرين بها * ونم غز وأمسى أمرهم رشد
لها الصفايا مع المرباع من نفل * فى طيه سيد الكفار والبلد
قالوا العلى ظباء أقبلت سنحا * الى خمائل ترعاهن أو ترد
تلك الظباء عراب الخيل دونكم * نهد وورد وذيال ومنجرد
من كل سابحة طارت بفارسها * كأنها لبوة فى عطفها أسد
تسبيهم الجيش ما امتدت أعنته * كالنار توسع حرقا كلما تجد
فكانت الخيل تطاهم دواهمها * والمشرفية تلقاهم فتنتقد
قطع الرقاب من الاعلاج ان غلبوا * على الحريم وتسعيا للهوى انفرد
اذا رأى ابنته الغيران قد سبيت * مضى يقول ألا لله من يشهد
لما رأوا لنو بحرا الموت ملتطم * ومن حميم المذاكى فوقه زبد
صلوا النسيقك المسلول وانحرفوا * عن الصليب الذى تلقاه سجدوا

وكان

وكان موعدهم والحين أنجزه * لكي تراق دماء بالهبا قود
يوما من القبط يسود السلام به * كأن كل كلام فيه مقتاد
وفاض سيفك نهرا في ظهيرته * فأقبلت نحوه الارواح تبترد

وله من أخرى (بسيط)

اما ترى الليل قد ألهبته شمعا * مثل الكواكب كانت حوله حرسا
من كل ناشرة فرعا لها شعب * عند القيام وأسبال اذا انكمسا

وله من أخرى (بسيط)

وفتية لبسوا الادراع تحسبها * سلخ الاراقم الا أنها ريب
اذا الغدير كسا أعطافهم حلقا * طفا من البيض في هاماتهم حبب

وله من قصيدة (بسيط)

يا أقتل الناس ألحاظا وأطيبهم * ريقا متى كان فيك الصاب والعسل
في صحن خدك وهو الشمس طالعة * ورد يزيدك فيه الراح والخجل
ايمان حبك في قلبي تجدده * من خدك الكتب أو من لحظك الرسل
ان كنت تجهل أني عبد مملكة * مرني بما شئت آتيه وأمتثل
لو اطلعت على قلبي وجدت به * من فعل عينيك جرحا ليس يندمل

وله يستقصد الوزير أبا محمد بن سعيدة رحمه الله (كامل)

قبل الوزير أبي محمد الرضا * وقفا الوقف على العلياء
وعدت معاولتي ساحتي بسحابها * فأنا أشيم بوارق الانواء
واذا مطلت مضت بشاشة منطقي * وذوى قضيب الروضة الغناء

وله في غلام مغن قام يرقص (كامل)

يا أي قضيب البان يثنيه الصبا * عوض الصبا في الروضة الغناء
نادمته مصرا فأمتع مسمعي * بترنم كترنم الورقاء
وكأنما أكمامه في رقصه * تعليل الخفقان من أحشائي
ويخر يلتقط الزجاج بذيله * مر النسيم على حباب الماء

(وله) معاتبا على أهل المغرب وقد ذم عندهم مثواه وصفرت من نائلهم يداه (بسيط)

أقت فيكم على الاقتار والعدم * لو كنت حرا أبي النفس لم أقم

وظلت أبكي لكم عذرا لعلكم * تستيقظون وقد نمتم عن الكرم
فلا حديقتكم يجني بها ثمر * ولا سماء وكم تنهل بالديم
لا رزق عندكم لكن سأطلبه * في الارض ان كانت الارزاق بالقسم
أنا امرؤ ان نبت بي أرض أندلس * جئت العراق فقامت لي على قدم
أين الرجا والعلا من حازم يقظ * يغزو أعاديه في الاشهر الحرم
ان كان سهما فلا تنمى رميته * أو كان سيفا فمفلول على البهم
ما العيش بالعلم الا حيلة ضعفت * وحرفة وكلت بالقعدد البرم
لا يكسر الله متن الرمح ان نبه * نيل العلا وأتاح الكسر للقلم
ولا أراق دما من باسل بطل * ومات كل أديب عبطة بدم
أوغلت في المغرب الاقصى وأعجزني * نيل الرغائب حتى أبت بالندم

ومنها

وساقط نال من عرضي فقلت له * اليك عني فليس السب من شيمي
أعرضت عنه ولو أني عرضت له * سقيته حمة الافعى من الكلم

وله من أخرى (وافر)

ولي همم ستقذف بي بلادا * نأت اما العراق أو الشاما
وألحق بالاعاريب اعتلاء * بهم وأجيد مدحهم اهتماما
لكيما تحمل الركبان شعري * بوادي الطلح أو وادي الخزامى
وكيما تعلم الفصحاء أني * خطيب علم السجع الحماما
وقد أطلعتهن بكل أرض * بدورا لا يفارقن التماما
فلم أعدم واياها حسودا * كما لا تعدم الحسناء ذاما

وله من أخرى (طويل)

أخلاي والآداب تجمع بيننا * وبعض طباع لست أقضي على كل
ذوي أملي عند اهتزاز غصونه * وأرخصني الدهر الذي كان بي يغلي
مني النفس في حصن وحصن لذي الحجا * فروك لامر ما تصد عن البعل
نبت بي كما ينبو الجبان بنصله * ويحمل ما يأتيه ذنبا على النصل
وأيأسني من كل خير رجوته * كثير وما شاحت في الكثر والقل
أناس كما شاء الزمان ولا كما * تشاء المعالي عقدهم بيد الحل

ازورهم

أزورهم لا للوداد وقد دروا * فيلقونني بين التودد والغل
وأمدحهم يا حسبي الله كاذبا * فيعزونني بالمنع شكلا الى شكل
وما نقموا مني سوى بعد همتي * وأني أخيرا جئت أخلف من قبلي

وله من قصيدة يمدح بها أبا العباس بن علي رحمه الله تعالى (بسيط)

ونوبة من صهيل الخيل يسمعها * بالرمل أطيب ألحانا من الرمل
لا ينفذ العزم الا أن ينفذه * والسيف يكهم الا في يد البطل
يا كوكبا يغرق العافون في دفع * منه وتحترق الاعداء في شعل
تهويمة في بساط البيد يجعها * أشهى اليه من التهويم في الكلل
لا يدرك الناس لو راموا ولو جهدوا * بالريث بعض الذي أدركت بالعجل

(الاديب أبو العلاء بن صهيب رحمة الله عليه)

نبيل المنازع جميل المنازع كريم العهد ذو خلائق كالشهد كثير الافتنان جار في ميدان الذكاء بغير عنان (طويل)

وكالسيف ان لاينته لان متنه * وحداه ان خاشنته خشنان

مع نخوة متأصل وفهم الى كل غامض متوصل شقي بأبي أمية أوانا ولقي كل من صاحبه خزيا وهوانا ثم استلفا بقلوب دغلة وضمائر نغلة واخلاق متنافرة ونفوس بعضها ببعض كافرة وله فيه أهاج مقذعة وأقوال مستبشعة أضربت عن ذكرها وصنت كتابي عن نكرها وقد أثبت من بدائعه نكتا يباهي بغرائبها وتنتظم في لبات الايام وترائبها فمن ذلك قوله يمدح أبا أمية رحمه الله (طويل)

ذكرت وقد نم الرياض بعرفه * فأبدى جمان الطل في الزهر النضر
حديثا ومرأى للسعيد بروقني * كما راق نور الشمس في صفحة الدهر
سريت وثوب الليل أسود حالك * فشق بذاك السير عن غرة البدر
فلا أفق الا من جبينك نوره * ولا نفس الا في أنامك العشر
حنانيك في بر النفوس لعلها * تردبلثم الكف عارفة البر
وعندي حديث من علاك علقته * يسير كما سار النسيم على الزهر
فيبلغ أقصى الارض وهي عريضة * ويهدي جني نور من الروضة الشعر
ففي كل أفق من حديثك عاطر * يسير به لفظي ويطلعه فكري

ودونك مني قطعة الروض قطعة * تحيبك عن ودّي وتنفح عن شكري
ولقيني في أحد أسفاري الى ذلك الافق وأنا في جملة من حملة البيان ولمة من نبهاء الاعيان فأومأ الى الترجل فمنعته وأقطعني من البر مثل ما أقطعته فقال (طويل)

سلام كما فاح العبير لناسم * عليك أبا نصر خلال النواسم
أحيي به ذاك الجلال وانما * أحيي به شخص العلا والمكارم

(وله الى ذي الوزارتين الكاتب أبي بكر بن القصيرة) وكانت بينهما مودة متناً كدا ومع بلى الايام متجددة على نأي دارهما وبعد قطبهما من مدارهما وكثيرة ما كان يرفهه عن المعونة بعنايته ويتركه الرتبة المصونة من حمايته تحلا على شاكلة الجلال وانصافا لمشاكلة الخلال (طويل)

كتبت على وشي فيزا بطالب * رضى الدوطولا من نهاك بأحرف
أباهي بها عبد الحميد براعة * وأحلها حلى الغريب المصنف

وله اليه (كامل)

نافس فديتك في ذمام المنعم * وكن العلاء وحج ذاك الموسم
فالدهر يخدم ان وصلت بجده * والجد ينفح عن خطير أعظم
أهدى على نأى المزار عناية * ونعت بذكري فوق زهر الانجم
فوصلت بين عز الذمام أمانيا * وكفت في نيل المراد بمقدم
فعلي في شكر الملاذ أليه * وقفت على شكر الملاذ تيممي

ولما طوى أبا بكر مقدور حمامه وخوى نجم اهتباله به واهتمامه عاد الى المغرم فقال قول النجز المبرم (متقارب)

لئن كان ينقص أعلاله * فان المعونة لا تنقص
تحكم زمر يعابلاونية * وكل طمريد بهما ينقص

(الاديب أبو القاسم بن العطار رحمه الله تعالى)

أحد أدباء أشبيلية ونحاتها القامرين لارجاء المقارف وساحاتها لولا مواصلة راحاته وتعطيل بكره وروحاته وموالاته للفرج وتغالاته في عرف لا نس أو أرج لا يقترح الاعلى ضفة نهر ولا يلهج الا بقطعة زهر ولا يحفل بملام ولا ينتقل عن المدام الا في طاعة غلام ناهيك من رجل خلوع العنان في ميدان

الصبابة

الصبابة مغرم بالمحاسن غرام يزيد بصبابة لا تراها الا في دعة انهماك ولا تلقاه الا في ملة انتهاك رافع الرايات الهوى قارع الثنيات الجوى لا يقفر فؤاده من كاف ولا يبيت الا وهو تلف أكثر خلق الله علاقة وأحضرهم لمشهد خلاقة مع جزالة تحرك السكون وتضحك الطرف الوكون وقد اثبت له ما يرتجله في أوقات أنسه وساعاته ويتفتق به أشباه قرانه ولوعاته فمن ذلك ما قاله في يوم ركب فيه النهر على عادة انكشافه وارتضاعه لثغور اللذات وارتشافه (طويل)

ركبنا على اسم الله نهرا كأنه * حباب على عطفيه وشي حباب
والاجسام جال الغيث فرنده * له من مديد الظل أي قراب

وله في ذلك اليوم (طويل)

عبرنا سماء النهر والجو مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس في تلك البرود رقوم

وله فيه (كامل)

لله بهجة منزه ضربت به * فوق الغدير رواقها الانسام
فمع الاصيل النهر درع سابغ * ومع الضحى يلتاح فيه حسام

وله فيه (طويل)

مررنا بشاطي النهر بين حدائق * بها حدق الازهار تستوقف الحدق
وقد نسجت كف النسيم مفاضة * عليه وما غير الحباب لها حلق

وله فيه (خفيف)

هبت الريح بالعشي فحاكت * زردا للغدير ناهيك جنه
وانجلى البدر بعد هدء فصاغت * كفه للقتال منه أسنه

وله فيه (كامل)

مالي على سطوات الدهر من جلد * ألقيت نحو تباريح الهوى بيدي
جليت عن منهل السلوان في رشا * بجيده حلية من صنعة الغيد
مذ قادني طرفه للحين أعلمني * ان العيون لها قتلي بلا قود

وله يخاطبني وقد رحلت الى قرطبة (وافر)

كتبت اليك يا رب الكتابه * حروفا خطها قلم الكآبه
وبين جوانحي للشوق نار * تجول بين أجفاني سحابه

لئن تاهت بك الدنيا بهاء * لقد هامت بك العليا صبابه
ولو رفعت عيون المجد بندا * تلقى منها رايتها عرابه
بقرطبة البيان تعب عبا * وليس بحمصنا منه صبابه
عبرت الى المكارم بحر بيد * على وجناء سارية سحابه
وأما حمص منذ رحلت عنها * فبأى وجهها الا كآبه

وله يصف عشية انس (كامل)

ما كالعشية فى رواء جمالها * وبلوغ نفسى منتهى آمالها
ماشئت شمس الارض مشرقة السنا * والشمس قد شدت مطى رحالها
فى حيث تنساب المياه أراقما * وتعبرك الافياء برد ظلالها

وله متغزلا (كامل)

هب النسيم مع العشى فشاقنى * اذ كان من جهة الحبيب هبوبه
وكأنه اذهب من تلقائه * عرف القرنفل والعبير يشوبه
قد كنت ودعت الصبا وادعه * وأخو الصبابة لا تفيق ندوبه
فدعا الهوى لى دعوة لم أعصها * والصب راحة قلبه تعذيبه
لولم أجب داعى الهوى وعصيته * لغدت جفونى بالدموع تجيبه

وله أيضا (كامل)

لله حسن حديقة بسطت لنا * منها النفوس سوالفا ومعاطف
تختال فى حلل الربيع وحليه * ومن الربيع قلائد ومطارف

(وله) متشكيا من وجده وغرامه متبكيا اطلاله وآرامه على عادته فى بوحه وبحيته فى عويله ونوحه (بسيط)

لا بد للدمع بعد الجرى أن يقفا * وهبه سال فؤادى عنده أسفا
ولى غزال اذا ما دفت غرته * جنيت من وجنتيه روضة أنفا
كالبدر مكتملا كالظبى ملتفتا * كالروض مبتسما كالغصن منعطفا
ماهمت فيه ولا هام الانام به * حتى غدا الدهر مشغوفا به كلفا
أيرتضى الفضل أن أطوى على حرق * وفى هراشفه اللعس الشفا شفا
ما صافح الروض كف المزن ترمقه * الا أرتنا به من خطه صحفا

وله فى مثله (طويل)

ألا يا نسيم الريح بلغ تحيتي * فمالي الى الفي سواك رسول
وقل لعليل الطرف عنى بأننى * صحيح التصابى والفؤاد عليل
أينشر ما بيني وبينك في الهوى * وسرك في طى الضلوع قتيل

وله في مثله (كامل)

بأبى غزال ساحر الاحداق * مثل الغزالة في سنا الاشراق
شمس لها فوق الجيوب مشارق * ومغارب بجوانح العشاق
نثر العقيق ونظم در رائق * في مرشفيه وثغره البراق
عقد من السحر الحلال بلفظه * وبها تحل معاقد الميثاق
هلا وقد مدت اليه ضراعتى * يدها تضاخفها يد الاشفاق
ديم الغمام برعدها وبرقها * كاثرتها بسحائب الاشواق
ما أدمعى تنهل سحا انما * هى مهجتى سالت على الآماق

وله (بسيط)

الحب تسبح في أمواجه المهج * لومد كفا الى الغرقى به الفرج
بحر الهوى غرقت فيه سواحله * فهل سمعتم ببحر كله لجج
بين الهوى والردى في لحظه نسب * هذى القلوب وهذى الاعين الدعج
دين الهوى شرعه عقل بلا كتب * كما مسائله ليست لها حجج
لا العدل يدخل في سمع المشوق ولا * شخص السلو على باب الهوى يلج
كأن عيني وقد سالت مدامعها * بحر يفيض ومن آماقها خلج
جار الزمان على أبنائه فغدت * تغتال أعمارنا الآصال والدلج
بين الورى وصروف الدهر ملحمة * وانما الشيب في هاماتهم رهج

وله يتغزل (كامل)

رقت محاسنه وراق نعيمها * فكأنما ماء الحياة أديمها
رشأ اذا أهدى السلام بمقلة * ولى بلب سليمها تسليمها
سكرى ولكن من مدامة لحظه * فاغضض جفونك فالمنون نديمها

(وله في الوزير الاجل أبي حفص الهوزني) رحمه الله وقد مات بنهر طلبيرة عند افتتاحها قصيدة طويلة منها (طويل)

وفى كفه من مائع الهند جدول * عليه لارواح العداة تحوم

جيش المسدى بين الجوانح يلتظى * ونار الوغى بين الاسنة تضرم
وما من كليب غير قلب مدجج * ولا شطن الا الوشيج المقوم
ووجه النصامن ساطع النقع كاسف * بيوم لهزرق الاسنة أنجم
ولما رأوا أن لامفر لسيفه * سوى هامهم لاذوا بأجرأ منهم
فكان من النهر المعين معينهم * ومن ثلم السد الحسام المثلم
فهلا نهى عنه الردى فى زلاله * رداء برقراق القعاقيع معلم
فما لعا البعير غالت ـبة نطفة * وللاسد الضرغام أرداه أرقم

وله يتغزل أيضا (كامل)

ليل يعارضه الزمان بطوله * مالى به الا الاسى من مسعد
نظمت لؤلؤ أدمعى فى جيده * فكانما فيه النجوم الاسعد

وله أيضا (منسرح)

وسنان ما ان يزال عارضه * يعطف قلبى بعطفه اللام
أسلمنى للهوى فواحزنا * ان يزل عقى وإسلامى
لحاظه اسهم وحاجبه * قوس وانسان عينه رامى

(الاديب الحاج أبو عامر بن ينشوت)

رجل حل المشيدات والبلاقع وحكى النسرين الطائر والواقع واستدر خلفى البؤس والنعيم وقعد مقعد البائس والزعيم فآونة فى سماط وأخرى بين درانك وأنماط ويوما فى ناموس وآخر فى مجلس مأنوس رحل الى المشرق فلم يحمد رحلته ولم يعلق بأمل نحلته فارتد على عقبه ورتمن حبالة الفوت الى منتظره ومرتقبه ومع هذا فله تحقق بالادب وتدفق طبع اذا مدح أو نسب وقد أثبت له ما تعلم به حقيقة نفاذه وترى سرعة وخده فى طرق الاحسان واغذاذه

(فمن ذلك) ما كتب به الى يستدعيني بفاس (طويل)

أيا موضع الشكوى أراح نجيها * غوارب آمالى على شواردا
وروضة آداب تعهدها النهى * فأزهارها تجنى تؤاما وفرادا
تهيم بعلياك النفوس جلالة * فتحسد من حب عليك الجواسدا
تناهبت الافكار أنسى ولايد * اذودبها فكرا عن الانس ذائدا
بطارحنى الوسواس حتى كأنما * اساورمنها كل حين أساودا

سوى أنّ قربا منك ان سمحت به * لبال ضنينات وسمن مجاودا
فأجلو عرآئك البهىّ نواظرا * تبيت برغم المجد رمدا سواهدا
هلمّ الى ورد من الانس سائغ * تظل له الآداب هدلا موائدا
برق جناها حكمة وبلاغة * فننظم مقطوعاتها والقصائدا
اذا اشتدت كانت قنا وقنا بلا * وان عزلت كانت طلا وقلائدا
تثير على الايام حربا لعلها * تفيد لنا يوما الى البين فائدا
تتوج بالكاسات منك أناملا * يظل لها تاج ابن ساسان ساجدا
وان أنا واقعت الجفاء فغرم * قد أورده حبّ المعالى الموارد

(وأخبرنى) أنه دخل مصر وهو سار فى ظلم البوس عار من كل لبوس قد خلا من النقد كيسه وتخلى عنه الا تقديره وتنكيسه فنزل بأحد شوارعها لا يفترش الا نكده ولا يتوسد الا عضده وبات بليلة ابن عبدل تهب عليه صرصر لا ينفع منها ضبر ولا صندل فلما كان من السحر دخل عليه ابن الطوفان وأشفق لحاله وفرط المحاله وأعلمه أن الافضل استدعاه ولو أرتاد جوده بقطعة يغنيها له لاخصب مرعاه فصنف له فى حينه (بسيط)

قل للملوك وان كانت لهم هم * تأوى اليها الامانى غير متئد
اذا وصلت بشاهنشاه لى سببا * فلن أبالى بمن منهم نفضت يدى
من واجه الشمس لم يعدل بها قمرا * يعشو الى ضوئه لو كان ذا رمد

فلما كان من الغد وافاه فدفع اليه خمسين مثقالا مصرية وكسوة وأعلمه أنه غناه وجوّد الا طهار للفظه ومعناه وكرره حتى أثبته فى سمعه وقرره فسأله عن قائله فأعلمه بقلته وكلمه فى رفع خلته فأمر له بذلك وكتب الى يستعتبنى (طويل)

كتبت ولو وفيت برّك حقه * لما اقتصرت كفى على رقم قرطاس
ونابت عن الخط الخطا وتبادرت * فطورا على عينى وطورا على راسى
سل الكاس عنى هل أديرت فلم أصغ * مديحك ألحانا يسوغ بها كاسى
وهل نافح الآس الندامى فلم أدع * ثناءك أذكى من منافحة الآس

وله (طويل)

قصدت على أنّ الزيارة سنة * يؤكدها فرض من الودّ واجب
فألفيت بابا سهل الله قصده * ولكن عليه من عبوسك حاجب

مرضت ومرضت الكلام تثاقلا * الى ان خلت انك عاتب
فلا تتكلف للعبوس مشقة * سأرضيك بالهجران اذ أنت غاضب
فما الارض تدمير ولا انت أهلها * ولا الرزق ان أعرضت عنى حاجب

(ورأى على غفارة) وخاتما كلاهما مستغرب فوجه الى فى الغفارة فبعثتها اليه فكتب الى (طويل)

نشقنا من المجد المؤثل نفحة * تزيد على الند المثلث والمسك
وماذا الى الان سألت بجادلى * أبو نصر الاعلى ببرنسه المسكى
ينظم فى جيد المعالى قلائدا * هى الدر للجدوى وعلياه للسلك
اذا ختمت يمناه منى عاطلا * خلعت على اليسرى به خاتم الملك
وان محكت أيدى اللئام بشكرها * محكت فلم أجعل بلاثى ولا محكى

(الاديب أبو الحسن غلام البكرى رحمه الله تعالى)

ذو الخاطر الجائش البارى لنبل المحاسن الرائش الذى اخترع وولد وقلد الاوان من احسانه ما قلد طلع فى سماء الدولة العبادية نجما وصار لمسترق سمعها رجما وكان له فيها مقام محمود وتوقد لم يعره خمود ثم استوفى طلقه ولبس العمر حتى أخلقه وصحب الدولة المرابطية برهة من الزمان لا يألوته ليد فخرها التالى وجمان (وقد أثبت) له ما تستغربه وينير لك به مشرقه ومغربه فمن ذلك قوله من قصيدة أولها (طويل)

ألاحت وللظلماء من دونها سدل * عقيقة برق مثل ما انتضى النصل
أطارت سناها فى دجاها كأنه * تبلج خد حفه فاحم جثل
لدى ليلة رومية حبشية * تغازلنا من شهبها أعين شهل
تود عيون الغانيات لو أنها * اذا مرضت عند الصباح لها كحل
بدت فى حلاها فالتقتنا نجومها * بانجم راح فى الشفاه لها أفل
الى ان بدا للصبح فى طرة الدجا * دبيب كما استقرت مدارجها النمل
نعيم أرى الايام تثنى عنانه * علينا اذا التى ثنيته الحسل
أفى لهوات الليث ربع أبيه * ولو على فيها مجاحته الصل
نكرت الدنا والارض فيها فليس لى * بها عقوة آوى اليها ولا أهل
وأفردنى صرف الزمان كأننى * طرير من الهندى أخلصه الصقل

فياليت شعرى هل مقامى لنية * تضم بنجواها المطية والرجل
وسير يخلى المرء منه قريبه * فريدا كما خلى تريكته الرأل
فكم من حبيب كان روضة ناظرى * يرف ويندى بين افنانها الوصل
فحاط له اذ كورت لى شمسه * فشخص نعيمى لا يقوم له ظل
غبرت وبادوا غير ان تلبثى * وراءهم عيش يلذ له القتل
اذا كان عيش المرء أدهى من الردى * ففائدة الايام داهية ختل
اذا اقنع المضطر كانت بكفه * مفاتيح لم يبهم لها أبدا قفل
ومن راد لم يعدم من الله فجعة * ففى كل محل من غمامته وبل

وله (متقارب)

أعز البرية فى نفسه * فتى خاشع الطرف من غير ذل
ومن يزن القول وزن النضار * فلا يفتح القول او يعتدل
ترى كل ألوث من قوله * يضاحك حكمته بالخطل
ويحكى الاقاويل جهلا بها * كما حكت الصوت بنت الجبل
يكاثر نوع الاذى فى الورى * فلست ترى غير سمع أذل
وقل أولو الفضل ان حصلوا * وهل يتحصل نور المقل
نخالط أناسا ونزايلهم * وكن فيهم ظالك المنتقل
لقاؤهم يستدر الدموع * ويذكى الضلوع كواهى الطلل
وفيهم تشابه ما فى الفلاة * خداع السراب وجور السبل
وبين ضلوعى ما بينها * وينهضنى الحادث المعضل
وفى راحتى مرائى الهدى * تريني انتعاشى قبل الزلل
وطعن قواف لها شكة * مجن وقاح ونصل نجل
يموت ويحيا بها من علا * وليست تعوج على من سفل
حديقة فكر سقاها الحجى * فأغرت الكلم المنتحل
تمر على اذن المستعيد * مرور الحيا بالجديب المحل
يسربلها الحسن وصف الحسود * ويصفى لها الود قلب الدغل

وله أيضا (بسيط مخلع)

أرقنى بعدك البعاد * فناظرى كحله سهاد

يا غائبا وهو فى فؤادى * ان كان لى بعده فؤاد
الله يدرى وأنت تدرى * ان اعتقادى لك اعتقاد
نذكر والحادثات بله * ليس لها ألسن حداد
ونحن فى مكتب المعالى * يصبغ أفواهنا المداد
يسدل ستر الصبا علينا * والامن من تحتنا مهاد
لا نهتدى لما خلقنا * نجهل ما الكون والفساد
تكلؤنا من حفاظ بكر * لو اخطأ ما لها رقاد
وهمة ناصت الثريا * تقود صعبا ولا تقاد
أذمة بيننا لعمرى * يحفظها السيد الجواد
يا غرر المجد فى جباه * لم يبد أشكالها الجياد
آثاركم فى العلا قديما * دانت لها جرهم وعاد
سبحان من خصكم بأيد * بهن تستعبد العباد
اذا استهلت لها سماء * أورق من تحتها الجماد
والآن تبلى ورب جود * حل على ناره الرماد
وأنت فى ألسن البرايا * معنى بألفاظها معاد
حسب العدا منك ما رأوه * لا ورثت لعدا زناد
لم يعلم الحاسدون منهم * أنك عنقاء لا تصاد
وان فى راحتيك سعدا * تندق من دونه الصعاد
والليث شبعان لا يبالى * اذا نزت حوله النقاد

(الاديب أبو عبد الله بن الفخار المالقى رحمه الله تعالى)

صاحب لسن وراكب هواه من قبيح وحسن لا يصد اذا صمم ولا يرد هماييم حمى الانف لا يضام قوى الشكيمة لا يرام وقف المطالبة والالسنة قد أشرعت وثبت والاطواد قد تضعضعت حتى أقعد عدوه وصار رواحه وغدوه وقد أثبت له ما يستطاب ويسرى فى النفس كما يسرى فى البلح الارطاب (فمن ذلك قوله (طويل)

بأى حسام أم بأى سنان * أنازل ذاك القرن حين دعانى
لئن عرى اليوم الجواد لعلة * فبالامس شدوا سرجه لطعان

وان

وان عطل السهم الذى كنت راشنا * ففيه دم الاعداء أحمر قانى
ألا ان درعى نثرة تبعية * وسيفى صدق ان هززت يمانى
وماقصبات السبق الالادهمى * اذا الخيل جالت فى مجال رهان
قسى لقانى من حلت وثاقه * وأعطى غداة المزدلة عان
وقد علم الاقوام من صح وده * ومن كان منا دائم الشنآن
ومازدهنى قول كل مموه * وليس له بالمعضلات يدان
ويزعم أنى فى البيان مقصر * ويأبى بنانى واقتدار لسانى
وانى لنهاض بكل عظيمة * يضيق عليها ذرع كل جنان
نهضت بها وحدى وغيرى مدع * يشاركنا أهل القول شرك عنان
أينسى مقامى اذا كانغم دونه * وقد طار قلب الذعر بالخفقان
ويذكر يوما قمت فيه بخطبة * كما ثار غدق الماء بالسيلان
فقرى بجارى ان دونك جارسا * يمنيك بالاخلاف والولهان
وما هو الا المرء يقطع رأسه * وان دهنوه حبله بدهان
تهاون بالانصاف حتى أحله * وقد كان ذا عز بدار هوان
ولو كان يعطى الزائرين حقوقهم * لما تركوه فى يد الحدثان

وله (طويل)

الى كم يجد المرء والدهر يلعب * ويبعد عنه الامن والخوف يقرب
وهل نافعى ان كنت سيفا مصمما * اذا لم يكن يلقى لحدى مضرب
أبيتهم والليل كالنقس أسود * وانجمهم والصبح كالطرس أشهب
فلا أنا عمارمت من ذا التقصر * ولا خيل عزى للمقادير تغلب
أبا حسن سائل لمن شهد الوغى * لئن كنت لم أصبح أهش وأطرب
وأعتنق الابطال حتى كأنها * بما تقى منهم من البيض ربرب
أخاتلهم كالذيب وحدى وتارة * يصول بهم من الزعفير يقضب
وفى كل باب قد ولجت لكيدهم * ولكن أمور ليس تقضى فتصعب
فوا أسفا كم ذا أبيت بذلة * وسيفى خضيب والجواد مقرب

وله أيضا (طويل)

أمستنكر شيب المفارق فى الصبا * وهل ينكر النور المفتح فى غصن

اظن طلاب المجد شيب مفرقى * وان كنت فى احدى وعشر ين من سنى
(وكتب الى أبى عبد الله بن أبى زنفى) رحمه الله عند ولايته سجلماسة والشعر طويل أثبت بعضه (طويل)

بمن حل فى سرغ فؤادك هائم * وهيهات منك اليوم من حل فى سرغ
وتكلف بالداعى هلم الى الوغى * طماعا بأن تدنو من ابن أبى زنفى
وكتابه نبغى قضاء لبانة * ولو أنه يسبق لقضى الذى نبغى
سلام عليه عذب النفس بعده * عقارب هم لا تفيق من اللدغ
وشوقا اليه أصبح القلب عنده * ولم تثنه خود معقربة الصدغ

وله أيضا (متقارب)

أقل عتابك ان الكريم * يجازى على حبه بالقلا
وخل اجتنابك ان الزمان * يمر بتكديره ماحلا
وواصل أخاك بعلاته * فقد يلبس الثوب بعد البلا
وقل كالذى قاله شاعر * نبيل وحقك أن تنبلا
اذا ما خليل أسى مرة * وقد كان فيما مضى مجملا
ذكرت المقدم من فعله * فلم يفسد الآخر الاولا
أباحسن ان أتى حادث * يجرد لى سيفك المصقلا
فودى جديدك لم أبله * بروقك فى حليه والحلا
أولى الملامة عنك الزمان * واصحبك الاكرم الافضلا
أقول وأنت لسان المقال * وعين الكمال ورأس العلا
لئن جار فيك على الزمان * فقد كان لى حكما أعدلا
ليالى كنت صحيح الاخا * صريح الوفاء بما أملا
تدافع عنى خطوب الزمان * بضرب الرقاب وطعن الكلى
ولكن أطعت غواة الرجال * وبعت صديقك لا بالغلا
سأصبر للخطب حتى يزول * وأدعو له رأيك الاجملا
ودونكها كالعروس الكعاب * عليها من الحلى ما فصلا
فكالزبد بالدهن فى لينها * وتعزى بشدتها الجندلا
اذا صيد للشعر طير بغاث * رأيت لها الطائر الاجدلا

ولم ألف جدك جنابا الذى * أكف به النازل المعضلا

(الاديب أبو عامر بن المرابط رحمه الله تعالى)

مديد الباع شديد الانطباع سلك مسلك المرققين وترك سبيل المتشدقين وأتى من الابداع بما أراد وسابق الافذاذ والافراد الان هلاله لم يدرك الاقمار وطواف عمره لم يبلغ الاعتمار فاحتضر صغيرا وأغار على المعانى حتى كر الدهر عليه مغيرا وكانت له همة لم تعلق يده بعمل ولم تطلق له عنان أمل فأغرى بالخمول وبرئ من منازل المأمول حتى حوام لحده وطواه دهره وهو أوحده وقد أثبت له ما تعرف به نبله وترى الى أى غرض كان يرمى نبله (فمن ذلك) قوله يتغزل (رمل مجزو)

شر ان اسطعت فانى * لست أسطيع مزارا
ذلك البدر الذى قا * بلت لا يلقى السرارا
قلدوا مبسمه الدر * وجفنيه الشفارا
كلما أومأ باللحظ * يمينا أو يسارا
لا ترى عيناك الا الـ * ـقوم قتلى أو أسارى
لا ترع يا شادن الاجـ * ـراع كم تهوى النفارا
للهوى ذا القلب ترعا * ه اراكا وعرارا

وله أيضا فى المعنى (بسيط مخلع)

هنالك الرى من دموعى * يا ظبى والظل من ضلوعى
فرد معينا ورد ظليلا * لغير مذود ولا مروع

وله فى غير ذلك (طويل)

يشرد أنسى موعد بعد داوة * ويبسط نفسى مقبل بوداد
لقلوا اذا والوا فغير أصاحب * وهانوا اذا ولوا فغير أعادى
وقول له وقع الاسنة لم أزل * أكف عنانا عنه يوم طراد
تهاوى قلوب فيه بين أسنة * وتأوى جنوب منه فوق قتاد
وحال تثير البيض والسمر مثل ما * أسام العلا فى مسرح ومراد
لبست اليها الصبر سرد مفاضة * وأمطيت فيها العزم ظهر جواد

وله (مديد)

من رأى ذاك الغزال ضحا * يمشى فى اجارعه
ينفض الاجفان عن سنة * أشربتها فى مضاجعه
نظرات الظبى روّعه * قانص أدنى مراتعه
بشر أو مثله خدر * سن قتلى فى شرائعه

وله (طويل)

تركت الليالى لا أذم صروفها * ولا أحمد الايام ايان تقبل
ونبهت عزمى للسرى فأجابنى * وكالعزم ما استنجدت من ليس يخذل
ويسعدنى ان جد بى الشوق فتية * اذا ركبوا المهرى فالجد منزل
تجافوا عن الاوطان عزة أنفس * قصرن خطا الاعمار والضيم منهل
بمصر عيون ان ترانى قريرة * وعنى أوطان بغداد تسأل

وله من قصيدة (طويل)

أعيدوا على الربع التحية * أخفف منها والركاب ربوع
دعونى والاطلال أبكى فان يكن * ضلالا فانى للضلال تبوع

وله من أخرى (كامل)

فتناوحت فيه الرياح مع الضحا * حتى تبل ترابه المزن
ويسيل أبطحه وأجرعه معا * ويرق ذلك السهل والحزن

وله (وافر)

تقول مطيتى لما رأتنى * وبينك لا تواد عنى فواقا
وقد أخذ السرى منى ومنها * مآخذ لا نطيق لها مساقا
لقد عبث بنا النكبات حتى * لودت كل نائبة فراقا

وله أيضا (طويل)

سل الركب عن نجد فان تحية * لساكن نجد قد تحملها الركب
والا فبالبال المطى على الدجا * خفافا وما للريح حرجفها رطب

وله أيضا (رمل مجزوّ)

راقنا النهر صفاء * بعد تكدير صفائه
كان مثل السيف مدمى * فجلوه عن دمائه
أو كمثل الورد غضا * فهو السوم كمائه

(الاديب أبو الحسن باقي بن أحمد رحمه الله تعالى)

شيخ الانقباض وسهم المعاني والاغراض لم يكن له ظهور ولا يوم في الحظوة مشهور مع أدبه الباهر ومذهبه الطاهر ونفسه الزكية ومنازعه الذكية فاقتصر على القاضي أبي أمية يتدثر بربعه انتداب غيلان باطلال مية واقتنع بوشله فاضطلع بعبء تكاليفه على ضعفه وفشله لم ينتجع سواه ولم يسترجع الامن ضيق محل لديه ومثواه وقد أثبت له ما تستعذبه وتستطيبه وتعلم به انه امام الاحسان وخطيبه فمن ذلك ما كتب به اليه (بسيط)

الدهر لولاك ما رقت سجاياه * والمجد لولاك ما عرفنا منك معناه
كان العلا والنهى سرا تضمنه * صدر الزمان فلما لحت أفشاه
آيات فضلك تتلوها ونكتبها * في صفحة البدر ما أبدى محياه
فأنت عضب وكف الدهر ضاربة * تنبو الخطوب ولا تنبو غراراه

(وله) الى أبي العباس الغرباقي وقد وافى مرسية فعزم على زورة وقطف أزهاره ونوره فانه من ابداع المجالسة وامتاع المؤانسة في حد يستنبل وكانه شهاب يقتبل (كامل مجزوء)

ياماجدا في قربه * من كل هم لي فرج
ومملكا بعقاله * وفعاله رق المهج
هل طرق اذنك اللقا * فان عيني تختلج

(وصحب أبا أمية الى العدوة) فروا بفاس وفيها الوزير أبو محمد بن القاسم وزير ملكها وبدر فلكها وكان من سمو الهمة بحيث يجلو الظلام العاكر ويخجل الوسمي الباكر فكتب اليه (متقارب)

نسيم الصبا بذمام العلا * تمش على الروض مشي الكسير
وسر عبق النشر حتى تحل * محل السيادة ربع الوزير
فطأ من حشاها دوين الضلوع * حذار مهابته أن يطير
وقبل أناملها انها * ضرائر في فيضها للبحور
وذكر بحاجة ضيف له * فؤاد مقيم وجسم يسير
له أمل قبل وشك الرحيل * طويل المدى ومداه قصير
وقل ان لقيا الوزير الاجل * يقرب كل بعيد عسير

(الاديب أبو جعفر بن البني رحمه الله تعالى)

مطبوع النظم نبيله واضح نهجه في الاجادة وسبيله ويضرب في علم الطب بنصيب وسهم يخطئ أكثر مما يصيب وكان أليف غلمان وحليف كفر لا ايمان ما انطوى متشرعا ولا ارتمى متورعا ولا اعتقد حشرا ولا صدق بعثا ولا نشرا وربما تنسك مجونا وفتكا وتمسك باسم التقى وقد هتكه هتكا لا يبالي كيف ذهب ولا بما تذهب وكانت له اهاج جرع فيها صابا ودرع منها أوصابا وقد أثبت له ما يرتشف ريقا ويلتحف به الاوان شروقا فمن ذلك قوله يتغزل (كامل)

من لي بغرة فاتر يختال في * حلل الجمال اذا مشى وحليه
لو شب في وضح النهار شعاعها * ماعاد جنح الليل بعد مضيه
شرقت بماء الحسن حتى خلصت * ذهبية في الخد من فضيه
في صفحتيه من الحياء أزاهر * غذيت بوسمي الصبا ووليه
سلت محاسنه لقتل محبه * من سحر عينيه حسام سميه

وله (رمل مجزو)

كيف لا يزداد قلبي * من جوى الشوق خبالا
واذا قلت علي * بهر الناس جمالا
هو كالغصن وكالبد * ر قواما واعتدالا
أشرق البدر سرورا * وانثنى الغصن اختيالا
ان من رام سلوى * عنه قد رام محالا
لست أسلو عن هواه * كان رشدا أو ضلالا
قل لمن قصر فيه * عذل نفسي أو أطالا
دون أن تدرك هذا * يسلب الافق الهلالا

(وكنت بميورقة) فدخلها متسما بالعبادة وهو أسرى الى الفجور من خيال أبي عبادة قد لبس اسمالا وأنس الناس منه أقوالا لا اعمالا وسجوده هجود واقراره بالله جحود وكانت له بسواحلها رابطة كان بلوازمها مرتبطا ولسكناها مغتبطا سماها بالعقيق وسمي فتى كان يتعشقه بالحي وكان لا يتصرف الا في صفاته ولا يقف الا في عرفاته ولا يؤرقه الا في جواه ولا يشوقه الاهواه فدخلت عليه يوما لازوره وأرى زوره فاذا أنا بأحد دعاة مجبو به ورواة تشبيبه

فقال له كنت البارحة مع فلان بحماه وذكر له خبرا ورّى عنه وعماه فقال مرتجلا (وافر)

تنفس بالحمى مطاول روض * فأودع نشره ريحا شمالا

فجئت العقيق الى كسلى * تجرّر فيه اردانا خضالا

أقول وقد شممت الترب مسكا * بنفحتها يمينا أو شمالا

نسيم بات يجلب منك طيبا * ويشكو من محبتك اعتلالا

ينم الى من زاهرت روض * حشوت جوانحى منه ذبالا

ولما تقرر عند ناصر الدولة من أمره ما تقرر وتردد على سمعه انتهاكه وتكرر أخرجه ونفاه وطمس رسم فسوقه وعفاه فأقلع الى الشرق وهو جار فلما صار من ميورقة على ثلاثة مجار نشأت له ريح صرفته عن وجهته وردته الى فقد مهجته فلما لحق بميورقة أراد ناصر الدولة اباحته وابراء الدين منه واراحته ثم آثر صفحه وأخمد لهيب ذلك الحنق ولفحه وأقام أياما ينتظر ريحا تزجيه ويستهديها لتخلصه وتنجيه وفى أثناء تلاويه لم يتجاسر أحد من اخوانه على اتيانه وجعلوا أثره كعيانه فقال يخاطبهم (وافر)

أحبتنا الاولى عتبوا علينا * فأقصرنا وقد أزف الوداع

لقد كنتم لنا جذلا وأنسا * فهل فى العيش بعدكم انتفاع

أقول وقد صدرنا بعد يوم * أشوق بالسفينة أم نزاع

اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وله (وافر)

بنى العرب الصميم ألا رعيتم * مآثركم بآثار السماح

رفعتم ناركم فعشا اليها * عشاء فارس الحى اللقاح

وله فى القاضى عبد الحق بن الجوم (بسيط)

وسائل كيف حالى اذ مررت به * ومن لواحظه كل الذى أجد

ولى يد اذ توافقنا أشدّ بها * على فؤادى وفى يمنى يديه يد

والجمر فى خده الوضاح رونقه * يندى وفى قلبى المشغوف يتقد

وله فيه أيضا (بسيط)

يا من يعذبنى لما تملكنى * ماذا تريد بتعذيبى واضرارى

تروق حسنا وفيك الموت أجمعه * كالصقل في السيف أو كالنور في النار

وله يهجوهم ويمدح القاضي أبا الوليد هشاما وأخاه عليا (بسيط)

ما في بني يوسف ساع لمكرمة * سواك أو صنوك العالي أبي الحسن

كرمتما واعتدى بالشؤم غيركما * والشوك والورد موجودان في غصن

وله . (كامل)

وكأنما رشأ الحي لما بدا * لك في مضاعفة الحديد المعلم

غصب الحمام قسيه فأعارها * من حسن معطفه قوام الاسهم

وله (طويل)

وذي وجنة وقادة الصقل قاسمت * حبابي فبات صقلها بجراحي

نظرت اليه فانثنى بمقلة * تردّ على نحري صدور رماح

حميت الجفون النوم يا رشأ الحمى * وأظلمت ايامي وأنت صباحي

وله (طويل)

غصبت الثريا في البعاد مكانها * وأودعت في عيني صادق نورها

وفي كل حال لم تزالي بخيلة * فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها

وله يتغزل (بسيط)

قالوا أتصيب طيور الجو أسهمه * اذا رماها فقلنا عندها الخبر

تعلمت قوسه من قوس حاجبه * وأيد السهم من ألحاظه الحور

يلوح في بردة كالنقس حالكة * كما أضاء بجنح الليلة القمر

وربما راق في خضراء مورقة * كما تفتح في أوراقه الزهر

(الاديب الوزير أبو بكر بن الصائغ)

هو رمد جفن الدين وكمد نفوس المهتدين اشتهر سخفا وجنونا وهجر مفروضا ومسنونا فما يتشرع ولا يأخذ في غير الاضاليل ولا يشرع ناهيك من رجل ما تطهر من جنابة ولا أظهر مخيلة انابة ولا استنجى من حدث ولا أشجى فؤاده بتوار في جدث ولا أقر بباريه ومصوّره ولا افترّ عن تباريه في ميدان تهوّره الاساءة اليه اجدى من الاحسان والبهيمة عنده أهدى من الانسان نظر في تلك التعاليم وفكر في اجرام الافلاك وحدود الاقاليم ورفض كتاب الله الحكيم العليم ونبذه وراء ظهره ثاني عطفه وأراد ابطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه

ولا

ولا من خلفه واقتصر على الهيئة وأنكر أن تكون له الى الله تعالى فيئة وحكم الكواكب بالتدبير واجترم على الله اللطيف الخبير واجترأ عند سماع النهى والايعاد واستهزأ بقوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فهو يعتقد ان الزمان دور وان الانسان نبات له نور حمامه تمامه واختطافه اقتطافه قد محى الايمان من قلبه فما له فيه رسم ونسى الرحمن لسانه فما يترله عليه اسم وانتمت نفسه الى الضلال وما تسبت ونفت يوم تجزى فيه كل نفس بما كسبت فقصر عمره على طرب ولهو واستشعر كل كبر وزهو وأقام سوق الموسيقا وهام بجمادى القطار وسقا فهو يعكف على سماع التلاحين ويقف عليها كل حين ويعلن بتلك الاعتقاد ولا يؤمن بشئ قادنا الى الله فى أسلس مقاد مع منشا وخيم ولؤم أصل وخيم وصورة شوّهها الله وقبحها وطلعة اذا أبصرها الكلب نبحها وقذارة يؤذى البلاد نفسها ووضارة يحكى الحداد دنسها وفند لا يعمر الا كنفه ولدد لا يقوم الا الصعاد جنفه وله نظم أجاد فيه بعض اجادة وشارف الاحسان أو كاده فمن ذلك ما قاله فى عبد حبشى كان يهواه فاشتمل عليه اسر سعر جواه ونقله الى حيث لم يعلم مثواه فقال (بسيط)

يا شائقى حيث لا أسطيع أدركه * ولا أقول غدا أغدو فألقاه
أما النهار فليلى ضم شملته * على الصباح فأولاه كأخراه
أغر نفسى بآمال مزخرفة * منها لقاؤك والايام تأباه

وله فيه حين بلغه موته وتحقق عنده فوته (وافر)

الا يا رزق والاقدار تجرى * بما شاءت تشاء ولا نشاء
هل أنت مطارحى شكوى فتدرى * وأدرى كيف يحتمل القضاء
يقولون الامور تكون دورا * وهذا فقده فمتى اللقاء

وومض له برق من ناحية برشلونة حيث أسر فأنس به وسر فقال (خفيف)

ايه يا برق قل حديثك عن نجد * فيا الاله عنى نجدا
قل وان كان ما تحدثه زورا * فقد تبرد الاسى والوجدا

(وله) فى الامير أبى بكر بن ابراهيم قدس الله تربته وآنس غربته مدائح انتظمت بلبنات الاوان ونظمت كل شتيت من الاحسان (فمن ذلك) قوله فيه (وافر)

توضح فى الدجا طرف ضرير * سنا بلوى الصريمة يستطير

فوابابى ولم أبذل يسيرا * وان لم يكفهم ذاك الكثير
بريق لاتقل هو ثغر سلمى * فتأثم انه حبوب وزور
فكيف وما أضاء الليل منه * ولا عبقت بساحته الحور
تراءى بالسدير فزاد قلبى * من البرحاء ماشاء السدير
فلولا ان يوم الحشر يقضى * على حكم اذا استولى يجور
دعوت على المشقر أن يجازى * بما تجزى به الدار الغرور
فياسعد السعود ولست أدرى * أتدرى ان قلبك لا يجور
وقبلك ما ادعته ظنون قوم * فلم يك عندهم قلب صبور
ولكن سر فشارفه خطارا * وقد يتجشم الامر الخطير
وناد بأين العلمين رملا * ينم به على الرمل العبير
بآية مايلوح الصبح فيها * فتغرقه بوفرتها الشعور
ويبرد بينها نفس النعامى * فتحرقه بزفرتها الصدور
وقل ياظالمين وليس ذنب * وقل ياعاذلين ولا نكير
أحقا تمحون الجار عهدا * وينقضه غزالكم الغرير
لقد وسع الزمان عليه عدوا * وضربشبله الليث الهصور
وقلبنا الزمان فلا بطون * تضمنت الوفاء ولا ظهور
سوى ذكر أطارحه فلولا الامير لقد عفا لولا الامير
همام جوده يصف السوارى * وسطوته يعبرها الهجير
يقول عداه كيف وفى يديه * سعير ترتمى فيها بحور
وقلنا نحن كيف وراحتاه * بحور يلتظى فيها سعير
فهل فيما سمعت به خصام * يكون الخصم فيه هو العذير

(وكان) الامير أبو بكر يعتقد لهذه المائة وراها ويجود أبدا اثراها فلما ولى الثغر والشرق لم يغفلها من رعى ولم يكلها الى شفاعة وسعى وحمله على ما كان يعتقده فيه من المقت واستعمله على ما يقتضيه خلق الوقت من اقامة كل وغد وتسويغه كل نعيم رغد وتغليب حجة داحضة وانهاض عثرة غير ناهضة فتقلد وزارته ودولته تزهى منه بأندى من الوسمى المبتكر وأهدى من النجم فى الليل المعتكر وألويته تميس به زهو اميس الفتاة ورعيته تبتهج بملكه ابتهاج جابر بعهد البوباة

ومذاهبه

ومذاهبه يبسطها الفضل وينشرها وكتائبه لا يكاد العدو يعشرها فجاش اليهم وانبرى وراش فى تنكيلهم وبرى وأقطعهم ماشاء من مقابحته وأسمعهم مايصم بين خيمه ومفاتحته فوغرت صدورهم السليمة واعتلت صحة ضمائرهم بنفوسهم الاليمة ولم يزل يأخذ فى الاضرار ولا يدع ويعلن به ويصدع حتى تفرق ذلك الجمع وألقاه بين بصر الشتات والسمع وأفرد الدولة من ولاتها وجرّدها من حماتها فاستعجل العدو بذلك واستشرى وزأر منه على سرقسطة ليث شرى ولما رأى الشر قد ثار قتامه وبدا من ليله اعتامه ارتحل واحتمل وقال لا ناقة لى فيها ولا جمل وأقام ببلنسية يشفى نفسه ويستوفى أنسه ونجوم سعدها كل يوم غائره والعدو يتربص بها أسوأ دائره ويروم منازلتها ثم يدع الاقتحام ويريد التقدم اليها فيؤثر الاحجام تهيبا لذلك الملك السرى والليث الجرى وفى خلال هذه المحاولة واثناء تلك المطاولة عاج للامير أبى بكر حمامه واستسر فيها تمامه فأجنه الثرى وحازمنه بدرد جنة وليث شرى فعطلت الدنيا من علاء وجود وأطلت عليها بفقده حوادث أجدبت تهائمها والنجود وفيه يقول يرثيه بما يسيل الفؤاد نجيعا ويبيت به الاسى لسامعه نجيعا (خفيف)

أيها الملك قد لعمرى نعى المجـ * ـد نواعيك يوم قمن فحنا
كم تقارعت والخطوب الى ان * غادرتك الخطوب فى الترب رهنا
غير أنى اذا ذكرتك والدهـ * ـر اخال اليقين فى ذاك ظنا
وسألنا متى اللقاء فقالوا الـ * ـحشر قلنا صبرا اليه وحزنا

وكثيرا مايغير هذا الرجل على معانى الشعراء وينبذ الاحتشام من ذلك بالعراء ويأخذها من أربابها أخذ غاصب ويعوضهم منها كل هم ناصب وهذا مما أطال به كمد أبى العلاء وغمه فانه أخذه من قوله يرثى أمه (وافر)

فيا ركب المنون الا رسول * يبلغ روحها أرج السلام
سألت متى اللقاء فقيل حتى * يقوم الهامدون من الرجام

ومما تخلص فيه واخترع كثيرا من معانيه قوله يندبه ويرثيه (منسرح)

يا نازحا لم تحط أرحله * ولا جرى بالاياب سانحه
وهاجدا لو يجيب داعيه * أيقظ بالصهيل سابحه
وان من لا تحصى فضائله * حرِ بأن لا تحصى مدائحه

ولما أمكنت العدو بوثبة الفرصة وارتفعت عنه الغصة وزالت التقية واشتاق لملك البقية سرى الى سرقسطة سرى قيس لاهل الهباءة وأسرع نحوها اسراع الحالم الى النائي من سر الاباءة وأقام عليها يغوّر ونقبها ولا يالو استئصالا لارمقها حتى أعادها كالنظم الواهي النثير وتوبقهن بما كسبوا ويعفو عن كثير ومازال يورث أهلها كل هم كامل ويجدد كل كامن دخيل ويغير جنات من أعناب وزرع ونخيل حتى أصبحت كالصريم وراح الفساد فيها الابريم فطاع له أهلها بحكم القسر ورأوا الذمة أجدى من الغل والاسر فملك منها معقلا لا يوهم العقول ويوهن وقع الصارم المصقول وحين استباحها وأدجى فجرها وصباحها بحث عن قبر الامير أبي بكر فعمي عليه موضعه وحمى منه بالانكار مضجعه فدل عليه أحد المرتسمين بخدمته المتسمين بنعمته وأثار منه طود مجد وبحر ندى وأعراه من ثراه بعدما التحف باحسانه وارتدى (طويل)

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى * مضر كوضع السيف في موضع الندى

فأخرجه من مدفنه وأبرزه من مكننه وعاث في تلك الاشلا وحرق منها ما قصرت عنه يد البلى سيرة من أقبح السير تنكرها نفوس الغير وفي ذلك يقول (خفيف مجزو)

خل عيني كعهدها * لبكاها وسهدها

ان بالثغر رمة * سكنت غير لحدها

أبرزتها أيدي رجا * ل غدوا عين مجدها

سكنوا ظل امنها * وامتروا در رفدها

وله في ذلك (مديد)

يا صدى بالثغر جاوره * رمم بوركت من رمم

صحبتك الخيل عادية * وأثار تلك فلم ترم

قد طوى ذا الدهر غرته * عنك فالبس حلة الكرم

ولابن خفاجة في مثل ذلك (مديد)

يا صدى بالثغر مرتهنا * لممر الريح والديم

لا أرى الا أخا كمد * باكيا منك أخا كرم

كم يصعد فيك من حرق * ويكني لك من نعم

ولما فاتت سرقسطة من يد الاسلام وباتت نفوس المسلمين فرقا منها فى يد الاستسلام ارتاب بقبح أفعاله وبرئ من احتذائه بتلك الآراء وانتحاله وأخافه ذنبه ونبا عن مضجع الامن جنبه فكرّ الى المغرب ليتوارى فى نواحيه ولا يتراءى لعين لائمه ولاحيه فلما وصل شاطبة حضرة الامير الاجل أبى اسحق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين وجد باب نفاذه وهو مبهم وعاقه عنه شيحان مدلول عليه ملهم ناهيك من ملك سرى وليث جرى تبتهج العلياء بحلاه وتتأرج الدنيا بعبق مجده ورياه فاعتقله اعتقال الاشقى الدين من آلامه وشهد له بعقيدة اسلامه وفى ذلك يقول وهو معتقول يصرح بمذهبه الفاسد وغرضه المتناسد (كامل)

خفض عليك فما الزمان وريبه * شئ يدوم ولا الحياة تدوم
واذهب بنفس لم تضع لمحلها * حيث احتللت بها وأنت عليم
ياصاحبى لفظا ومعنى خلته * من قبل حتى بين التقسيم
دع عنك من معنى الاخاء ثقيله * وانبذ بذاك العبء وهو ذميم
واسمع وطارحنى الحديث فانه * ليل كاحداث الزمان بهيم
خلفنى على أثر الزمان فقد مضى * بؤس على أبنائه ونعيم
فعسى أرى ذا النعيم وربه * مرح ورب البؤس وهو سقيم
هيهات ساوت بينهم اجداثهم * وتشابه المحسود والمرحوم

ولما خلص من تلك الحبالة ونجا وأنار من سلامته ما كان دجا احتال فى اعفاء ماله واستيفاء آماله فأظهر الوفاء للامير أبى بكر بالرثاء له والتأبين ودهيه فى ذلك واضح مستبين فانه وصل بهذه النزعة من الجناية الى حرم وحصل فى ذمة ذلك الكرم واشتمل بالرعى وأمن من كل سعى فاقتنى قينات ولقنهن الاعاريض من القريض وركب عليها الحانا أشجى من النوح ولطف بها الى اشادة الاعلان باللوعة والبوح فسلك بها أبدع مسلك وأطلعها نيرات مالها غير القلوب من فلك فمن ذلك قوله (منسرح)

* ان غرا باجرى بينهم * جاوبه بالثنية الصرد *
صار وافيها أنت بعدهم جسد * قد فارق الروح ذلك الجسد
واكتموا صحبة بينهم * بئس والله ما الذى اعتمدوا

وكقوله (طويل)

سلام والمام ووسمى مزنة * على الجدث النائى الذى لا أزوره
أحقا أبو بكر تقضى فلا يرى * ترد جماهير الوفود ستوره
لئن أنست تلك القبور بلحده * لقد أوحشت أقطاره وقصوره

ومن قلة عقله ونزارته انه فى مدة وزارته سفر بين الامير أبى بكر وبين عماد الدولة بن هود بعد سعايات عليه أسلفها وذخائر كانت له على يديه أتلفها فواغاه أوغرما كان عليه صدره وأصغرما كان عنده قدره فآل به ذلك الانتقال الى الاعتقال فأقام فيه شهورا يغازله الحمام بمقلة شوهاء وتنازله الاوهام بفطرته الورهاء وفى ذلك يقول يخاطب ذا الوزارتين أبا جعفر بن يزيد بن مجاهد (وافر)

لعلك يا ابن يزيد علمت حالى * فتعلم أى خطب قد لقيت
وانى ان بقيت بمثل ما بى * فمن عجب الليالى أن بقيت
يقول الشامتون شقاء بخت * لعمر الشامتين لقد شقيت
أعندهم الامان من الليالى * وسالمهم بها الزمن المقيت
وما يدرون انهم سيسقوا * على كره بكأس قد سقيت

(وعزم) عماد الدولة يوما على قتله وألزم المرقبين به التحيل فى ختله فنمى اليه ذلك الامر الوعر وارتمى به فى لجج البأس والذعر فقال (طويل)

أقول لنفسى حين قابلها الردى * فراغت فرارا منه يسرى الى يمنى
ترى تحملى بعض الذى تكرهينه * فقد طالما اعتدت الفرار الى الاهنى

ثم قضى له قدر قضى بانظاره وما أمضى من اباحته ما كان رهين انتظاره ويمهل الكافر حكمة من الله وعلما وانما نملى لهم ليزدادوا اثما

تم القسم الرابع من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان وبتمامه تم جميع الديوان والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد رسوله وعبده

سبحان من منح الفتح بن خاقان قلائد العقيان مشكاة للبلغاء ومنارا للفصحاء تقلد كل منهم بقلادة من قلائده وتوشح كل بوشاح من عقيان خرائده خروا لسحر ألفاظه سجدا وقاموا لفهم معانيه هجدا سجعت بالمغرب حمائم دوحه فأشجت من بالمشرق ونشرت من روحه فكان حريا بحسن الطبع جديرا

بلطف

بلطف الوضع خصوصا بالمطبعة الخديوية ببولاق مصر المعزية فى أيام ابتسم
ثغرها عن العدل وأفاضت على الانام جزيل الفضل فى ظل من سارت الركبان
بذكره فى كل ناد ونطقت الالسنة بمدحه فى كل واد عزيز مصر ووحيد العصر
سعادة أفندينا المحروس بعناية ربه العلى اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على لا زال
جيد الدهر حاليا بعقود دموا كبه وفم الافق ناطقا بسعود كواكبه حفظ الله
دولته كما حفظ رعيته وأدام مجده وخلد حمده وحرس أشباله الكرام
وجعلهم غرة فى جبين الايام ملحوظة دار الطباعة المذكورة بنظر ناظرها المشمر
عن ساعد الجد والاجتهاد فى تدبير نضارها من لا تزال عليه أخلاقه بالطف تثنى
حضرة حسين بك حسنى ثم ان الملتزم لهذا الطبع الظريف والوضع اللطيف
الآخذ من العلم بحظه الافخم حضرة الشيخ محمد صالح أكرم والتصحيح بعد
التنقيح بمعرفة الفقير الى الله سبحانه محمد الصباغ أسبغ الله
عليه النعم أتم اسباغ وتضوع عرف ختامه وتم
سلك نظامه فى العشر الاول من صفر الخير
من سنة ١٢٨٣ من هجرة من زال به
كل هم وضير عليه الصلاة
والسلام وعلى آله
وصحابته
الفخام

م